

الاستشراق اليهودي

(رؤية موضوعية)

دكتور

محمد عبد الرحيم الزينى

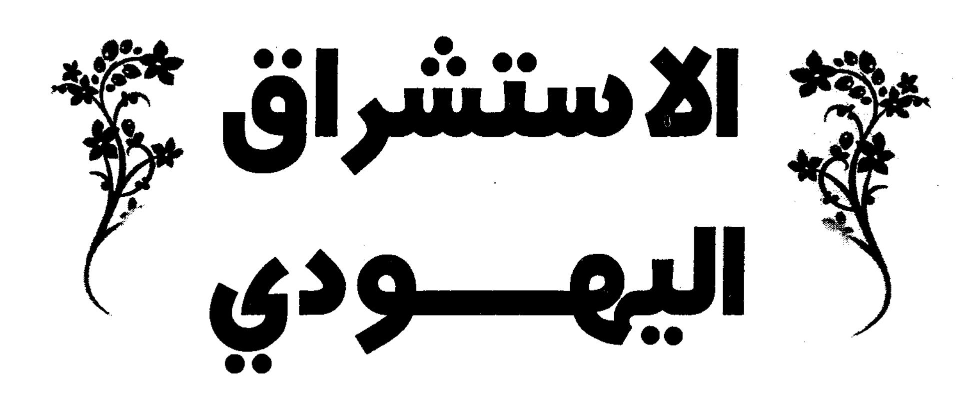
أستاذ الفلسفة الإسلامية المشارك

رئيس قسم الدراسـات الإسلاميـة

كلية التربية - حجة - جامعة صنعاء

المعهد العالي لأصول الدين جامعة الجزائر





الاستشراق اليهـــودي

رؤية موضوعيـــة

الدكتور / محمد عبد الرحيم الزيني

أستاذ الفلسفة الإسلامية

معهد العلوم الشرعية - مسقط

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع : ١٦٥٩٣/ ٢٠١١

الترقيم الدولي : ٢ - ٥٠٤ - ٣٣٦ - ٩٩٧ - ٩٧٨



دار اليقين للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

المنصورة : شارع عبد السلام عارف الكردون الخارجي لسوق الجملة بجوار معارض الشريف ص . ب ٤٥٦ المنصورة ٣٥٥١١

هاتف : ٠٥٠٢٢٥٥٢٤١ جوال :٠١٠١٥٧٥٨٥٢ البريد الإلكتروني : elyakeen@hotmail.com

القاهرة - كورنيش المعادي - ٦ أبراج المهندسين - الدور السادس - شقة ٢ - ت: ٠٢٢٥٥٨٦٥٤٠



إهداء

إلى النبل الإنساني، سليل العلماء، وحكيم الحكماء،

، وشيخ الفقهاء، وقاضي القضاة.

المستشار / طارق البشري.

الناطق بالحق في زمن عزت فيه كلمة الصدق؛

المطالب بحرية الإنسان وكرامته؛ بعد أن سادت سنون

من القهر والظلم والفساد والاستبداد؛

المنافح عن كرامة الوطن وعزته ومجده ووجوده الفعال؛

و استقلال صوته، وتحرره من التبعية والمهانة والذل والاستخذاء؛

المدافع عن مبادئ الشريعة الإسلامية، بكل ما تمثله

من منطق عقلاني و قانون رباني

و منهج حضاري.

محمد الزيني.



دعاء

اللهم إنا نقول ما نقول وأنت تعلم ما نقول قبل أن نقول، ونعمل فتحيط به قبل أن نعمل،

أنت أوّلنا في كل قول وعمل،

وآخرنا عند كل رجاء وأمل.

فكما كتبت أسماءنا في ديوان المرحومين، وإن لم نكن من المستحقين: أعمالنا سيئة، ولكنها تضيع في أوائل عفوك، وأقوالنا كبيرة، ولكنها صغيرة في أوائل استحقاقك.

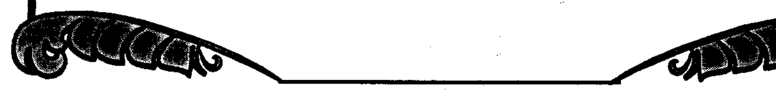
إلهنا! قد صبرنا على مرارة عِشْرَة خَلْقك، فلا تحرمنا حلاوة مواصلة ما يصلنا بك، كادُونا بسببك، فحلمنا عنهم من أجلك، وعادونا فيك، فاحتملناهم لوجهك.

إلهنا! ما لنا ذنب إليهم إلا ذكّرناك لهم. ولا جناية عليهم إلا أنا أعززنا بك بينهم.

إلهنا كما ابتلينا بهم لنصفو لك، فارحمهم لئلا يكدروا بنا،

وكما أريتنا قدرتك فيهم، فأرنا عفوك عنهم،

واجعلنا وإياهم في زُمرة الواصلين إليك المقبولين لديك. (١)



(١) أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ت: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت ١٩٨١، ص١٦٤.

فهرس الموضوعات

* * *

تقديم

فضيلة الشيخ

خميس بن راشد العدوي.

العلم هو ثمرة التعقل الإنساني، وأينما وجد الإنسان فمعنى ذلك ظهور أثره عبر الأزمان اللاحقة، ولا راد لحكم العلم؛ مهما رانت على حقائقه الغشاوات، فهي بمرور الأزمان تتبدد لينبلج نور العلم من جديد، أزعم أن هذه الأبجدية البسيطة هي قانون عتيد يحكم تعقل الإنسان وهواه، تعقله الذي يتمثّل في العلم، وهواه الذي قد يجنح إليه تمذهبه وتأدلجه، وهذا عين ما أبصر به جدل قضية الإسلام والاستشراق، والذي تحولت في هذه الأيام إلى جدلية ذات معالم وأطر؛ لها وعليها كأي قضية يطأ الناس ساحتها، فالاستشراق علم، يبحث في الشرق الإسلامي؛ دينه وتأريخه ومذاهبه ولغته وسائر مداخله ومساربه، علم يبتغي الوصول إلى الحقيقة بقدر تمكن مناهجه، وهو بمسيره هذا في صعود ونزول، ولا ضير في ذلك فهذا من سنن الله في الوجود، ما قد يكبو فيه اليوم يربو به غداً، إلا أن الجناية على العلم لمّا يتدخل الباحث بمذهبه فيما يبحث فيه، وينتحل العلم لأجل معتقداته، ويسخره في خدمة أيديولوجيته.

وهذا ما سار عليه بنظري الاستشراق اليهودي؛ حتى أصبح له خط خاص يميزه من بين خط الاستشراق العام، ومع أن المستشرقين اليهود قدموا للمعرفة علماً لا ينكر، ووجد فيهم من يتجرد للعلم، إلا أن الصبغة اليهودية ظهرت على عموم هذا التوجه من الاستشراق، مما يجعل القارئ في حذر مما يكتبون.

هذا التوجس المبرر من عمل الاستشراق اليهودي يلزم أن لا يكون هاجساً انطباعياً تزخر به النفس الإنسانية، أو النفس المسلمة، بل يجب أن يعالج بموضوعية، بالقدر ذاته ما نطالب به الاستشراق، والاستشراق اليهودي، وقد قدمت دراسات وكتبت مقالات في هذا الجانب، إلا أن العلم لا يؤمن بالطرق المنتهية، فهو ينفتح أمام كل من يطرق أبوابه، وفي هذا المقام يأتي كتاب «الاستشراق اليهودي، رؤية موضوعية» لأستاذنا

الدكتور محمد عبد الرحيم الزيني أستاذ الفلسفة الإسلامية بمعهد العلوم الشرعية في مسقط بسلطنة عمان، الذي تتبع فيه المستشرقين اليهود، ووضع لهم معجماً يمكن للقارئ أن يرجع إليه مستفيداً من طرحه، وهو للباحث مدخلاً يمكنه أن يستنير به في دراساته حول هذا الفرع من العلوم، والكتاب بحق يقرب له مسافة شاسعة في هذا المضمار.

جاء الكتاب سهل العبارة رائق التراكيب قريب المنهل، بذل فيه أستاذنا جهداً ملموساً من تقصي المناهج المضمرة في الاستشراق اليهودي، ولّما نقول «المناهج المضمرة» فلا يعني ذلك المحاكمة على النوايا والمعتقدات، وإنما هو الكشف عن المناهج المحرِكة والمؤطِرة للعلم، التي ربما تسحب المعرفة من رحاب العلم إلى مضيق المذاهب، وقد أشار الدكتور محمد عبد الرحيم الزيني في ثنايا معالجته للموضوع إلى ثلاثة توجهات في هذا النوع من الاستشراق، هي:

- التجرد للعلم والبحث بموضوعية، وبذل الجهد في الخروج من رواسب الدين اليهودي وما تركه التاريخ اليهودي من أثر عميق في بنية المعرفة الإنسانية، وهذا تيار قليل، وذلك لصعوبة السباحة فيه، ولالتحامه بالمعرفة كالتحام اللحم بالعظم، لا يخرج إلا بشق الأنفس، ومع ذلك لم يعدم سالكوه.
- التأثر بالبنية المعرفية المنبثة في معظم المفردات التي تمس عمل الاستشراق، سواء من حيث الروايات اليهودية الخالصة، أو ما سرى في المسيحية من اليهودية، أو الروايات الإسرائيلية التي اندست بكثافة في الثقافة الإسلامية، وأصحاب هذا التيار قد يكونون غير متعمدين مجانفة الحقيقة ولا مستنكفين عن الموضوعية، إلا أن الأثر اليهودي قوي إلى حد الخفاء في كثير من أوجه التكوين المعرفي للمنطقة التي يبحثها الاستشراق عموماً، والاستشراق اليهودي خصوصاً، مما يجعل الباحث، أي باحث؛ فضلاً عن الباحث اليهودي، غير قادر على اكتناه الحقائق من خلال الركام اليهودي المتراص عبر الدهور، وقد وجد لفيف من المستشرقين اليهود الذين تغيّوا الحقيقة إلا أنها خفيت على كثير منهم ولم يدركوا كنهها.
- اتخاذ علم الاستشراق مطية يعبر بها اليهود -خصوصًا أصحاب التوجه الصهيوني- صحراء الثقافة العربية، ويجهزون بها على معالم الحضارة الإسلامية،

وهذا كان توجهاً واضحاً عند كثير المستشرقين اليهود، حيث اتخذوا من الأساطير اليهودية سبيلاً لفرض أوهامهم على واقع الناس، وقد ظهر ذلك واضحاً في احتلالهم أرض فلسطين، وفيما دبجته أقلامهم.

حاول أستاذنا الكريم محمد الزيني أن يكشف عن هذه التوجهات، سالكاً في ذلك مسلك الموضوعية، ورغم حسه الإيماني وعاطفته الإسلامية -وقد ظهرا بوضوح في الكتاب- إلا أنه بذل جهده لتوخي الموضوعية، وقدا أشار بدون مواربة إلى هذه التوجهات الثلاثة.

أين يلتقي القارئ مع المؤلف وأين يفارقه في الآراء المطروحة لا يؤثر على قيمة العمل وجدته وجديته، فالاختلاف من شأن البشر، وعلامة صحة للموضوع، وإنما ما أريد أن أكد عليه هنا أن الكتاب إضافة فعلية للمكتبة العربية والإسلامية، أرجو الله تعالى أن يستفيد منه المبتدء والواصل، والطالب والأستاذ.

أختم هذه الأسطر بما يجب عليّ في حق أستاذنا الدكتور محمد عبد الرحيم الزيني، فقد كنتُ أسمع عنه من طلبته في معهد العلوم الشرعية، بأنه أستاذ متميزٌ في علمه، متوجه نحو البناء العقلي للطلاب، بإزاحة التفكير اللامنطقي عن أذهانهم، وبالربط بين حقائق الدين وحقائق الحياة، وبأنه أستاذ عظيم بخلقه القويم، حيث يلزم مكارم الأخلاق، ويبث في طلابه الأمانة العلمية والإنصاف والموضوعية، فسعيت إلى لقياه، فوجدته يعظم خلقاً عما وصف، وينوف علماً عما سمعت، وقد انعكس ذلك على دراساته، التي جاءت مبتعدة عن الغلو والشطط، ملازمة البحث والتنقيب، متسربلة بأخلاق العالم الأمين، فكانت معرفته مكسباً لي، ووقوداً أستمد منه استمداد التلميذ من شيخه، راجياً الله تعالى أن ينفع بعلمه طلابه وكل من يطالع كتبه.

هذا؛ والله ولي التوفيق، وهو من وراء القصد.

خميس بن راشد العدوي.

بهلا، سلطنة عمان.

١١٤لخميس رجب ١٤٣٢هـ.

١٦ يونيو ٢٠١١م.

مقدمة

١- بـدأت الكتابـة في هـذا البحـث في أول يوليـو ٢٠١٠، ونحـن نعـاني في مصر المحروسة معاناة تاريخية ربما لم تشهدها عـبر تاريخهـا الطويـل، ومشكلاتها تتابع وأحداثها تتفاقم؛ احتجاجات طبقية ومهنية وفئوية لا تتوقف، تتدفق يوميا كنهر النيل، مئات وآلاف من الشعب المظلـوم، تـذهب تعـرض شكواها عـلى مجلس الشعب المزور، مثـل الفـلاح الفصيح، وتقـول في صـوت واحـد مـع ابـن حـزم (٤٥٦هـ) وهو يشكو مماليك الطوائـف: «اللهـم إنـا نشـكو إليـك تشـاغل أهـل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامـة ديـنهم، وبعـمارة قصـور - يتركونهـا عـما قريـب - عـن عـمارة شريعـتهم اللازمـة لهـم في معـادهم ودار قـرارهم، وبجمـع أموال - ربما كانت سبباً إلى انقـراض أعمارهـم وعونـاً لأعـدائهم علـيهم - عـن حياطة ملتهم التى بها عزوا فى عاجلتهم، وبها يرجون الفوز فى آجلتهم.»

كانت الجماهير تجأر بالهتاف تعبر عن الظلم الواقع على كاهلها، وتصرخ تستغيث من الفساد والإفساد والاستبداد والقهر ووأد كرامة الإنسان وتغييب وعيه وحريته ووجوده، وتئن من ارتفاع الأسعار وتدهور الحياة المعيشية، فلا يقابلها النظـام إلا بـالأمن المركـزي؛ بعصيه الغليظة وقنابله الحارقة المسيلة للدموع والبكاء وجلب الأحـزان وهراواتـه القاتلـة وعقول رجاله المتخلفة؛ فهي لا ترى ولا تسمع ولا تفهم، والأوامر الصارمة التي تستهين بحياة البشر فنحن في نظرهم حشرات لا تستحق إلا السـحق بالأقـدام، نظـرة متعاليـة إلى أفراد الشعب فهم يملكون القوة والثروة وأمريكا تقف من خلفهم، علاوة على الاستهتار واللامبالاة من النظام، هذه نقطة؛

النقطة الثانية علاقة النظام مع إسرائيل؛ فرئيس الدولة جاثم في شرم الشيخ لـيس لـه عمل ولا وظيفة ولا هموم داخلية و لا تفكير، إلا حماية إسرائيل وتأمين حدودها وخدمة

مصالحها بطريقة مستفزة لمشاعر المصريين بخاصة ومشاعر العرب بعامة، ووصل الأمر أنه تفرغ فترة سنوات وسنوات لإنقاذ «الجندي الإسرائيلي» الأسير لدي حماس ويقابل رؤساء هذا الكيان الغاصب أكثر مما يقابل قادة العرب، وكل التصرفات والأفعال والأقوال تؤكد حماية هذا النظام الفاسد، للكيان الاستيطاني الغاصِب والدفاع عنه.

لقد نسى هذا الرجل أو تناسى «أن ما حدث في فلسطين يمثل جريمة، وهي بتعبير رجال القانون تعتبر جريمة مستمرة» (١)

أضف إلى ذلك امتلاك إسرائيل للسلاح النووي بالقرب من القاهرة «، وهي دولة عدوانية خاضت أربعة حروب ضد مصر في مدى نصف قرن، وهي دولة استيطانية تعتمد على الكذب والتوسع والعدوان، فإذا لم تكن فلسطين في هذا الإطار ذات أهمية أمّنية لمصر، وإذا لم تكن إسرائيل بوصفها الحاضر مجال خطر يتهدد الأمن المصري والسوري واللبناني فما هو الخطر إذاً؟ إن من لا يدرك مخاطر ما نحيا فيه الآن من ظرف سياسي وعسكري محدق بنا، من لا يفعل يكون مفرطا في حق مصريته فضلا عن أن يكون مفرطا في عروبته وإسلاميته». (٢)

الحمد لله التاريخ له ذاكرة قوية لا تنسى شيئا ولا يصيبها «الزهايمر»، وصفحته طويلة عريضة تسجل الأحداث الإيجابية والسلبية والمؤرخون متأهبون لتسجيل الشاردة والواردة، أقلامهم في أيديهم وأوراقهم منشورة أمامهم، وقلوبهم مشحونة بالغضب والسخط، وعقولهم تحلل كل الوقائع وتستنبط النتائج ولا ترحم كبيرا ولا صغيرا.

ظل هذا النظام الفاسد المستبد يستهين بمقدرات شعب النيل؛ يسرق أقواته وينهب ثرواته ويزور انتخاباته، ويسفه طموحاته ويهدم مؤسساته التعليمية و العلمية، ويفسد أخلاق المفكرين والعلماء والمشايخ والقضاة بالإغراء بالمناصب ومنح المزايا والهبات والرواتب والبدلات، وإيقاعهم في شبكة الفساد، وبؤرة المؤامرات، ويبيع مصانعه لمجموعة من المغامرين النصابين اللصوص ويشاركهم في نهب عرق الشعب النبيل،

(١) طارق البشري : العرب في مواجهة العدوان ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ص٣٣

(٢) طارق البشري : العرب في مواجهة العدوان ص ١١

ويدمر متعمدا واعيا الزراعة التي هي عصب الاقتصاد، ويعول على الاستيراد خدمة لهؤلاء الأفاقين الذين أمسكوا بزمام السلطة والمال، وفي الوقت نفسه، يجرح مشاعر الشعب العربي بردوده المتهافتة و مواقفه المخزية، واستخذائه أمام العدو الغاصب وانبطاحه أمام إسرائيل وأمريكا، وأوشكت شمس المحروسة أن تغرب، وخفت صوتها وانسحب ضوؤها من دول آسيا وإفريقيا وانكمشت داخل حدودها مثل الشرنقة الذابلة أو الرجل المريض، أو الشيخ المحتضر الذي داهمته الأمراض في جسده وأصبحت «المحروسة» في ذيل الدول تعاني من الأمراض الخارجية والداخلية، لقد انسحقت من الفقر والذل والفساد وخرجت من التاريخ.

٢- في ٢٥ يناير ٢٠١١، استيقظت المحروسة تغسل وجهها في مياه النيل المتدفقة، وتعانق النجوم في السماء، وتحرك أبو الهول ونزل إلى ميدان التحرير، وانطلق البركان الثائر وخرج الشعب من سجنه الرهيب يكسر قيوده، يقوده شبابه الغض هادرا كمياه النيل عند أسوان صامدا في وجه البطش والعسكر والطغيان مثل الأهرام، وتقدمت جموع الشعب الطيبة بقلبها الأخضر مثل أرضها الطيبة؛ تزرع البسمة والأمل في العيون، وتعيد البهجة إلى القلوب وتطلق الضحكة من سجنها فتملأ الفضاء سخرية واستهانة من جلاديها، انطلق المارد من قمقمه وخرجت الملايين منفجرة في وجه الطاغوت معلنة العصيان والتمرد والثورة، وقاومت بصلابة جرانيت مسلاتها الشاهقة و عزيمة بناة السد العالي وإصرار جنود أكتوبر، وضحت بأبنائها أطفالا وشبابا رجالا ونساء، ثم أخيرا انتصرت انتصارا ساحقا استيقظ العالم كله على وقع خطوات الشعب الواثقة الوثابة وصوته الهادر وهتافه المدوي وانتصاره الباهر، وسقط النظام برموزه الفاسدة ومؤسساته الفاشلة وشعاراته المزيفة سقوط أوراق الخريف أمام العواصف المدمرة، إنهار انهيارا سريعا بأسرع مما كان يتصور الثوار أنفسهم، انهيار البيوت القديمة الآيلة للسقوط. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]

؛ نعم إن الباطل لا يستطيع أن يقف أمام الحق وحتمية التاريخ ومعطيات العقل وأوامر الرب تؤكد أن الانتصار يكون لأوليائه المتقين المدافعين عن حقوقهم، الذين يضحون بأرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الحق، وقيم العدالة ومقررات الدين، و زوال الباطل بكل ما يمثله من أفك ومؤامرات وشرور وسيئات وظلام وظلمات.

هكذا أشرقت شمس الحرية على «مصر المحروسة» ولدت ولادة روحية جديدة، حطمت أغلالها، كسرت قيودها، عادت الروح إليها وعادت إلى حضن أمتها العربية الكبير، تتكلم بلسان عربي مبين، وليس بلسان عبري خافت ذليل مهين، تشارك مع أمتها العربية في بناء مجدها وتعيد صياغة آمالها وطموحها وتاريخها من جديد على قواعد الحق والعدل والحرية وتكافؤ الفرص والتسامح والمحبة ومنظومة القيم الأخلاقية التي تستند إليها الحضارات في نهضتها و رقيها وتقدمها.

نعم إن «الشعوب الراقية تؤدب حكامها؛ والشعوب المنحطة تُفرعن حكامها وتؤلههم، على حد تعبير جمال حمدان (١٩٢٨-١٩٩٣)صاحب شخصية مصر وفيلسوف الجغرافيا.(١)

حرس الله المحروسة من كل شر وسوء، وكلأها بعنايته ورحمته، ورعاها بعينه التي لا تنام، وأفاض عليها من عطائه الأبدي ووجوده السرمدي، وأمدها من خزائنه التي لا ينفذ معينها، وحفظها أمنا وأمانا لأبنائها المخلصين، وشعبها الأمين، وحصنا حصينا لأمتها العربية الفتية التي وقفت بجانبها وساندتها في الملمات والأزمات، آمين يارب العالمين ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩] صدق الله العلي العظيم.

٣- قد يسأل سائل ما علاقة هذه المقدمة بموضوع البحث؟

وأجيب إن العلاقة بين الواقع الذي أعيشه وما أكتبه علاقة عضوية، فالكاتب ابن بيئته ونتاج محيطه الاجتماعي والسياسي؛ يعيش في مجتمع يتأثر بمجريات الوقائع فيه،

---

(١) جمال حمدان : مذكراته الخاصة ، تقديم ، عبد الحميد حمدان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠١٠ ، ص ٥٥ ، ترجمته في ، محمد خير رمضان : تتمة الأعلام للزركلي ، المجلد الأول ، دار ابن حزم ، بيروت ٢٠٠٢، ص ١١١.

والأحداث تنعكس على مشاعره، ووجدانه وعواطفه، وتوجه فكره وسلوكه، وتشكل رؤاه، وتحدد أبعاد شخصيته وتفرض عليه سبل اختيار منهجه؛

وفي ضوء ذلك فإن ما كنت أكتبه منذ أول لحظة كان محملا بالمرارة، كأني أشرب الحنظل، ومن أول سطر كان مملوءً بالألم والحزن والهم العام على هذا الوطن ولا أستطيع أن أنفصل عن هذا الوضع المؤلم و الواقع المهزوم والحال الذي صرنا إليه، أصبحنا فيه غرباء ونحن نعيش فيه وعلى أرضه الطيبة، ويهجم عليّ سؤال ينغرز كالسيف في عيني و قلبي؛

هل هذه مصر التي أحببناها ودافعنا عنها سنوات وسنوات؟

هل هذه أرض النيل الخالد والصهاينة ينتشرون في أنحائها يمرحون و وعلى أبنائها يتجسسون، ومن خيرات اقتصادها ينهبون ويسرقون؟

هل هذه مصر التي يتاجرون في أرضها بالقطاعي والجملة؟

هل هذه مصر التي يبيعون مصانعها السامقة «برخص التراب» التي بنيت في الستينيات بعرق الشعب ودموعه وطموحه وكفاحه؟

إحساس مدمر بالاغتراب، فأنت غريب في وطنك غريب عن ذاتك ومجتمعك!غريب مثل غربة أبي حيان التوحيدي (٤٠٣هـ) التي عبر عنها في «الإشارات الإلهية»، يتهاوى الإحساس بالانتماء داخل الأعماق، و يتآكل مثل الشاطئ الذي يجرفه نحر البحر، وتموت العواطف النبيلة داخل الإنسان وتصبح مثل الوردة الذابلة؟

ما الإنسان إلا مجموعة مشاعر وأحاسيس وعواطف وانفعالات، لذلك كان الإنسان يموت يوميا ألف مرة ومرة، حينما يرى كل شيء في وطنه ينزوي ويتآكل ثم يتهاوى و يندثر!!

أما حينما انتصرت الثورة المصرية بسواعد أبنائها ودماء شبابها وغضبة شعبها، فقد عادت الروح إليّ، وعاد الإحساس بانتمائي ووجودي إنسانا يتنفس بكرامة وحرية، ويمارس عمله بطلاقة وشجاعة؛

تحررت من الخوف الخارجي الذي يعد علينا أنفاسنا ويتتبع خطواتنا كظلنا ويتنصت على كلماتنا وصمتنا، تحررت من الخوف الداخلي الذي زرعوه في نفوسنا وتحت مسام جلودنا، وبثوه في ذاتنا ونشروه حولنا؛

شعرت بكينونتي وذاتيتي في وطني وخارج وطني، عدت إلى صدر وطني الدافئ وعاد وطني إليّ.

لا جرم أن هذه الروح هبوطا وصعودا، سلبا وإيجابا حزنا وفرحا؛ تؤثر في مسار كتاباتي عن المستشرقين اليهود وغير اليهود.

٤- باديء ذي بدء أحب أن أقرر إن كراهيتي لإسرائيل ليس لها حدود «فهي رأس جسر غربي، بل نوع جديد من الاستعمار الغربي في المنطقة» على حد تعبير عبد اللطيف الطيباوي (ت ١٩٨١)، وسوف أكرهها وألعنها وأنا في قبري إلى يوم القيامة؛ وأعتقد أن أدلتي قوية وحيثياتي جاهزة وبراهيني ساطعة؛ فإن ما رأيته من هذا الكيان الغاصب منذ أن وعيت هذا الوجود أري أننا بصدد عدوان مستمر؛ فقد كنت طفلا رضيعا حينما اغتصبت فلسطين (١٩٤٨) وصبيا حينما شاهدت العدوان الثلاثي في (١٩٥٦) وشابا في عدوان يونيو (١٩٦٧)، ورأيت سقوط المشروع النهضوي الذي قاده عبد الناصر، وجُندت في أواخر (١٩٦٧) في الجيش المصري مع مليون شاب مثلي، وعشت حرب الاستنزاف ورأيت بعيني زملائي الذين استشهدوا، والمدن التي دمرت، والمزارع الخضراء التي أحرقت، والمصانع التي نقلت، وغارات إسرائيل على جبهة القتال التي كانت تتواصل أحيانا طوال اليوم وقنابل الألف رطل التي كانت تتهاوى على رؤوسنا بلا توقف كأمطار المناطق الاستوائية، ثم غاراتها على العمق المصري؛ في أبي زعبل والخانكة وبحر البقر، والمنصورة، علاوة على مدن قناة السويس التي أصبحت مهجورة وتم تدميرها بواسطة مدفعية العدو وطيرانه. لقد ضاع من عمري سبع سنوات (١٩٦٧-١٩٧٣)، ومعي مليون شاب في ريعان الشباب، أمضيناها في محاربة العدو الصهيوني الذي اعتدى على أوطاننا ودمر مدننا وبدد

جهود شبابنا واستنزف ثرواتنا وأضعف اقتصادنا وشتت شمل أمتنا.

٥- على أنني حاولت أن أفرق بين كراهيتي لهذا الكيان الغاصب، ودراستي التي تدور حول المستشرقين اليهود، فليس كل يهودي صهيوني، لكن من المؤكد أن كل صهيوني يهودي، وفي ضوء ذلك تحليت بأول قاعدة من قواعد المنهج العلمي؛ وهي الموضوعية، أي استبعاد مشاعري الذاتية وأهوائي الشخصية، ورؤيتي القومية، وأنظر للمستشرق كما هو في الواقع من الناحية العلمية، من حيث كونه إنسانا عالما يبحث عن الحقيقة، وأن جهوده المبذولة ومؤلفاته التي وضعها سارت على قاعدة الإنصاف والسعي إلى المعرفة، وبالجملة يريد أن يقدم جوانب معرفية ورؤى علمية تخدم الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الإنسانية.

ولذلك مدحت الكثير منهم ونوهت بمكانتهم في تاريخ الاستشراق، فلاشك أن «العالم العربي الحديث يقدر الجهود الرائعة التي بذلها المستشرقون في إحياء هذا التراث، ونشر كثير منه علي المناهج العلمية الدقيقة التي توخاها الأوربيون في نشر روائع الآداب اليونانية واللاتينية. ولكن هؤلاء المستشرقين لم ينشروا من هذا التراث إلا قليلا فلهم فضل السبق إلى الخير، ولهم فضل الإرشاد إلى مناهج التحقيق والتدقيق والاستقصاء في استكشاف الكتب واستخراجها والدلالة عليها ونشرها نشرا صحيحا أو مقاربا، ثم استغلالها بعد ذلك في وجوه البحث العلمي الرائع الخصب.»[(١)]

وعلى الرغم من هذا الإطراء المبالغ فيه و الحماس الزائد في هذه الشهادة، فهذه قضية لا ننكرها، ولكننا نعترف بها ونذكرها دائما ونقدر جهود المستشرقين.

يقول د.عبد الرحمن بدوي (١٩١٧-٢٠٠٢): «يشاء الله أن يهب الإسلام من الأوربيين من يؤرخون له كسياسة فيجيدون التأريخ، ومن يبحثون فيه كدين وحياة روحية فيتعمقون هذا البحث ويبلغون الذروة فيه أو يكادون، ومن يقبلون على الجانب

---

(١) أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب، مجالس ثعلب، القسم الأول، تح عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، بدون / ص ٦، من المقدمة التي كتبها طه حسين وآخرون.

الفيلولوجي [١] منه فيظفرون بنتائج على جانب من الخطر كبير. فكان له على رأس الأولين يوليوس فلوزن، وعلي رأس هؤلاء الأخيرين تيودر نِيولدكه، وكان سيد الباحثين فيه من الناحية الدينية خاصة والروحية عامة؛ اجنتس جولد تسيهر.» [٢]

لا يضيرني أن أعترف بأنني لم آخذ كلام أستاذي د.بدوي حقيقة مسلما بها، أو أقبله على إطلاقه، فقد توقفت طويلا عند جولد تسيهر وناقشته مناقشة طويلة، وقبلت منه ما يتفق مع ديني وعروبتي وضميري العلمي ورفضت ما يتعارض مع ذلك. [٣]

، لقد اتخذت معيارا قيّمت به جهود المستشرقين اليهود، وهو بواعث جهودهم، والدوافع التي تقف خلف هذا المجهود الرائع، أمن أجل خدمة العلم الإنساني وكشف كنوز الشرق وتاريخه ومن أجل المعرفة وتقدم الإنسانية ورقيها أم لتحقيق المشروع الصهيوني، والمسارعة في تحقيق هذه الأسطورة على أرضنا المقدسة؟

فإذا كانت الأولى وقفت منه موقفا إيجابيا، مثل «ماكس مايرهوف» وآخرون، أما إن كانت الثانية؛ فقد أزريت به وشهرت بأعماله ووضحت أين مكامن الضعف والتهافت في هذا العمل مثل «مارتن بلسنر»

نحن لا نهاجم الجماعات اليهودية لأنهم يهود معاذ الله، نحن نهاجمهم لأنهم اغتصبوا أرضنا وهتكوا عرضنا ودمروا زرعنا وهدموا بيوتنا، ونهبوا ثرواتنا وقتلوا أطفالنا ونساءنا ورجالنا وشيوخنا، واغتالوا علماءنا، وسرقوا الابتسامة من شفاهنا وحطموا البهجة في قلوبنا.

---

(١) المنهج الفيلولوجي التاريخي ؛ هو المنهج الذي يقرر أن دراسة حضارة ما يتم ن طريق تحليل النصوص الأصلية التي أنتجتها الحضارة تحليلا لغويا تاريخيا بناء على أسس محددة تحديدا دقيقا وعلى تحقيق المخطوط من آثارها .

(٢) موسوعة المستشرقين ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ٢٠٠٣، ص ١٩٧

(٣) من المعلوم أن د، بدوي في أواخر حياته غير رأيه في المستشرقين ، وهاجمهم هجوما شديدا بالأسلوب نفسه الذي مدحهم به ، فليس عنده الوسط الأرسطي ، وأخرج لنا كتابين متميزين في تفنيد آراء المستشرقين هما ، دفاع عن القرآ ن ، ودفاع عن محمد ، وقد استفدت منهما استفادة عظيمة ، وعولت عليهما في نقد موقف المستشرقين من الحضارة العربية الإسلامية .

٦- إن إشكالية هذه الدراسة تكمن في الإجابة عن جملة أسئلة؛ ما الدوافع الحقيقية التي تقف وراء جهود المستشرقين اليهود في ولوجهم هذا الباب؟

وما البواعث الحقيقية التي جعلتهم يبذلون هذا المجهود الكبير و يتجشمون المشاق في دراسة تراث الحضارة العربية الإسلامية وما أنتجته في كافة المجالات الدينية والتاريخية والفلسفية والسياسية والبحث عن المخطوطات والحصول عليها وقراءتها وتحقيقها ونشرها نشرة علمية دقيقة؟

ما موقف المستشرقين اليهود من المشروع الصهيوني سواء المعاصرين له أم غير المعاصرين؟ ورؤيتهم للحركة الصهيونية في أثناء الدعوة إلى إيجاد وطن لهم في فلسطين، أو بعد نجاح المشروع الصهيوني وتحقيق أحلامهم الخيالية وأساطيرهم التاريخية؟

هل هناك قواسم مشتركة نستطيع أن ندركها عند جمهرة المستشرقين اليهود، تسمهم بسمات محددة، وتضمهم في عقد واحد أو «سبحة واحدة» على الرغم من اختلاف حباتها ولونها وحجمها، أعني التباين الواقع بينهم من حيث البيئة التي نبتوا فيها وتمايز العادات والتقاليد، واللغة التي ينطقون بها، والعصر الذي عاشوا فيه؟وعلى الجملة على الرغم من التنائي في المكان والزمان واللغة؟

لقد تتبعت بعمل دؤوب، وصبر جميل، وجهد متواصل، البحث عن هذه الدوافع، ومحاولة الإجابة عن هذه الأسئلة بصراحة وصدق، متحريا الموضوعية، مقدرا أمانة الكلمة، ومسؤولية الكاتب، مدركا أهمية دور المفكر في مجتمعه والرسالة المنوطة به؛ يقول د.زكي نجيب محمود (ت١٩٩٣): «أنت إذ تقرأ ما كتبه آخرون فقد تقبل في صمت وقد ترفض في صمت فلا يؤرق ضميرك شيء، أما إذا كتبت ليقرأ الآخرون، فهنا تحس عند كل عبارة تخطها وازع الضمير يراجعك ويحاسبك، فتأخذ في نوع من إمعان فكرك فيما تريد أن تقدمه لقارئك وتتساءل عند كل كلمة: تُرى أهي الكلمة التي تؤتمن على حمل المعنى المراد نقله إلى الناس.» [١]

---

(١)- عربي بين ثقافتين ، دار الشروق ، القاهرة ، ص ٤١

٧- في نهاية كتابه موقف الاستشراق من السيرة، تساءل د.أكرم ضياء العمري، ما العمل في مواجهة ظاهرة الاستشراق؟وبلور إجابته في قوله: العمل يتلخص في جانبين:

الأول: أن نمثل أنفسنا أمام أنفسنا، بأن تقوم مؤسساتنا العلمية برسم الصورة الثقافية، والتاريخية، والعقدية لأمة الإسلام دون أن تخضع للأفكار المسبقة التي رسمها المستشرقون، فهذا جانب مهم وأولي، وهو أحرى بالاهتمام لأن فيه تحصينًا للأمة. والثاني: يتحقق إذا بلغنا المستوى المناسب من تهيئة أصحاب الخبرات فنقوم عندئذ بتمثيل أنفسنا أمام الآخرين وبلغاتهم» [(١)].

وأكد هذه الدعوة د.عابد الجابري (ت ٢٠١١) في قوله: إذا شعرنا بضرورة الرد عليهم فيجب أن يكون لا بصب اللعنات عليهم من الخارج بل بتحليل فكرهم من داخله والكشف عن دوافعه وأهدافه.[(٢)]

وهذا البحث مشاركة منا في الدفاع عن ثوابت أمتنا، ومساهمة في صد عدوان المعتدين، وكيد المفسدين، وإظهار جانب من الحقيقة الساطعة، وعرض موجز قدر الطاقة لجانبها المشرق، وإظهار سماحة الإسلام مع الآخر، وجهود رسولنا في إرساء القيم الخلقية والمثل العليا في قيادة المجتمع، وبرهان قاطع على أصالة الحضارة العربية الإسلامية، ودورها الريادي في خدمة التراث الإنساني.

٨- ينقسم هذا البحث إلى بابين؛ الباب الأول، يتناول نبذة مختصرة عن حياة المستشرقين اليهود ومسار حياتهم وجهودهم العلمية، وما بذلوه من تحقيق ونشر المخطوطات فضلا عن مؤلفاتهم وترجماتهم للمؤلفات العربية إلى اللغات الأوربية، وهنا مسألة أود لفت الانتباه إليها وهي؛ إنني فصلت بين قضيتين؛ الأولى، حينما عرضت سيرة حياة المستشرقين عرضتها كما وردت في المراجع،

---

(١) موقف الاستشراق من السنة والسيرة ص ٧٦.

(٢) محمد عابد الجابري : الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية ص ٣٣٥ (ضمن مناهج المستشرقين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس ، ١٩٨٥).

وأشرت إلى مؤلفاتهم وشرحت مضمونها قدر ما استطعت الرجوع إلى معظمها.

وقد وقفت موقفا محايدا ونقلت وجهة نظرهم بأمانة كما وردت في كتبهم، عن القرآن والرسول ﷺ والتاريخ الإسلامي.

الثانية؛ عقبت على وجهة نظر هؤلاء المستشرقين، ونقدت موقفهم، وتعاملت معهم من منظور وطني عربي إسلامي، وشرحت وجهة نظري فيما ألفوه من كتب وما عرضوه من آراء، وما طرحوه من أفكار. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، قمت بإعطاء فكرة لا بأس بها عن الكتب المخطوطة التي حققها المستشرقون اليهود أو ألفوها وأشرت إلى مضمون هذه الكتب وأعطيت القارئ تصورا وافيا وشرحا كافيا عنها وكذلك بالنسبة إلى علماء العرب الذين كانوا محل التحقيق والدراسة كلما أمكن ذلك، وأسعفتني المراجع، وواتتني الطاقة.

الباب الثاني؛ وقفت فيه موقفا تحليليا نقديا لدور المستشرقين اليهود في الحركة الاستشراقية، وتعاملت معهم من خلال نظرة شاملة ورؤية كلية، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول؛

في الأول عرضت القواسم المشتركة بينهم التي تجمعهم في صعيد واحد، استطعت أن استنبطها من خلال قراءة متأنية دقيقة لسيرة حياتهم وتتبع رحلاتهم وأعمالهم ودراسة نفسياتهم و معايشة أهدافهم وطموحاتهم. مؤمنا بعدم وجود «قانون واحد ينطبق على كل إنسان؛ فالإنسان يغير نفسه بإرادته الذاتية»[1].

الثاني؛ توقفت طويلا أمام الدوافع التي دفعتهم للاندفاع إلى ميدان الاستشراق وطرق أبوابه، وحاولت سبر أغوارهم وتعقب الأسباب الحقيقية، وكشفها أمام القارئ سواء كانت مقبولة في العقل أم مرذولة. وأسهبت في ذلك قدر طاقتي وما أفدته من المراجع وما استنبطته من بين السطور والكلمات.

(١) وحيد الدين خان : الدين في مواجهة العلم ، ت، ظفر الدين خان ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٧

أما الفصل الثالث والأخير، فقد تناولت فيه مبحثين في الأول، ناقشت موقف المستشرقين اليهود من الحركة الصهيونية، وقيام إسرائيل، وبخاصة أن طائفة منهم شهدت بداية الحركة الصهيونية وطائفة أخرى واكبت نجاح الحركة واشتداد عودها، وطائفة ثالثة شاركت في قيام الكيان الصهيوني على أرضنا السليبة.

وفي المبحث الثاني، ألقيت نظرة تقويمية لأعمالهم العلمية ووضعتها في ميزان النقد العلمي وأظهرت الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية بلا جور أو تحيز، ورائدي الأنصاف والنزاهة الفكرية.

وقد أنهيت البحث بجملة من النتائج التي استنبطتها من خلال القراءة والمعايشة لهؤلاء المستشرقين، وأيضا استنتجتها من رؤاهم وطموحاتهم، علاوة على ما توصلت إليه من مجريات الوقائع التي عشتها، والأحداث التي تلفنا، وما يحيط بنا من هموم وقضايا قد يبدو لها حل في المنظور القريب.والقضية تعتمد على همة العرب ووحدة كلمتنا وتوحيد صفوفنا وطرح مشروع نهضوي يضمنا جميعا نعمل من أجله وصولا للغد المأمول و ارتيادا لآفاق المستقبل.

٨- من الأمانة العلمية أن أشير أنني اعتمدت اعتمادا واسعا على «موسوعة المستشرقين» للدكتور بدوي، لاسيما فيما يتعلق بحياة المستشرقين ورحلاتهم ووظائفهم وإنتاجهم العلمي، وتقييمه لهم أحيانا، وعلى «سيرته الذاتية» التي كتبها في جزأين وفيها تعرض إلى سيرة بعض المستشرقين الذين عاصرهم في أثناء دراسته بكلية الآداب، جامعة القاهرة، وكذلك عولت على كتاب «المستشرقون» لنجيب العقيقي، ويعد من بواكير البحوث العلمية التي اقتحمت ميدان الاستشراق وأنارت دربه وكشفت ظواهره وقدمت جهود رجاله، وقد ركز على إنتاجهم العلمي أكثر من سيرتهم، وقسم كتابه على أساس الإقليم الجغرافي، فتكلم على الاستشراق الانجليزي ثم الألماني والهولندي والفرنسي والروسي والأسباني والأمريكي وهكذا، وبالجملة رسم معالم الطريق إلى الباحثين الذين يبغون ارتياد هذا المجال.هذه نقطة؛

النقطة الأخرى، تناول العديد من الباحثين حركة الاستشراق وناقشوا أبعادها من حيث التعريف والنشأة والدوافع والوسائل والنتائج، وهناك دراسات عامة كثر وجادة في هذا المجال، على أن جمهرة من الباحثين راموا التخصص و قصدوا تناول جانب واحد من الاستشراق، فقدم روتي بارت وصلاح المنجد دراسات عن الاستشراق الألماني، وذهب عبد اللطيف الطيباوي يبحث ويناقش الاستشراق الانجليزي، وعكف محمود المقداد يدرس ويقيم جهود الاستشراق الفرنسي، وبذل مازن المطبقاني وعلى النملة جهودا طيبة ومشكورة في تقديم الاستشراق الأمريكي وأساليبه الملتوية وكشف أغراضه الاستعمارية.

وهناك باحثون آخرون أسهموا في هذه المجالات كافة من خلال تناول قضايا علمية تتعلق بالقرآن والسنة وحياة الرسول والعقيدة والفقه والتصوف والمنطق والفلسفة والتاريخ الإسلامي....وتوفروا على مناقشة إفتراءات بعض المستشرقين والرد عليهم ردا علميا.

وبقي ميدان الاستشراق اليهودي بعيدا عن أنظار الباحثين، ولم يتم دراسته إلا من خلال ظاهرة الاستشراق بعامة، ولم أجد باحثا - حسب اطلاعي - تناول هذا المجال بدراسة خاصة، وقد قرأت مؤخرا دراسة عن الاستشراق الاسرائيلي في المصادر العبرية، وقد ناقش الباحث في المبحث السادس (ص ٨٣ -٩٣) الدور اليهودي والإسرائيلي في الحركة الاستشراقية الغربية، تناول فيه ثلاث شخصيات من المستشرقين اليهود بإيجاز شديد.[١]

آمل وأرجو أن تكون هذه الدراسة إسهاما في دراسة الاستشراق اليهودي ولبنة أضعها لمن يأتي بعدي ويبني عليها ولايهدم لكي يعلو البنيان، ويكشف جوانب أغفلتها أوغابت عني، ويسد النقص والثغرات ويضيف إلى مااستطعت أن أقدمه، فهذا جهدي وعملي وللناقدين كل الحق في قبول هذا العمل العلمي أو رفضه على أن يقدموا لنا

(١) محمد جلاء إدريس : الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية ، طبعة العربي ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥.

مسوغات القبول أو الرفض.

١٠- لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والمحبة والإعزاز إلى فضيلة الشيخ / خميس بن راشد العدوي، الباحث بوزارة الأوقاف العمانية، لتفضله بكتابة مقدمة البحث وترحيبه بذلك، فهو باحث مجد وأديب ذواقة وقارئ نهم ورجل طلعة، يتمتع بحس ديني عال؛ ويكون مع الدكتور زكريا المحرمي، وخالد الوهيبي، مدرسة فكرية مستنيرة تحاول التجديد في الفكر الإسلامي وفي منهجه، إذ تريد أن تشيد دعائم المنهج العقلي الذي كان له الصدارة في الحضارة الإسلامية، على أن يسير في خط مواز مع المنهج النقلي، وإعادة الروح إلى الإسلام الحركي النشط الذي يلامس قضايا الحياة ويغير واقع الناس إلى الأفضل، ويأخذ بيد المسلم إلى مدارج الرقي وطريق الاستنارة؛ وعلى الجملة، يحقق لهم الجنة على الأرض، مع عدم إغفال الفوز بالآخرة، ويخرج الإسلام من القمقم الذي حبس فيه طوال عصور التخلف و الظلم والاستبداد، إذ ظل يدور في قضايا الحيض والنفاس ومسح الرقبة، والمساحة التي يجب أن نبللها من شعر الرأس، ولم يتجاوز قضايا العبادات، والقضايا الهامشية التي لا تمس السلطة السياسية الحاكمة، وهذا ما قامت به الدولة الأموية ومن بعدها العباسية، وتم نفي الإسلام الحركي الحضاري خارج التاريخ.

يحاول هؤلاء الشبان الثلاثة أن يتسلحوا بالمنهج العلمي، والنظرة المستنيرة التي تخرج الإسلام من نطاق الشعائر والطقوس إلى نطاق الإسلام الحضاري بكل ما يمثله من آفاق رحبة تصنع حضارة معاصرة للمسلمين تنافس الأمم الأخرى.

وبالجملة فأنت أمام شباب طلعة محبون للعلم باحثون عن المعرفة، يحملون مصباح ديوجانس الكلبي.

وقد فاتحت الشيخ خميس العدوي، أن يكتب مقدمة لبحثي هذا، فاعتذر من منطلق أن العادة جرت أن يكتب الأستاذ مقدمة لتلميذه، وليس العكس، ومن المهم بمكان أن يكون صاحب المقدمة له حيثية وظيفية في السلم الاجتماعي، وصدارة علمية بصرف

النظر عن الواقع العلمي، ولكنني أردت أن أبني قاعدة أخرى لماذا لا يكون المعيار هو التفوق العلمي وسعة الاطلاع وليس الحيثية الوظيفية التي في الواقع لا تقدم ولا تؤخر، ومن ثم طلبت منه أن نكسر هذه القواعد البالية، ويكون معيارنا هو الأفضل والأحسن، وقد عرفت الشيخ خميس منذ سنوات وعرفت فيه الجد والإخلاص هو وزملائه، فناصرتهم في منهجهم، وأيدتهم فيما ذهبوا إليه وشددت على أيديهم، وشجعتهم على المزيد من العطاء، والحياة قادرة أن تغربل الأفكار ولن يبق في هذه الأرض إلا ما ينفع الناس ويمكث فيها، ويقدم لهم زادا معرفيا إيجابيا يقتاتون منه في حياتهم اليومية.

كنت أرجو أن أسمع وجهة نظر كثير من الزملاء فيما عالجته من إشكاليات، وما طرحته من أفكار، وما توصلت إليه من نتائج، لكن الإجابة كانت محزنة:

وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألفينك إني عنك مشغول

إذ إنني مؤمن بأن نتائج العقل الجمعي أفضل كثيرا من معطيات العقل الفردي، وأردد دائما حكمة أبي حيان التوحيدي (ت٤٠٣هـ) عن فهم واقتناع «ليس في الدنيا محسوب إلا وهو محتاج إلى تثقيف، والمستعين أحزم من المستبد، ومن تفرد لم يكمل، ومن شاور لم ينقص»[(١)]

كذلك من باب الاعتراف بالجميل، والإشارة إلى مساعدات الآخرين، أن أتقدم بالشكر والعرفان لأبنائي أمناء مكتبة معهد العلوم الشرعية، على ما بذلوه من جهد وما قدموه من مصادر ومراجع وخدمات، وما ذللوه من عقبات ومشكلات، فجزاهم الله خير الجزاء.

١١ - إن الحياة منحة من الله، لذا تستحق أن نحياها بكل أبعادها ونحقق فيها بعض ما نطمح إليه عن طريق العمل الشاق والجهد المبذول والعرق المسفوح والنضال المستمر والكفاح المتواصل، ونلغي من قاموسنا «كلمة المستحيل» فتهبنا الحياة ما كنا نأمل فيه، وما حلمنا به، بعضه أو معظمه؛ متسلحين بقواعد الإيمان والعقل

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، تح أحمد أمين، وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٢، ج١/ ٦٥

المستنير، مؤمنين بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. [يوسف: ٩٠]

فلا شك أن «الأعمار تقاس بالمآثر والأعمال لا بطي السنين والأزمان.»[1]

ولما كانت أعمارنا هبة من العزيز القدير فعلينا أن نصيغها في عمل مثمر وإنتاج نافع يرقى بأمتنا إلى مدارج المجد والمكانة التي تستحقها، والمرتقى الصاعد إلى الآفاق.

نتوجه إلى العلي القدير بقلوبنا وعقولنا أن يهبنا الصحة والعافية والعزيمة والقوة والرشاد والتوفيق، لكي نواصل الطريق في الدفاع عن القيم الخلقية والمبادئ الإنسانية وقواعد الدين، ومقررات الشريعة، إنه سميع مجيب، نعم المولى ونعم النصير.

محمد الزيني

مدينة روي العامرة. سلطنة عمان

في ٢١رجب١٤٣٢ هـ

٢٣ يونيو ٢٠١١

(١) مرحبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ج١/ ٨٥



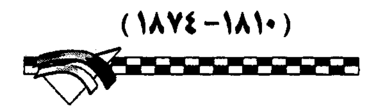
الباب الأول

سيرة حياة المستشرقين وجهودهم العلمية



١ - أبراهام جيجر abraham Geiger

(١٨١٠ - ١٨٧٤)



أولا: نبذة عن حياته:

١- ولد أبراهام في فرانكفوت عام (١٨١٠) تلقي تعليمه الديني على يد أخيه سولمون جيجر، وتزود بثقافة تلمودية واسعة قبل أن يواصل دراسته في الجامعة، ولما كانت اللغة اليونانية تحتل مكانة كبيرة في أوربا وتعد لغة المثقفين لاسيما عند الفلاسفة، فقد أقبل على هضمها وتعلمها، وكذلك درس اللغة العربية بمعاونة فريتاج (١٧٨٨- ١٨٦١) الذي شد من أزره، هذا التوجه لدراسة العربية ربما لأسباب تاريخية ورغبة دفينة في فهم الدين الإسلامي وموقفه من اليهودية، علاوة على سبر غور الثقافة الإسلامية، وكان ذلك في جامعة هيدلبرج وجامعة بون.

وبعد أن اشتد عوده وتكون تكوينا دينيا واسعا، وأحاط بأسس ديانته وتاريخها ودورها في التاريخ، رُ سّم حَبرا في الكنيسة اليهودية عام (١٨٣٢) ومسايرة لنزعته الإصلاحية حاول إصلاح الكنيسة اليهودية وبخاصة ما يتعلق بالصلوات، وفي السياق نفسه أصدر مجلة بعنوان «المجلة العلمية للاهوت اليهودي» لتفسير العقيدة اليهودية ونصوص الكتاب المقدس، والتنويه بكبار علمائهم ودورهم في خدمة الفكر اليهودي.

ثم تابع مسيرته فعقد اجتماعا موسعا للأحبار ذوي النزعة الإصلاحية عام (١٨٣٧) واختير حبرا في مدينة «برسلاو».

ومن الواضح أن الرجل كان ذا همة عظيمة، وآمال طموحة للترقية بالجالية اليهودية التي تعيش في ألمانيا والعمل علي ترابطها ووحدتها، و كان معنيا بالمحافظة علي عاداتهم و تقاليدهم، علاوة على تثقيفها وشرح عناصر اللاهوت اليهودي، لذلك سعي بدأب إلى تأسيس مدرسة للدراسات الدينية في مدينة برسلاو، ومعهدا لدراسة اللاهوت اليهودي، فضلا عن أن اللغة العبرية كانت حاضرة في وجدان طائفته وموضع عناية فائقة ورعاية ظاهرة في جميع المجالات، ولم يهدأ له بال ولم يقر له قرار حتى صار حبرا للجماعة

الإصلاحية في فرنكفورت ثم في برلين نفسها.وفي عام (١٨٧٢)استطاع جيجر أن ينشئ مدرسة عليا لعلم اليهودية، ثم ترأس إدارتها والإشراف عليها إلى وفاته عام (١٨٧٤).[١]

ثانيا: جهوده العلمية:

من الواضح أن جهد جيجر مكرس لخدمة طائفته اليهودية، ونشاطه كله مركز في هذا الاتجاه، ومن ثم نرى أنه لم يول مجال الدراسات الإسلامية إلا جهدا ضئيلا يتلخص في الآتي:

١- كتابه «ماذا أخذ محمد من اليهودية؟» طبع في بون عام (١٨٣٣) وليبزج عام (١٩٠٢) وعام (١٩٦٩)

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- هذا مستشرق[٢] يهودي من أحبار اليهود، ومن رُواد حركة إصلاح اليهودية الألمانية، يعد ضمن منظومة المتعصبين ضد الإسلام ونبيه الكريم، لم يستطع أن يقرأ أسس الدين الإسلامي قراءة محايدة، ويفهم أنه دين من الأديان التي أُنزلت من السماء لهداية الأرض وإنقاذها من الحقد والحسد والغلو والقتال والحرب، ولم يحاول أن يفهم أن القرآن كتاب الله المنزل مثل باقي الكتب السماوية التي

---

(١) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٢٢، وأيضا يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، ت، عمر لطفي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٧٥.

(٢) نشرت كتابا كاملا عن الاستشراق والتنصير (عام ٢٠١٠)، وشرحت فيه بعض التعريفات لمفهومه وأهدافه ووسائله، ونقول: المستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق؛ سواء كان ذلك في مجال الأنثربولوجيا أي علم الإنسان أو علم الاجتماع أو التاريخ أو فقه اللغة، وسواء أكان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة، وعلى الجملة؛ فالاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التميز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى الشرق وما يسمى الغرب .والآن أصبح المتخصصون يفضلون مصطلح الدراسات الشرقية .(إدوارد سعيد: الاستشراق؛ المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، .رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.)ويعرفه مالك بن نبي: إننا نعني بالمستشرقين؛ الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية .(إنتاج المستشرقين، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٩ ص ٥)أما مكسيم رودنسون فيقول: التوجه العلمي للبحث حول البلدان الإسلامية في الشرق وحضاراتها.

أرادت أن تضع مبادئ قويمة وأسسا رشيدة ومعالم هادية على طريق البشرية كي تسترشد بنورها وتستضيء بتعاليمها، وتتبع خطواتها.

٢- نحن أمام شخصية قوية محبة لقومها، متفانية في خدمة دينها، ساعية للارتقاء بثقافة طائفتها، عاملة على لَمّ شتاتها وتنظيم جهودها، وإثبات جدارتها داخل المجتمع الألماني، على الرغم من الكراهية الواضحة التي كانوا يعانون منها، والنبذ الاجتماعي الذي يلاقونه نظرا لسوء مسلك طائفته وحذرها الدائم من الآخرين، وعدم رغبتهم في الاندماج في نسيج المجتمع أو المشاركة في بنائه بإخلاص، والمساهمة في رقيه.

٣- على أن المدهش في شخصية هذا الرجل، والذي يستحق الإعجاب والتقدير، وعلى الرغم من نزعته الإصلاحية التي نوهنا بها، إلا أنه كان من دعاة توطين اليهود في البلاد التي استقروا فيها، وطالب باندماجهم في لحمة المجتمعات التي يعيشون فيها وسدتها لأنها هي وطنهم الحقيقي، وحث بني دينه على تأكيد الولاء للأوطان التي درجوا على أرضها واستظلوا بظلها ونعموا بخيراتها، فهي أوطانهم الحقيقية، وكان لهذا الاتجاه مناصرين كثر تحمسوا لتوطين اليهود في البلاد التي يعيشون على أرضها، مثل باقي الديانات الأخرى.

ولاشك أن هذا الموقف دعاه إلى محاربة دعاية الحركة الصهيونية التي كانت تنتشر بين الطائفة اليهودية وتحاول أن تستقطب لها أنصارا لجمع التبرعات، وترويج فكرة العودة إلي جبل صهيون في فلسطين، وتزيين هذه الدعوة، وتحسين هذا المسلك، والعمل النشط علي الهجرة إلى فلسطين و إتباع سياسة النفس الطويل الذي يأتي ثماره الناضجة مع الصبر الطويل وكر الأيام وتوالي السنين.

لذلك سعي جيجر إلى حذف كل ما يميز اليهود عن باقي الشعوب الأخرى، وتجاهل كل ما جاء في كتاب الصلوات كل إشارة للعودة إلى صهيون، بل إنه عارض إقامة الصلوات باللغة العبرية نظرا لقلة من يعرفونها من اليهود.

الحقيقة أن هذا هو الحل الأمثل، والحل الطبيعي الذي يتفق مع وقائع الحياة ومنطق

التاريخ، إذ لا يوجد في العالم دولة تقوم علي أساس عامل الدين، وكل دول العالم تضم جنسيات متعددة، وأديان متباينة، وأعراق مختلفة، وطوائف متنوعة، ولم نسمع أن هناك دولة عنصرية الدين لا تضم إلا أصحاب دين واحد، والحل يكمن في استقرار الجماعات اليهودية في الدول التي يعيشون فيها مثل باقي الديانات الأخرى، ومن ثم لا توجد مشكلة أساسا، ومنطق القوة الذي فرضه الكيان الصهيوني مضادا لحركة التاريخ ومنافيا لوقائع الوجود، وخلق مشكلات مزمنة لهذا الكيان يعاني منها منذ قيامه إلى يومنا هذا، وحركة التاريخ تؤكد فشله في مستقبل الأيام ومنطق الوجود يؤكد ذلك إن آجلا أو عاجلا، وإن غدا لناظره قريب.

من المهم الإشارة أن الفيلسوف اليهودي اسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) كان من دعاة توطين اليهود في الأوطان التي ولدوا وعاشوا فيها، ويرى: إن اليهودية ليست وطنا ولا قومية ولا جنسا، ولكنها عقيدة وشريعة ممكن ممارستها في أي مكان مع بقاء اليهودي مواطنا مخلصا لمولده ومسقط رأسه، ويؤكد أن الله يقبل صلاة اليهودي في أي مكان ولم يشترط لصحتها أن تكون في القدس، ويعد المعبد اليهودي في إمستردام بالنسبة له معادل تماما عند الله لهيكل سليمان.[١]

٤- الإشكالية عند بعض المستشرقين أن عندهم قناعات راسخة وفروضاً متعسفة واعتقادات شبه يقينية أن الإسلام نسخة من الديانات السابقة، و الرسول ﷺ اقتبس أغلب مبادئه وتعاليمه من الكتب المقدسة، فالمستشرق اليهودي يهرع لكي يعقد مقارنة متعسفة بين نصوص التوراة وآيات القرآن الكريم، ويظل ينقب عن أوجه النظائر بين كتابه والقرآن والقصص الواردة فيهما، ثم يصيح محمد استمد هذه المعارف من التوراة، والمسيحي يفعل الشيء نفسه بين ما جاء في الأناجيل وما ورد في القرآن.

٥- بصدد ما قام به إبراهام يدخل في هذا الإطار، فيقوم بالربط التعسفي بين ما جاء في العهد القديم وآيات القرآن، ويجهد نفسه في تعقب الألفاظ، والآراء العقائدية

---

(١) حسن ظاظا : أبحاث في الفكر اليهودي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ص ٩٨/ ٩٩

والتعاليم الدينية، ويعقد مقارنات ومقابلات أبعد ما تكون عن الحقيقة، ويظل يبحث عن أوجه الأشباه والنظائر مهما كانت غرابة المقارنة، علاوة على أنه لم يعتمد في هذه المقارنة سوى المصادر العبرية التي يرجع تاريخها إلى ما قبل البعثة المحمدية، ولاشك أن هذا منهجا مبتسرا يخالف أسس المنهج العلمي.(١)

مثار الدهشة أن جيجر لا يقف ليواجه نفسه ويعترف بأن الرسول ﷺ رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، بشهادة المعاصرين له من قريش وبخاصة أن المشركين الذين كانوا يناوؤن دعوته، ويعارضون جوهر مبادئه ليل نهار ويترصدون خطواته كانوا يقرون بأميته، ولو كان غير ذلك لهاجمه هؤلاء المشركين واتهموه أنه يؤلف القرآن من عنده أو أنه اقتبسه من كتب أهل الكتاب، وقد عاش الرسول ﷺ بين ظهرانيهم أربعين عاما رجلا أمينا صادقا اشتهر بالأمانة والشرف و عفة اللسان ولين الجانب وصدق في القول وسماحة في التعامل.

٦- في كتابه «ماذا أخذ محمد عن اليهود؟» تحامل فيه على الرسول ﷺ تحاملا شديدا، ويأتي الكتاب ضمن سلسلة طويلة من الكتب التي وضعها القساوسة و الرهبان والباحثون الأوربيون والمستشرقون عن رسول الإسلام؛ فمنهم من أنصفه عن اطلاع واسع و دراسة مستوعبة وقناعة كاملة، مثل يوهان رايسكه (١٧١٦-١٧٧٤)، ومنهم من هاجمه دون إدراك لحقيقة تعاليمه السامية ومبادئه الأخلاقية هجوما بعيدا عن الآداب العامة والخلق الإنساني، مثل مارتن لوثر (١٤٧٣-١٥٤٦)، ومنهم من ظل موقفه متذبذبا بين المدح والذم والدفاع والهجوم مثل فولتير(١٦٩٤- ١٧٧٨)

يقول جوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٣١): «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد ﷺ من أعظم من عرفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب ينصفون محمداً ﷺ مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله».(٢)

لكي نصدق كلام جيجر علينا أن نفترض أن محمدا ﷺ كان يعرف العبرية

(١) يوهان فوك: المصدر السابق ص١٧٦
(٢) حضارة العرب، دار العالم العربي، القاهرة، ص ١١٦

والسريانية واليونانية، وعنده مكتبة ضخمة تحوي آلاف المراجع ونصوص التلمود والأناجيل الأربعة وقرارات المجامع الكنسية، واختلافات المذاهب المسيحية و مؤلفات كبار أدباء اليونان وفلاسفتهم.(١) هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن الرسول ﷺ يأتي ضمن هؤلاء الرسل الكرام الذين يرسلهم الله لهداية هذا العالم الظالم المنحرف عن المنهج الإلهي، فيرشده إلى طريق الخير والرشاد، وينير له دربه المظلم بنور الحق ومبادئ العدالة، والرسول ليس بدعا من الرسل.

وأمامنا خيار واحد؛ إما أن نؤمن بأن الله يختار من عباده من يشاء فيرسله بتعاليم مفهومة وموثقة في نصوص معلومة للجميع ويؤيده بنصره ورسولنا يأتي ضمن قافلة الرسل التي أرسلت إلى البشر لهدايتهم والأخذ بأيديهم إلي طريق النور؛ وإما أن ننكر الاصطفاء الإلهي كلية ونقول ليس هناك تواصل بين الأرض والسماء، ولا نؤمن بقضية الرسل كافة!!؟.

يقول أحد الباحثين: «هل مبدأ جواز اتصال السماء بالأرض عن طريق الوحي مبدأ مسلم به أم لا؟ إذا كان هذا المبدأ مسلما به فلا معنى لأن تحتكره اليهودية والمسيحية وتمنعه عن الإسلام! وإذا لم يكن مسلما به فلا مجال للديانات جميعا؟!» (٢)

٧- اعترف كثيرا من المستشرقين ومنهم جولد تسيهر الذي ينتمي إلى نفس طائفته بتحامله الشديد علي الرسول ﷺ، وآرائه المجافية للحقائق العلمية، والربط التعسفي بين ما ورد في نصوص الكتاب المقدس وآيات القرآن.

يقول لوفيكو مراكشي (١٦١٢- ١٧٠٠): إن الدين الإسلامي احتفظ بكل ما هو أكثر عقلانية واحتمالا في المسيحية وبكل ما يبدو في نظرنا موافقا لسنة الطبيعة وقانونها، وقد استبعد من عقيدته كافة ألوان الغموض الموجودة في الإنجيل، والتي تبدو لنا غير معقولة وغير مفهومة (مثل فكرة الخطيئة والتجسد والصلب) كما أنه استبعد من الأخلاق

---

(١) عبد الرحمن بدوي : دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، ترجمة ، كمال جاد الله ، الدار العالمية للكتب ، ص٢٤

(٢) حمدي زقزوق : الإسلام في الفكر الغربي ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ص٧١.

كل المبادئ المتزمتة والتي يصعب على الناس تطبيقها (الرهبانية) مما جعل الوثنيين يشعرون أنهم أكثر ميلا إلى التنكر لوثنيتهم واعتناق الإسلام بصدر رحب وفهم الشريعة المحمدية أكثر من الديانة الإنجيلية.(١)

إن انتشار الإسلام انتشارا واسعا في أركان العالم يدل على بساطة مبادئه، وقبولها في العقل وانسجامها مع الضمير، وتأثير الإسلام في نفوس البشر الذين اعتنقوه على تنائي المكان وتباعد الزمان، يدل على أنه كان أعظم تأثيرا من أي دين آخر؛ ولا تزال الشعوب المختلفة التي اتخذت القرآن مرشدا لها ومنهجا في حياتها ودستورا لحياتها، تعمل بأحكامه كما كانت منذ أربعة عشر قرنا.(٢)

٨- المستغرب أن الجامعة الملكية البروسية منحت جائزة الدولة عن هذا الكتاب لجيجر، الطاعن في رسالة الرسول ﷺ، وهذا يدل على أن الفكر الغربي مازال محملا برواسب الماضي وذكرياته الأليمة وضغينة عميقة من اقتطاع الإسلام أراضي شاسعة من المسيحية، على أن يوهان فوك يرى أن جيجر يمثل مرحلة التعصب والكراهية للإسلام علاوة على التخبط والعفوية في استقبال النص العربي التي بدأت ببطرس الأكبر وانتهت بجيجر(٣).

* * *

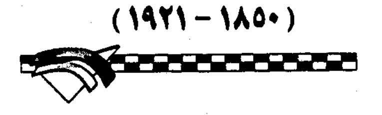
(١) دفاع عن القرآن ص ١٥٩ ، لوفيكو مراكشي ؛ عالم لاهوت ومستعرب ، درس المراجع العربية ومن أهم أعماله ؛ المقدمة في دحض القرآن .(المصدر السابق ص ١٦٠)

(٢) حضارة العرب ص٤١٧

(٣) يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق من المقدمة .

٢- اجنتس جولد تسيهر Ignaz Goldzihier

(١٨٥٠ - ١٩٢١)



أولا: نبذة عن حياته:

ولد في مدينة اشتولفيسنبرج بالمجر، من أسرة ميسورة الحال واسعة الثراء، ذات حظوة في السلم الاجتماعي ومكانة مرموقة في المجتمع، وهذا وفر له تعليما راقيا، ويسر له سبل الانتقال من دولة إلى أخرى، والاطلاع على تراث الأمم وقراءة تواريخ الحضارات التي سادت قديما، ومواصلة الدراسة العالية والتمكن من استيعاب المناهج العلمية.

تلقى جولد تسيهر سنواته الدراسية الأولى في مدينة بودابست، ودرس العلم والفارسية والتركية على يد هيرمان بامبرجر (١٨٣٢-١٩١٣).ثم ولي وجهه إلى برلين عام (١٨٦٩) لمواصلة دراسته واستقر بها سنة كاملة، ومنها انتقل إلى جامعة ليبتسك، وفيها تلقى دروسه على المستشرق الألماني فليشر الذي تميز بدراسته المعمقة في الناحية الفيلولوجية، و تعلم منه فن تفسير النصوص الذي منح أعماله الرئيسة الأساس اللغوي الراسخ، واستمر معه حتى استطاع أن يحصل على الدكتوراه عام(١٨٧٠) في موضوع «تنخوم أورشلمي وشرحه للتوراة» وهو شارح يهودي عاش في العصور الوسطي.[١]

ويعد حصوله على الدكتوراه عين بجامعة بودابست (عام ١٨٧٢) وبعد فترة قليلة من التدريس، أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة علمية إلى الخارج لزيادة معارفه والاطلاع علي ثقافة الشعوب الأخرى و الإحاطة بشؤون العالم الخارجي، فذهب إلى فيينا بالنمسا وليدن بهولندا المشهورة بمخطوطاتها الغزيرة، ومكتباتها العامرة، فعب منها ما وسعت قدرته، ونهل من علمها الفياض، ثم توجه إلى الشرق الفنان، على حد تعبير زكي نجيب محمود في عام (١٨٧٣)وهو يحلم أن يكشف أسراره، ويطلع على كنوزه الدفينة، ويتعرف على لغاته وعاداته و يسبر غور دياناته ويقرأ أفكار علمائه ويعكف على دراسة

(١) يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٣٧

قرآنه وسنة رسوله الذي صنع حضارة في سنوات معدودة ونقل هؤلاء العرب المتفرقين المتقاتلين من طور البداوة والتخلف إلى ذرى المجد والبطولة، وكيف انتشر الإسلام في سنوات معدودة، وتقبلته هذه الأمم برضي ومحبة واقتناع و تخلت عن ديانتها، في حين أن الديانة اليهودية والمسيحية انتشرت بين الوثنيين واعتنقها من لا دين له.

ذهب جولد تسيهر إلى مصر بكل ما تمثله من تاريخ عريق، وتنوع ثقافي، ولغات متنوعة، وديانات سماوية تعيش في وئام ومحبة وحضارة زاهرة خصبة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ خبلى بالكنوز ومحملة بالأسرار التي لم يكتشفها العلم حتى يوم الناس هذا. ونزل بالقاهرة عاصمة الفاطميين ومدينة الألف مئذنة، وذهب مباشرة إلى الأزهر قلعة الإسلام، يستمع إلى دروس علمائه من كافة المذاهب كل منهم قد جلس في رواق وحوله الطلاب يستمعون ويناقشون، وينتقلون من شيخ يدرس الفقه إلى شيخ يشرح النحو وثالث يتكلم في الفرق الإسلامية بحرية كاملة ورابع يفسر القرآن، وكان من حسن طالعه أن عاصر محمد عبده (ت ١٩٠٥) إمام المجددين وباعث النهضة السياسية الدينية والاجتماعية والفلسفية في ضمير الأمة ومجدد الفكر الديني انبهر جولد تسيهر بدروسه التي تنزع نزعة عقلية لاسيما فيما يتعلق بالعقائد، وأعجب بهذا الحراك الثقافي، والتنوع الفكري وتعدد المناهج والتسامح بين المذاهب، ومن فرط إعجابه تزيّ بزي الأزهريين، فأنصت إلى كل هذه الدروس، واستمع واستوعب، وتناقش مع جمهرة العلماء وسجل في ذاكرته هذه الحصيلة الفكرية. ومن القاهرة ذهب إلى فلسطين وسوريا.

عاد جولد تسيهر إلى جامعته وعمل أستاذا للغات السامية، وعكف يقرأ في مكتبته التي أربت علي أربعين ألف مجلد في العلوم والفقه والفلسفة والفنون واللغة والأدب، واستأنف نشاطه العلمي وانصبت جهوده في دراسة الجانب الديني للحضارة العربية الإسلامية، وأبلى بلاء حسنا في هذا الجانب، وترك إنتاجا مميزا، وخط منهجا فريدا في دراسة تفاسير القرآن، والعقيدة الإسلامية، وظل عاكفا على الإنتاج العلمي والتحقيق الدقيق للمخطوطات ونشر كنوز الفكر العربي الإسلامي والمشاركة الجادة في مؤتمرات المستشرقين، وإلقاء المحاضرات في الجامعات الأوربية علاوة على المقالات الرصينة التي

نشرها في المجلات الآسيوية والغربية بالألمانية والفرنسية والانجليزية والروسية والمجرية والعربية، وتوفي بسبب إصابته بالتهاب رئوي في بودابست عام (١٩٢١)[1].

ثانيا: جهوده العلمية:

ترك جولد تسيهر إنتاجا علميا مميزا متعدد المجالات، ومؤلفات غزيرة المادة قوية الأسلوب، عميقة النظرة محكمة المنهج؛ لاسيما المنهج الاستدلالي الذي عول عليه تعويلا عظيما واعتمد فيه على نفوذ بصيرته وعمق وجدانه كان «في كل سنة يخرج بحثا أو طائفة من الأبحاث بين كتب ضخمة قد يتجاوز حجم المجلد الواحد منها أربعمائة صفحة، ومقالات متوسطة الحجم بين العشرين والستين صفحة وتعليقات صغيرة وبحوث نقدية تعريفا بالكتب التي تظهر باستمرار حتى بلغت مجموعة مؤلفاته خمسمائة واثنتين وتسعين بحثا.[2] وقد دارت مابين التأليف في اتجاهات تفسير القرآن والسنة النبوية وأعلام الفكر الإسلامي بخاصة وتراث الحضارة العربية الإسلامية بعامة، وتحقيق المخطوطات التي تزخر بها المكتبة العربية والتي طواها النسيان وشملتها يد الإهمال، وسرقها اللصوص وأكلها السوس، فحقق منها ما وسعت قدرته الإنسانية وما يتفق مع ميوله العلمية واتجاهاته الفلسفية وثقافته الدينية.

و يجدر بنا أن نقسم هذه الجهود إلى قسمين:

أ- في مجال التأليف:

١- الظاهرية، مذهبهم وتاريخهم. صدر عام ١٨٨٤.

قبل أن يتحدث جولد تسيهر عن الظاهرية مهد لبحثه بمقدمة ضافية عن نشأة المذاهب الفقهية الإسلامية وتطورها ودور الأئمة في تأسيس قواعدها وأوجه الاختلاف والتشابه بينها، وصلة المذاهب بالمذهب الظاهري، ثم تكلم عن نشأة المذهب وتطوره وجهود ابن حزم في وضع أسسه والدفاع عنه وشرح أبعاده محاولا اكتساب أنصارا له،

(١) بدوي: موسوعة المستشرقين ص ١٩٧: / ٢٠٣، نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٦ج٣/ ٤١، يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، ٢٣٦-٢٤١
(٢) موسوعة المستشرقين ص ٢٠٠

ومدى تأثير مبادئ الظاهرية في البحوث الفقهية والعقائدية علاوة على مساره في تاريخ الفقه الإسلامي وتأثيره في كثير من أئمة الفقه.

٢- دراسات إسلامية، ويتكون من جزأين نشر الجزء الأول(١٨٨٩)والجزء الثاني في العام الموالي له؛ يستعرض في جزئه الأول «الوثنية والإسلام» الصراع العنيف الذي دار بينهما نظرا لاختلاف منطلقاتهما؛ فالجاهلية العربية تنطلق من نظرة استعلائية الجنس العربي على باقي الأجناس و تقسيم المجتمع إلي طبقات واحتقار العمل اليدوي، والشعور بالكبرياء في مواجهة العبيد والموالي، في حين أن الروح الإسلامية جاءت تؤسس لمبادئ جديدة قوامها المساواة والأخوة الإنسانية بين الأجناس جميعا، وترفض عصبية الدم والتعالي الكاذب والتعصب للقبيلة، والغطرسة الجاهلية.

أما الجزء الثاني، فدار حول تاريخ الحديث الشريف وتطوره باعتباره منبعا ثريا لمعرفة الاتجاهات السياسية والدينية والروحية في الإسلام، فمن المعلوم أن المدارس الإسلامية الكلامية والفقهية والفرق السياسية عولت تعويلا عظيما على الاستشهاد بالحديث لتأييد وجهة نظرها، وتعضيد موقفها وتأكيد أفكارها وترسيخ مبادئها[1] .

٣- محاضرات في الإسلام:

أ- يدور الكتاب حول مجموعة محاور متعلقة بالشريعة والعقيدة والفرق الكلامية والمذاهب الفكرية المعاصرة؛ يتناول فيها نشأة الفقه الإسلامي وأهم الملامح الفارقة بين المذاهب والإشارة إلي مؤسسيها.

وينتقل إلى الحديث عن قضية الجبر والاختيار في القرآن، ويري أن الآيات المكية غلب عليها الدعوة إلي الحرية في حين أن الآيات المدنية غلب عليها الميل إلى الجبر، و مع احترامنا لسعة ثقافة المؤلف وغزارة مصادره، فهذا كلام ليس صحيحا وينبئ عن قراءة سطحية لآيات القرآن العظيم وعدم فهم معطياته وجهل بمفرداته ونسقه وتراكيبه.

ويعالج فكر المعتزلة ودورهم في نشر مبدأ حرية الإرادة وتقرير ذلك بلا لبس، وينوه

(١) موسوعة المستشرقين ص ٢٠٠

بزعماء المذهب والمؤسسين ويبدي إعجابه بمنهجهم لكنه لا يغفل عن نقد مسلكهم في قضية خلق القرآن والمحاكمات التي أقاموها لعلماء الإسلام، ويرى أن هذا يناقض فكرهم وينفي عنهم مقولة حرية الفكر التي أطلقها هينرش اشتينر(١٨٤١-١٨٨٩) في كتابه: المعتزلة أو أحرار الفكر في الإسلام.[١] ويمضي في دراسته فيتناول بالعرض والتحليل المذهب الأشعري وأهم آرائه ودور الأشعري(٢٢٤هـ) في المنافحة عن مقولاته ونهوض تلاميذه الكبار في نشر ه شرقا وغربا، ولا يفوته أن يتعرض للمذهب الماتريدي الذي أسسه أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ) ويذكر موقفه الوسط بين الفكر المعتزلي والأشعري وينصفه إنصافا واضحا.ثم ينتقل إلى الحديث عن منهج ابن تيمية السلفي(٧٢٨هـ) وتلميذه ابن القيم (٧٥١هـ) وجهودهما في الانتصار لمذهبهم السلفي، والتعريض بالمذاهب الأخرى لاسيما المذهب الشيعي، علاوة على محاربتهما للبدع التي انتشرت في عصرهما، وصلابة موقفهما في مواجهة الفرق المناوئة للإسلام.

وفي فصل مستقل يعالج المؤلف نشأة الزهد والتصوف في الإسلام ويعد من المؤرخين القلائل الذين ميزوا بينهما وسمات كل منهما، علي أنه يساير الفكرة السائدة عند المستشرقين بتأثر التصوف الإسلامي بالمؤثرات الهندية واليونانية والمسيحية، ونعتقد اعتقادا جازما أن النشأة إسلامية؛ اغترفت من الينابيع الصافية، معطيات القرآن وسيرة الرسول ﷺ المثالية وأخلاقه النبوية، واهتداء بسلوك الصحابة العظام، والتأثير جاء في مرحلة الزهد المغالى فيه، والتصوف الفلسفي لاسيما فيما يتعلق بالقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

وختم الكتاب بالحديث عن الحركة الوهابية واستمداد مبادئها من ابن تيمية، كذلك يتناول أفكار البابية والبهائية مع استعراض نشأة هذه الحركات وأهم الأسس الفكرية التي تستند إليها، والعوامل التي ساعدت في انتشارها ونجاحها وفشلها.

لكن يتعجب المرء أن يضع الحركة الوهابية بدورها المتميز في تحرير الذهنية الإسلامية من التوسل بالقبور والأحجار والأشجار مع مذاهب منحرفة معاصرة منشقة عن

---

(١) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص ٣٧

الإسلام مثل البابية والبهائية دون أن ينقد أفكارها أو يسفه آراءها، إذ من المعلوم أنها ترى أن باب النبوة مازال مفتوحا وتنكر ختم النبوة بالرسول ﷺ علاوة على أنها تتعسف في تفسير آيات القرآن العظيم وتخرجها عن سياقها وتتأول تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان.

ب- تميز الكتاب بمراجعه الغزيرة، وأسلوبه الواضح ونظراته العميقة وتحليلاته الواسعة والمقارنة بين المذاهب والشخصيات واستنتاجاته الذكية المقبولة والمرفوضة.

هذا لا يعني أن ليس لنا ملاحظات علي الكتاب، بل إنه ملئ بالكثير من الاستنتاجات التي لا نوافق عليها والآراء المتعسفة التي نرفضها، وتسرعه في رد كل رأي مبتكر أو فكر مستنير إلى الغرب غامطا حق العقل الإسلامي في الاجتهاد والابتكار، ومازلنا عند رأينا إن دراسة المستشرقين للفكر الإسلامي هي دراسة من الخارج، ولا أحد يستطيع أن يستبطن شأن الفكر الإسلامي ويفهم أبعاده ومراميه إلا من عاش في قلب هذه الحضارة واستظل بظلها وتعلم لغتها وتشرب مفرداتها من حاراتها وأزقتها الضيقة، وشوارعها الفسيحة، وشرب من آبارها وينابيعها و أنهارها، وفهم عاداتها وسبر تقاليدها وتقلب في ترابها وعاش آمالها وآلامها وفهم نفسية أبنائها وحقيقة شخصيتهم وتعمق في قرآنهم وأحاط بمقررات سنة رسولهم، ودرس تاريخهم دراسة معمقة من الباطن وأوغل في قراءة مابين السطور.

«إن الإدراك الديني هو تجربة روحية حدسية، ولا يمكن إدراكها والإحاطة بها من خلال المناهج التحليلية النقدية، وهؤلاء الذين يكونون خارج هذا النظام الديني لا يمكنهم أن يدركوا بسهولة روعة التجربة التي يمارسها من يعيشون داخل هذا النظام.»(١)

جـ- قرظ الكتاب الشيخ يوسف موسى ومدح مؤلفه مشيدا بجهوده معترفا بفضله على الدراسات الإسلامية قائلا: «استند المؤلف إلى طائفة كبيرة من المراجع الإسلامية الموثوق بها، ويسعف عقله الألمعي وبصيرته النافذة، ومع هذا انساق إلى أخطاء غير

---

(١)عبد اللطيف الطيباوي : المستشرقون ، الناطقون بالإنجليزية ، ت، قاسم السامرائي ، طبعة جامعة محمد بن سعود ، الرياض، ١٩٩١ ، ص ٤٨

يسيرة، بعوامل قد يكون منها أنه لم يتأت له أن ينفذ تماما إلى روح الإسلام ومبادئه.» [(١)]

د- مناهج التفسير الإسلامي:

أ- يعد الكتاب جديد في بابه، خط فيه منهجا جديدا لمن أراد أن يدرس تاريخ تفسير القرآن، واتجاهات المفسرين، ومدى تأثير انتماءاتهم المذهبية في تناولهم لتفسير القرآن.

مهد لكتابه بمقدمة طويلة تحدث فيها عن اختلاف القراءات ونزوله على سبعة أحرف، وآراء الصحابة في ذلك، وما ورد في القرآن من الألفاظ الأعجمية.

ثم ينتقل إلى تتبع المناهج التي تناولت تفسير القرآن مثل التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي؛ ومثال الأول ابن عباس ومدرسته التي تحرجت من تفسير القرآن واقتصرت على شرح الألفاظ و المعاني مستندة إلى اللغة العربية وشعرها وأيضا تفسير الطبري (ت٣١٠هـ)، ويمثل الثاني المعتزلة ، ويأخذ أمالي المرتضي (ت٤٦٣هـ) والزمخشري (ت٥٣٨هـ) أنموذجا، وكذلك فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) من الأشاعرة أ نموذجا للذين توسعوا في التفسير العقلي، لكنه يتوقف عند الزمخشري و كيف أسقط أصول المعتزلة الخمسة على تفسيره، ويشير إلى بعض القضايا التي وقع فيها خلاف بينهم وبين الأشاعرة؛ مثل إنكارهم للسحر والكهانة وكرامات الأولياء وتقريرهم حرية الإرادة الإنسانية ومقولتهم في اللطف الإلهي، ولا يغفل أن يشير إلى ردود ابن المنير السكندري (ت٦٨٣هـ)[(٢)] على الزمخشري.

وفي فصل آخر يشير إلي التفسير الصوفي الفلسفي الذي يجنح إلى الرمز والتأويل المتعسف؛ مثل تفسير ابن عربي (٦٣٨هـ)، ومذهبه في وحدة الوجود ويقارن بين أفكاره وآراء المذهب الإسماعيلي، ثم يتحدث عن تفسير إخوان الصفا وتأثرهم بالأفلاطونية المحدثة ونقد الغزالي لهم وردوده على تأويلاتهم الباطنية الغريبة.

((١)) العقيدة والشريعة ، ترجمة محمد يوسف موسي ، وعلي حسن عبد القادر ، عبد العزيز عبد الحق ، دار الكتاب المصري القاهرة ، ١٩٤٦ ، من المقدمة .

(٢) ترجمته في الأعلام ج١/ ٢٢٠

ثم يتناول بتوسع ملحوظ التفسير في ضوء الفرق الإسلامية مثل الشيعة وتأويلاتهم العجيبة لآيات القرآن لنصرة توجهاتهم السياسية ومبادئهم العقيدية، وفي السياق نفسه يشير إلى الخوارج وموقفهم من الإمام علي ومعاوية.

وفي الفصل الأخير يبسط الحديث ويطيل العرض إلى التفسير في ضوء التمدن الإسلامي والتطور الحضاري، وينوه باجتهادات سيد أمير علي في الهند، ثم يتوقف طويلا أمام محمد عبده ومدرسة المنار بقيادة رشيد رضا (ت ١٩٣٩م) ويقارن بينهم وبين الحركة الهندية، ويتوسع في الحديث عن دور محمد عبده في تجديد الفكر الديني وتقريره أن الإسلام دين عالمي صالح لكل زمان ولكل مكان ولكافة الشعوب، ومبادئه تتفق مع معطيات العلم ولا تتعارض مع مذاهب المدنية الحديثة، ويستعرض بعض آرائه التجديدية في مجال العبادات والعقائد وتعويله على التحليل الفلسفي والاستدلال العقلي والفهم العميق لمعطيات القرآن.

ب- الحقيقة الكتاب غني بمصادره القديمة القيمة ومراجعه الغزيرة العربية والاستشراقية، وتحليلاته الدقيقة، وبحثه الدءوب في بطون الكتب ونفسه الطويل وجلده الواضح وصبره المحمود في تناول القضايا والوقوف أمامها والمقارنة بين آراء الفرق.

يقول د.بدوي عن الكتاب: «يقدم المؤلف في الظاهر تاريخا حيا لتفسير القرآن، في حين أنه يعرض لنا مرآة صافية انطبعت فيها صورة واضحة للحياة الروحية طوال ثلاثة عشر قرنا عند ملايين المسلمين.[1]

على أننا لا نبرأ المؤلف من الهوى، ولا نقر أنه عالج القضايا بموضوعية العالم وضمير الباحث اليقظ، ولم يتحرر لحظة واحدة من ديانته اليهودية، واقتناعه الفج أن الرسول ﷺ اقتبس بعض آيات القرآن من العهد القديم، أضف إلى ذلك تنقيبه عن قضايا جزئية وأقوال شاذة أصبحت تاريخا لا يلتفت إليه، والنفخ فيها كأنها ما زالت ماثلة أمامنا.هذه نقطة،

(١) – موسوعة المستشرقين ، ص ٢٠٣

والنقطة الأخرى أنه ينظر للدين الإسلامي كظاهرة تاريخية حضارية رسمت تطوره الأفكار الدينية بشكل أساس، وأن الرسول ﷺ زعيم سياسي مغامر يملك جملة من الملكات العقلية المتميزة أو مصلح اجتماعي أزعجته الأوضاع المتردية في بيئته، ونظرا لتربيته الخلقية ومنظومة القيم التي تشربها في طفولته، نهض يدعو لتغيير هذه الأوضاع المتردية، ويبشر بمبادئ جديدة، مستندة إلى قيم مثالية وأخلاق كريمة، وفي جميع الأحوال يستبعد تسيهر البعد الميتافيزيقي من الإسلام وينكر أن يكون مصدره الوحي الإلهي.

ومازلنا نؤكد أن «هناك أخطاء يتورط فيها المستشرقون لغرابة المادة العربية الإسلامية على تفكيرهم أو لقلة بصرهم بالذوق العربي، وعجزهم الطبيعي عن التغلغل في أسرار اللسان ومسالك البيان» [١]

وقد تعقب مترجم الكتاب هذه الآراء التي لا نرضى عنها، ورد عليها رد خبير، وناقشها مناقشة عميقة بالدليل النقلي والدليل العقلي، وتجلى في مناقشاته سماحة الإسلام، وهدوء العالم، وضبط النفس، والبعد عن التجريح، والرغبة في الوصول إلى الحقيقة، وهذا بين لمن يطالع الكتاب والتعقيبات عليه؛ وهاك رأي عبد الحليم النجار في الكتاب يقول: «عمل مبتكر من حيث المنهج وأسلوب البحث طريف في عرضه مناحي الدراسات القرآنية وتاريخ الثقافات الإسلامية في جانب من أهم جوانبها، فهو يفتح من هذه الوجهة ميادين جديدة للنظر العلمي، ويرسم نماذج ومثلا من مذاهب التفسير لا يستغني الباحث العربي عن ترسمها واحتذائها في بحوثه ودراساته».

ثم يمضي بعد ذلك قائلا: «لا يحط من قيمته اشتماله علي قليل من النزغات الدينية التي نبهنا إلي أهمها لاسيما فيما يتصل من الدين بسبب أو نسب يمليها عليهم (المستشرقون) إلف ملازم أو هوي متبع أو قصد جائر ولو اعتمدنا ذلك في إطراح هذه الكتب وإهمالها لفاتنا خير كثير.» [٢]

---

(١) جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ت عبد الحليم النجار، الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥، ص ٥.

(٢) جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٤.

جـ- من الجدير بالذكر أن القارئ لكتاب الشيخ محمد حسين الذهبي (ت ١٩٧٧ م) «التفسير والمفسرون»، لا يشك أنه استفاد منه استفادة واسعة، حينما خطط لكتابه. واقتبس منه منهجه الذي سار عليه، لأن جولد تسيهر مهد له الطريق وعبده، وسهل له الخوض فيه، ووضع معالم واضحة مضيئة يهتدي بها من يرتاد هذا الفن ويسير في دربه، وقد قسم كتابه على المنهج الذي اتبعه جولد تسيهر، والفارق بينهما أن الشيخ الذهبي أسهب في عرضه وأطنب في استشهاده من كتب المفسرين واستفاد من المراجع التي أصبحت متاحة له وأضاف تفسير فرق إسلامية لم يتعرض لها نظيره مثل التفسير الإباضي والزيدي والعلمي، لذلك جاء كتابه في ثلاث أجزاء، في حين أن جولد تسيهر أوجز كثيرا ولم يتعرض لمناهج بعض الفرق، ومع إيماننا بأن الشيخ الذهبي اقتبس منهج جولد تسيهر إلا أنه لمزه لمزا معيبا وهاجمه بعنف طوال صفحات الكتاب، دون أن يذكر له فضلا أو جميلا.

٤- موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل:

كتب جولد تسيهر بحثا قيما عن موقف أهل السنة بإزاء علوم الأوائل، ويقصد موقفهم من الفلسفة والمنطق والرياضة والطب والفلك، أي أغلب العلوم التي نقلت من اليونان لاسيما في الدولة العباسية، و بعد انتهاء العصر الذهبي للمعتزلة وغروب شمس دولتهم، وقف علماء أهل السنة موقفا عدائيا من الفلسفة والمنطق وطرحوا فتاوى صارخة تحرم ذلك تحريما قاطعا. ونقد الغزالي (ت٥٠٥هـ) للفلسفة في كتابه تهافت الفلاسفة معلوم ومشهور، وتبعه بعد ذلك ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) في فتاوى طبقت الآفاق، ومضي على دربه تلميذه النووي (ت٦٧٦هـ) مما أضعف الدراسات الفلسفية في العالم الإسلامي قرونا متطاولة.

قام بترجمته عبد الرحمن بدوي ونشره في كتابه المذكور آنفا[1].

٥- الإسلام والدين الفارسي: ويقصد المذاهب الثنوية التي سيطرت علي بلاد فارس

((١)) التراث اليوناني ص ١٢٣-١٧٢.

ويعتقد أنها أثرت في فكر علماء الإسلام.

٦- آداب الجدل عند الشيعة (١٨٧٤).

٧- التقية في الإسلام (١٩٠٦).

علاوة علي مشاركته في دائرة المعارف الإسلامية.

ب- في مجال نشر المخطوطات:

١- تحقيق كتاب: المعمرين من العرب، لأبي حاتم سهل السجستاني (٢٣٥هـ) وقد وضع له مقدمة تستعرض المؤلفين الذين كتبوا في هذا الموضوع الطريف من اليونانيين. ويعد هذا الكتاب من طرائف الكتب العربية، غريب في بابه فريد في موضوعه، إذ يتكلم عن مأساة الشيخوخة، ويحكي بلسان أصحاب التجربة مشوارهم المؤلم في مواجهة الظواهر النفسية والجسمية التي تعتري الإنسان، ويتوجعون من طول العمر، يبحثون عن الموت فلا يجدوه ويطلبوه فلا يحصلون عليه، والكتاب آهة طويلة تصدر من أعماق قلوبهم ودمعة حارة تسيل علي خدودهم.

٢- كتب مقدمة لكتاب «التوحيد» لمحمد بن عبد الله بن تُومَرت (٤٨٥-٥٢٤هـ) مهدي دولة الموحدين التي حلت محل دولة المرابطين، وقد حققه ونشره لوسياني (١٨٥١-١٩٣٢)[1] في الجزائر عام (١٩٠٣).

٣- تحقيق بعض فصول كتاب المستظهري للإمام الغزالي ونشره بليدن عام (١٩١٦)[2] صّدّر له بمقدمة طويلة حلل فيها أبعاد قضية الاجتهاد والتقليد وتطورها في الفقه الإسلامي، وأشار إلي طبيعة الصراع الفكري الذي دار بين الدولة الفاطمية(٣٥٧-٥٥٥هـ) التي تبنت المذهب الإسماعيلي وسخرت كل

(١) ترجمته في العقيقي : المستشرقون ج١/ ٢١٠

(٢) موسوعة المستشرقين ص ٢٠١ ، هنري كوربان : تاريخ الفلسفة الإسلامية دار عويدات ، بيروت ، ١٩٨٣ص ٢٧٥

إمكاناتها للترويج له ونشره في الأوساط الشعبية لاسيما في مصر، ومذهب أهل السنة الذي كان مذهب معظم جماهير العالم الإسلامي.

ومن المعلوم أن الحرب الفكرية والعسكرية كانت قائمة بين الدولة العباسية ومذهبها السني في طورها الضعيف، والدولة الفاطمية الفتية بمذهبها الإسماعيلي، التي تسترت تحت اسم براق يخلب الألباب، ويأسر العقول، محبب إلى نفوس المسلمين وهو اسم السيدة فاطمة الزهراء، و كل دولة كانت تجند مفكريها وعلمائها لتسفيه وجهة نظر المذهب الآخر وإظهار عواره و تهافته وسوء مسلك أتباعه والهجوم عليه والتنفير منه.

وقد دخل الإمام الغزالي الشافعي فقها، الأشعري عقيدة، هذا المعترك الصعب، وشحذ عن همته ورفع أمضي أسلحته في مواجهة المذهب الباطني أو الإسماعيلي أوالعبيدي كما يسميه بعض المؤرخين المصريين أمثال المقريزي (ت٨٤٥هـ) والسيوطي (٩١١هـ) وعنوان كتابه «المستظهري» يشير إلى حقيقة المعركة، إذ يريد أن يؤكد فكرة شرعية إمامة المستظهر العباسي وحقه في الخلافة في مواجهة مزاعم الفاطميين الذين يدعون أحقيتهم في الخلافة ويشككون في شرعية خلفاء بني العباس.

٤- نشر ديوان الحطيئة (ت٦٥٠م) بشرح السكري، وعلق عليه (ليبزج ١٨٩٣)

- هذه بعض الآثار العلمية لجولد تسيهر، ومن يريد الاستقصاء فعليه الرجوع إلى ما كتبه نجيب العقيقي في كتابه الموسوعي «المستشرقون»[(١)]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- يعد هذا المستشرق من أكابر المستشرقين اليهود الذين بذلوا جهودا واسعة في دراسة الحضارة العربية الإسلامية لاسيما فيما يتعلق بالناحية الدينية، والتعمق في دراستها، ونهج نهجا جديدا فيما يتعلق بدراسته للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد ملك العديد من الأدوات المعرفية، لعل أهمها معايشته للحياة اليومية العربية الإسلامية والتزود من كنوزها، وتلقي علومها من مشايخها

(١) - المستشرقون ج٣/ ٤٢/ ٤٣

الكرام وعلمائها الأجلاء، فضلا عن إجادته للغة العربية التي استوعبها من خلال هذه المعايشة الحية، والتعامل مع أصحابها.

٢- لقد نوهنا بإعجابنا بجولد تسيهر وألمعنا إلى إيجابياته ولم نغمط حقه بإخفاء جهوده في خدمة الأدب العربي وعلوم القرآن والحديث وكتاباته حول الفرق الإسلامية والفكر الإسلامي، وأشرنا إلى مميزاته وألمحنا إلى مراجعه الغزيرة ومصادره القيمة وغوصه في كتب التفاسير والحديث والتاريخ القديم والحديث وتميزه بالصبر الجميل والنفس الطويل والجلد العظيم في هذا الاطلاع الواسع والانزواء في ركن قصي وإخراج هذه العشرات من الكتب العلمية والأبحاث المعمقة حول الفكر الإسلامي.

٣- مشكلة تسيهر - وأضرابه من المستشرقين -؛ أنه ينظر للقرآن وللرسول ﷺ و للإسلام، كظاهرات تاريخية حضارية، ظهرت ونمت وترعرعت في شبه الجزيرة العربية، مثل الظاهرات التاريخية، كونتها عوامل مادية متعلقة بتراث السابقين أعني اقتبست جل أفكارها من التراث التلمودي والمسيحي، علاوة على البيئة الصحراوية التي زودتها بكثير من الأفكار التطهرية والتعبدية والتي استمدتها من بعض الرجال الحنفاء الذين تأثر بهم الرسول هذا من جهة، ومن جهة أخرى مقومات شخصية الرسول ﷺ ومميزاته الشخصية وصفاته الخلقية الراقية، أي أن كل ما نراه ليس له صلة من قريب أو بعيد بالسماء، وليس له أي بعد غيبي أو استمداد من الله أو الملاك جبريل أو عالم الروح، فنحن بصدد مصلح اجتماعي وزعيم سياسي وحكيم عربي ظهر في الجزيرة العربية، ولما كان رجلا مثاليا فقد أهمه حال بني قومه، وفشو المنكرات بينهم والحروب القبلية، فراح يدعوهم إلى نوع من المثالية الأخلاقية، ويضع لهم دستورا جيدا استمد معظم مواده من الديانات السابقة وقراءاته في التوراة والإنجيل، علاوة على خبراته بأحوال الناس، وتجاربه كتاجر محنك، فضلا عن البيئة التي نبت فيها وترعرع في أجوائها.

من العسير أن يقنع الإنسان شخصا برمج أجهزته الإدراكية على هذه المقولات، وأطر عقله داخل منظومة من الأفكار المغلوطة، وعلى الرغم من دراسته الواسعة في مجال الإسلام فقد سجن ضميره وفكره داخل هذا الصندوق الأسود.

في ضوء ذلك من العسير أن ندخل في نقاش مع هذا الجولد تسيهر، أو نوضح له أننا بصدد عالم له إله خالق مبدع، جرت سنته أن يختار من عباده ما يشاء فيرسله إلى قومه يهديهم إلى الطريق المستقيم ويرشدهم إلى أنبل الأخلاق وأقوم المسالك، ثم زودهم ببعض المعجزات الحسية و العقلية لإقناع من يتشكك ومن يتوقف عقله عن الإيمان ويوصد عقله عن الاستماع والفهم والإدراك، سار في هذا الطريق الأنبياء كافة ومنهم؛ موسى وعيسى ومحمد ﷺ فلماذا نؤمن ببعض الأنبياء ونرفض بعضهم الآخر؟

فهذا تناقض في العقل، إما أن نؤمن بقضية اتصال السماء بالأرض أو ننكرها جملة؟

إما أن نؤمن بالأنبياء جميعا أو نرفضهم جميعا، ولما كنت وافقت على قبول المقدمات وسلمت بها، فمن التناقض في العقل أن تقبل بعض النتائج وترفض بعضها الآخر، هذه نقطة.

الثانية كيف قبلنا ما قبلنا وآمنا بما آمنا به؛ عن طريق المصادر والمراجع وتواتر الأخبار وروايات الأقدمين وسجلات التاريخ وحفريات الأثريين والأدلة الحسية والبراهين العقلية، وهي متساوية في إيماننا بالأنبياء جميعا، وقد صدقناها وقبلناها.

فلماذا نؤمن بها في حالة الأنبياء جميعا، ونرفضها في حالة إثبات نبوة محمد ﷺ وتأكيدها؟

النقطة الثالثة إذا قمنا بالنقد الداخلي للنص القرآني وأقوال الرسول ﷺ نجد أننا بصدد فروق جوهرية بين الاثنين، والقارئ العادي يستطيع أن يلمس الفرق بين النصين، فالنص القرآني معجز في مفرداته وألفاظه وتراكيبه ولغته ونسقه وترتيبه والانسجام البادي بين صدر الآية وعجزها والإيقاع الداخلي الذي يأخذ بمجامع النفس، والروح الخفية الجذابة السارية بين سطوره التي تهيمن على عقل الإنسان وتستحوذ على كيانه، فلا

يريد أن يغادر الآية حتى يعاود قراءتها ثانية وثالثة كأنه وقع في أسرها وذاب في سحرها، لقد وقف مشركي قريش مبهورين أمام النص، حائرين حياله ولم يستطيعوا أن يواجهوا التحدي بالتحدي، ولكنهم اعترفوا بقصورهم، وعبر التاريخ لم نجد أحدا حاكى القرآن إلا جاء بتعبيرات أشبه بتقولات الأطفال وتهويمات المراهقين وطلسمات المشعوذين، سواء من الجاهليين والمحدثين والمعاصرين، فضلا عن إخباره عن وقائع حدثت للأمم السابقة واللاحقة في الماضي والمستقبل، أضف إلى كل ذلك الاكتشاف المعاصر فيما أطلق عليه العلماء «الإعجاز العلمي» للقرآن وهناك بحوث لا أول لها ولا آخر تؤكد الإشارات العلمية الواضحة في القرآن والتي أكد العلم التجريبي صحتها، فهل كان في مكنة الرسول وهو الرجل الأمي أن يأتي بكل هذا بمفرده دون مدد من السماء؟ وإذا كان ألف القرآن فلماذا لم يؤلف لنا نصا آخر شبيه به؟

على أن كل ما سقناه لا يمنعنا أن نؤاخذه في العديد من المواقف؛ و ما نأخذه عليه أنه لم يتحرر أبدا من كونه يهوديا متعصبا في مواجهة الإسلام، ومن ذكريات عدائية له، وكراهية دفينة متغلغلة في اللاشعور تحركه بصورة لاشعورية للتنقص من الفكر الإسلامي وحضارته كلما عن له ذلك ليس هذا فحسب بل يشتم الباحث نزعة سادية (عدوانية) تسيطر على مشاعر تسيهر، الذي لم ينس أبدا أن الرسول ﷺ طرد بني قومه من شبه الجزيرة العربية وطهر بقاعها الطاهرة من مؤامراتهم وخياناتهم ونقضهم للعهود التي اشتهروا بها في التاريخ القديم والمعاصر،

لقد افتقد الكثير من الموضوعية والنزاهة العلمية في بحوثه التي دارت حول القرآن الكريم والسنة النبوية بخاصة، وآراء الفرق الإسلامية بعامة، ولم يتحرر من «عقدة التفوق» الأوربي والنظرة الاستعلائية للشرق الإسلامي؛ فهم المركز ونحن الأطراف، هم السادة ونحن العبيد، هم أصحاب الرأي المبتكر ونحن المقلدون التابعون، هم الأوصياء ونحن القصر، هم العالمون المحيطون ببواطن الأمور، ونحن الجهلة السطحيون؛ فكل رأي طريف عندنا اقتبسناه من الكتاب المقدس، والقول بحرية الإرادة استعرناه من اللاهوت المسيحي، والتصوف الإسلامي مستمد من الفلسفة اليونانية والمسيحية وأقوال

المسيح وعادات الرهبان، وأحكام الفقه الإسلامي تأثرت بالقانون الروماني، وظل يردد المقولة البائسة:

خلاصة القول: «إن كثيرا من دراسات المستشرقين قد تتميز بالتألق والجاذبية ولكن حين يغوص المرء تحت المظاهر السطحية من الحواشي المتعالمة والمراجع المنسقة، يجد المرء نفسه مضطرا لأن يواجه نذير الخطر في إلقاء القول على عواهنه والتخمين وإصدار الأحكام التي لا يشهد لها إلا القليل من الشواهد، أو لا يشهد لها شاهد قوي على الإطلاق.» [(١)]

٤- يجب أن نشير إلى بعض المآخذ على كتاب العقيدة والشريعة، وإبداء بعض الملاحظات:

أ- **يقول جولد تسيهر:** «من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا متجانسا وخاليا من التناقضات ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرا إلا آثار عامة نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحيانا تعاليم متناقضة.» [(٢)]

إن هذا القول يعبر إما عن سوء قصد ونية خبيثة لإثارة البلبلة بين النفوس المطمئنة، وهذا أمر نربأ أن نتهم به أحد ا، وإما عن جهل بفلسفة اللغة العربية وعدم دراستها دراسة تكشف عن جوانب قواعدها وفهمها فهماً محكماً، وسطحية في فهم معطيات القرآن ومقاصده وعدم الغوص

في معانيه وأسراره وفهم محكمه ومتشابهه، واستجلاء بلاغته وإعجازه، والإحاطة بأسباب التقديم والتأخير والإيجاز والإطالة، والمجاز والاستعارة، والعام والخاص. أضف إلى ذلك كان يجب عليه أن يدرس الآيات دراسة موضوعية، ويدقق في آيات العقائد التي تتكلم عن حرية الإرادة، أو عن الخير والشر مثلا، و يراجعها بدقة ويفهم معانيها، فسوف يستنبط آراء متسقة فيما يتعلق بالحرية الإنسانية، وتقريره أن الإنسان

---

(١)- الطيباوي : المستشرقون ص ٢٧

(٢) العقيدة والشريعة ص٦٨

يتحمل تبعة أعماله، وأن الله خير مطلق والشر ينسب إلى فاعله، وهكذا في باقي القضايا.

ب - الملاحظة الثانية حينما يقول: «إن التوحيد الإسلامي ينطوي على غموض، في حين أن التثليث واضح في فهم الألوهية»

نشك شكا كاملا أن يتفوه السيد تسيهر بهذا الكلام وهو مقتنع به ويؤمن بصحته، ونعتقد أنه قاله نكاية في الإسلام و كرها له مثل قول أخيه كعب الأشراف الذي قرر أن ديانة قريش الوثنية أفضل من دين محمد ﷺ، إذ من المستحيل أن رجلا يتمتع بهذه العقلية النقدية ودرس الإسلام دراسة مستوعبة يقول هذا الهراء، وكنا نود أن يشرح أين موضع الغموض والتعقيد في التوحيد الإسلامي؟

أيقبل عقله التثليث المسيحي الذي يقول: إن الله ثالث ثلاثة، مثل البيضة؛ لها قشر وبياض وصفار، فهي واحدة في المظهر وثلاث بالحقيقة!!! وكذلك قولهم: إن الله مثل قطعة الفحم؛ فهي جسم، وجمر ولهب.!!

أم تقرير الإسلام؛ بأن الله واحد أحد ليس له ند ولا نظير ولا شبيه ولا شريك، له صفات الكمال والجلال والجمال، هو الذي خلق هذا الوجود بقدرته المطلقة فيقول: للشيء كن فيكون.

وقوله تعالى ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

إن الناظر في التوحيد يدرك أنه من أوضح الأفكار في الفكر الإنساني قاطبة؛ فنحن بصدد فكرة واضحة وسهلة في العقل؛ فالله واحد، العبودية له والصلاة له و التوسل بصفاته والسجود له والاستغاثة به، وهو معنا بقدرته وعلمه ونصره.

لاشك أن سرعة انتشار الإسلام في البلاد التي دخلها العرب، يرجع إلى عجز الديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء، فيما ذهب إليه توماس أرنولد.[١]

«للإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلي العالم، وتُشتق السهولة العظيمة من التوحيد المحض وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام»[٢].

يقول أحد شيوخ الإسلام عن مزالق المفسرين من المستشرقين الذي يتناولون دراسة القرآن الكريم: المستشرقون أفحش خطأ من غيرهم كلما تناولوا الحديث عن القرآن لضعف مادتهم اللغوية وبعدهم عن التمكن من الدراسات الإسلامية الصحيحة، وهذا في المخلصين للبحث الحر منهم فما بالك بالمغرضين» [٣].

جـ- قوله: إن الآيات المكية غلب عليها الدعوة إلي الحرية في حين أن الآيات المدنية غلب عليها الميل إلى الجبر.ليس صحيحا، لأن السور المدنية اشتملت على المعنيين، كالسور المكية سواء هذه نقطة والأخرى، ظلت الآيات المكية، تناضل من أجل ترسيخ قضية الوحدانية، وتحارب فكرة الوثنية بجميع صورها، وكافة صنوف الشرك بالله، وفي هذا السياق ركزت على تحرير العقلية العربية من فكرة الجبرية التي استحوذت على وجدانهم، وأخذت بمجامع قلوبهم، بعد أن اعتقدوا أن الإنسان مسير بقوى خفية تختبئ وراء كل شيء، فهو هباءة ليس له إرادة ولاعزيمة، أما الآيات المدنية، فاستهلت بتأسيس قواعد الدولة في كافة المجالات ومنها قضية حرية الإرادة، ومن ثم أسهبت في شرحها وبينت أن الفاعل لما يريد هو الله، وميزت بين نطاق الإرادة الإلهية المطلقة، والإرادة الإنسانية المحكومة بعوامل كثيرة، وهي في نهاية المطاف حرة، والإنسان المسلم عليه أن يتحمل مسؤولية عمله ونتائج سلوكه؛ فهو مختار في فعله حر الإرادة، والآيات كثر في هذا المجال.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٥

(٢) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص١٢٥ ، من المهم أن نستدرك على كلام لوبون ، فكافة الأديان جاءت بالتوحيد ، وحملت للبشرية كلمة واحدة ، الله واحد أحد لا شريك له ، لاشريك له ، وهذا ما بشر به جميع الرسل .

(٣) حسن البنا : مقدمة في التفسير ، طبعة الشهاب ، الجزائر ، ص ١٣ ،

د- أما زعمه «إن الإسلام انتشر بالسيف» فقدساير فيه جمهرة من المستشرقين المتعصبين وشاركهم

نرد على هذه النقطة فنقول: يجب أن نفرق بين الحروب التي دارت بين المسلمين وأعدائهم وانتشار الإسلام، فالحروب كانت دفاعا عن النفس في مواجهة قريش التي اعتدت على المسلمن وعذبتهم وطردتهم من وطنهم العزيز، ومدينتهم المقدسة، وأتباعها من اليهود أهل الكتاب الذين انضموا إلى الوثنيين مؤازرين الكفر على الإيمان، وحينما استفاق المسلمون، وجدوا أنفسهم بإزاء دول عدوانية بدأت بالتحرش بهم فما كان منهم إلا ان دافعوا عن اوطانهم ودينهم الوليد في مواجهة الفرس والروم، وانتصروا عليهم أعظم الانتصار؛

أما انتشار الإسلام فكان استجابة طوعية لإرادة معتنقيه من أهل الأديان الأخرى الذين اقتنعوا بمبادئه وتفهموا قواعده، ورأوا فيه صورة صادقة لرغبات النفس المطمئنة وتعبيرا عما يجيش في حنايا الإنسان من اعتقاد راسخ بإله واحد يحكم هذا الكون.

يكفينا مثال واحد من التاريخ، فقد فتحت مصر عام (٦٤١م) بترحيب من القبط الذين ضجوا من ظلم الرومان وعسفهم، وظل المسيحيون على دينهم، ونظرا للتسامح الإسلامي والمعاملة الطيبة، تحولوا بطيب خاطر واقتناع كامل، فدخلوا في دين الله أفواجا، ومع هذا تمسك الكثير منهم بدينهم، ومازالوا يعيشون في وطنهم حتى يومنا هذا، أضف إلى ذلك: «أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، وعندما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام، ولم ينتشر القرآن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها» (١)

يقول توماس أرنولد (١٨٤٦-١٩٣٠): إذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد إلى المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي؛ ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق. (٢)

(١) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٢٨

(٢) الدعوة إلى الإسلام ، ت، حسن إبراهيم حسن ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠، ص ٨٨، ١٥٧

٥- على أن الإنصاف يقتضي أن نشير إلي موقف العلامة محمد الغزالي (ت ١٩٩٦)من كتاب العقيدة والشريعة، إذ أفرد كتابا كاملا للرد عليه بعنوان: «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين». وسوف نورد موجزا لأوجه النقد التي ذكرها شيخنا الجليل.يقول: منذ شرع جولد تسيهر يخط السطور الأولي في كتابه لم يكن يملك ذرة من روح العالم المنصف. (ص ٣) يؤسفني أن أرفض المقدمة التي كتبها، د.محمد يوسف موسى لهذا الكتاب ومؤلفه.

والحق أن الكتاب من شر ما ألف عن الإسلام وأسوأ ما وجه إليه من طعنات، وإن التعليقات القليلة التي جاءت في ذيل بعض الصفحات في الترجمة العربية كانت سدودا محدودة أمام موجات طاغية من الإفك والعدوان (ص ٤)، إنهم يريدون الإتيان على الإسلام فكيف نتحرج نحن أن نأتي بنيانهم من القواعد. (ص٨).

وربما وجد من المستشرقين من بهره جلال الحق فنسي وظيفته الأولي واعترف بالفضل لذويه، اعترافا كاملا أو محدودا. لكن المستشرق الذي تناولناه في هذه الرسالة، من أخبث الرجال الذين أمسكوا بالقلم وشردوا عن نهجه السوي، ومضاعفات الجهل المركب تبدو أشد ما تكون في أحكامه التي يرسلها عن هوى يكتنف مقدماته ونتائجه كلها (ص١١).[1] ثم تناول شيخنا الجليل الافتراءات التي ساقها جولد تسيهر ورد عليه ردا مقنعا، بحجج قوية وأسلوب مقنع وعاطفة دينية مؤثرة.

وفي هذا السياق وصفه أحد الباحثين بقوله: «هو من شر مَن حرفوا في الإسلام وتاريخه».[2]

ونختم هذا النقد بكلمة منصفة أطلقها أدريان رولاند reland يقول فيها «: عندما يفكر بعض الغربيين بحنق ويفقدون الصواب في هجومهم على مبادئ الإسلام يتصورون

(١)- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٥.
(٢) عبد المتعال الجبري : الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ ، ص ١١٦

أنهم يدحضون بكثير من القوة المحمدية، في حين لا محمد ولا أتباعه يضارون من هذه الآراء المطلقة بلا دليل.»[١]

موجز القول لا نريد أن نطيل الثناء علي الكتاب أو القدح فيه، فهو موجود بين يدي الباحثين والقراء وهو عمل بشري فيه خيرات عظيمة، وفوائد جمة للدارسين في مجال الفكر الإسلامي وفيه شر غير قليل، قلما يخلو منه كتاب من كتب المستشرقين، وقضايا فكرية نرفضها جملة وتفصيلا.

د- لكن هذا لا يقلل من جهود جولد تسيهر المتميزة وإسهاماته في الدراسات الإسلامية، «والكتاب صورة كاملة متناسبة الأجزاء للحياة الروحية في الإسلام» كما يقول عبد الرحمن بدوي.[٢]

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب ترجم إلى اللغة العربية ونهض بترجمته د.محمد يوسف موسى وعلي عبد القادر (١٩٠٠- ١٩٩٠)وعبد العزيز عبد الحق، ط دار الكاتب المصري، القاهرة ١٩٤٦. وكتبوا له مقدمة طويلة، وأفردوا قسما واسعا في نهاية الكتاب للرد على معظم القضايا التي أثارها جولد تسيهر ردا علميا بالدليل العلمي والحجة القوية الحقيقة أن جولدتسيهر منصفا إلى حد كبير في بحوثه حول الأدب العربي وتاريخه وشعره وتبدو لنا شخصية الباحث الموضوعي المدقق، أما حينما يقترب من الدراسات الإسلامية يفقد موضوعيته وتبرز نزعته السادية وتتغلب عنصريته وانتمائه الديني، علي العقل المنصف والباحث الملتزم.

٦- مدحه العقيقي وأشاد بجهوده ولم يخف إعجابه بدراساته وبحوثه وتعمقه في دراسة الفقه الإسلامي والتوحيد والحديث والأدب العربي، مع اعترافه بالنواقص والهفوات التي شوهت بحوثه قال: «اشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام وعلوم المسلمين وفقهم وحركاتهم الفكرية تحقيقا فريدا في باب، فعد من أعلام المستشرقين

(١) دفاع عن القرآن ص ١٦١
(٢) موسوعة المستشرقين ، ص ٢٠٢

واعترف له عظماؤهم بطول الباع وصدق النظر والبعد عن الهوى»[1]

ونحن نقبل هذه الشهادة، بيد أننا من حقنا أن نتحفظ على قوله «والبعد عن الهوى» ونقرر أنه كان «الهوى ذاته» والميل كله والتعصب بعينه والإجحاف في حق الفكر الإسلامي.

٧- أما د.بدوي، فقد غالى في مدحه، وأفاض في ذكر مميزاته وشرح أبعاد شخصيته الإيجابية وعلمه الغزير ومنهجه المكين، الذي اعتمد على نفوذ بصيرته وعمق وجدانه واعتماده على البصيرة والوجدان. ولم يشر من قريب أو بعيد إلى هجوم جولد تسيهر على القرآن وتشكيكه في نصوصه وقدحه في شخصية الرسول وزعمه أنه اقتبس القرآن والأحاديث النبوية من العهد القديم ومقارناته المتعسفة في ذلك، وإرجاع كل رأي طريف أو فكرة مبتكرة أو نظرية فقهية إلى الفلسفة اليونانية أو القانون الروماني.

قال عنه أحد المؤرخين الأوربيين لحركة الاستشراق: «مارس على درب الدراسات الإسلامية تأثيرا عظيما أكثر مما أثر أي معاصر له، كما رسم مسار وتطور البحث العلمي بصورة حاسمة»[2]

٨- من اللافت للنظر أن جولد تسيهر بعد زيارته إلى القاهرة وسوريا عرج على فلسطين، وللباحث أن يتساءل أهي زيارة رحالة يبغي الاطلاع على كنوز الشرق وتراثه العريق وعبقه التاريخي أم زيارة لها دلالة سياسية تستند في باطنها بالمزاعم الأسطورية لليهود في فلسطين، وأنه يشارك بعض المتطرفين من طائفته في إقامة وطن لهم في قلب العروبة الجريح، والذي تحقق - بعد سنوات - بالدم والحرب والخراب والدمار؟

الحقيقة أن د.بدوي يجيب بطريقة غير مباشرة، يستشف منها أنه لم يكن لديه أهداف سياسة وأنه لم يكن يشارك طائفته أساطيرها التوراتية القديمة أو أحلامها الموهومة

---

(١) العقيقي المستشرقون ج٣/ ٤١

(٢) تاريخ حركة الاستشراق، ص٢٤١،

ومزاعمها الكاذبة، يقول: «لم يكن جولد تسيهر من المعنيين بشؤون الشرق المعاصر، ولا بالمسائل الحية التي تضطرب فيه سواء من هذه المسائل ما هو سياسي وتشريعي وديني، وحضاري ثقافي. وهو من هذه الناحية يختلف اختلافا عن الغالبية من كبار المستشرقين في القرن العشرين»[١].

ومع احترامنا لرأي أستاذنا -المرحوم بإذن الله تعالي - د.بدوي، فنحن لا نذهب مذهبه ولا نعتقد أن تسيهر كان بعيدا عن السياسة؛ ولنا على ذلك دليلان: الأول أنه تولى منصب أمين الجالية اليهودية في بودابست وكان ينفق في خدمها والترقية بشؤونها ست ساعات يوميا.[٢]

الثاني: أن زيارته إلي فلسطين تحمل دلالة سياسية، وأحلاما باطنية غائرة في اللاشعور لم يشأ أن يفصح عنها بأسلوب صريح، إنما أراد أن يعبر عنها بالفعل الخفي ويتستر وراء عباءة البحث العلمي، ومضي بزيارته إلى فلسطين يشارك طائفته في أساطيرها ويدعم دعاويها التوراتية، ويؤكد بالفعل والقول مزاعمهم في العودة إلى فلسطين لاسيما وقد عاصر نشاط الحركة الصهيونية المحموم بزعامة هيرتزل الصحفي اليهودي النمساوي (١٨٦٠- ١٩٠٤) الذي استطاع عقد مؤتمر صهيوني عالمي عام (١٨٩٧)، و نجح في استقطاب آلاف من أغنياء اليهود والتصميم على اختيار فلسطين وطنا قوميا لهم دون أن يختاروا أثيوبيا أو الأرجنتين، ووضع خطة محكمة لشراء أرض فلسطين بأموالهم المكدسة في مصارف أوربا.

موجز القول: لا نبرئ زيارة جولدتسيهر إلى فلسطين من الأغراض السياسية والأهداف المشبوهة.

٩- نبذة عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت٢٣٥هـ) كان عالما باللغة والشعر أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي، كثير التأليف في فنون متعددة[٣].

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ١٩٨

(٢) يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ، ص٢٣٩

(٣) - تاريخ آداب اللغة العربية ج٢/ ١٨٩

أما كتابه فيعد من طرائف الكتب العربية، غريب في بابه فريد في موضوعه، إذ يتكلم عن مأساة الشيخوخة، ويحكي بلسان أصحاب التجربة تجربتهم المؤلمة في مواجهة الظواهر النفسية والجسمية التي تعتري الإنسان، إذ يتوجعون من طول العمر، يبحثون عن الموت فلا يجدوه ويطلبوه فلا يحصلون عليه، الكتاب آهة طويلة تصدر من أعماق قلوبهم ودمعة حارة تسيل علي خدودهم، وأنة شاكية لمن يقدر أن يخفف آلامهم.

يعد الكتاب من كتب التاريخ فيه تراجم الرجال الذين عمروا في الجاهلية مع طرف مما قالوه في نهاية أعمارهم.[(١)] طبع الكتاب أكثر من طبعة منها طبعة جولد تسيهر.

١٠- محمد بن تومرت (٤٨٥-٥٢٤هـ/ ١٠٨٧- ١١٣٠م):

مصلح ديني مراكشي ولد في جبل السوس، وتردد على المساجد سافر إلي الحجاز ومصر والشام والعراق والأندلس قرأ لابن حزم والغزالي وتأثر بأفكارهما ثم أظهر مذهبه في المغرب، وبايعه جمع غفير ولقبوه بالمهدي، وسمي أتباعه بالموحدين يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تشدد مذموم أدي إلى وقوع الحرب بينه وبين المرابطين سفكت فيها دماء غزيرة، أسس دولة الموحدين (٥٢٦ت٦٦٨هـ) التي أقامها تلميذه عبد المؤمن.آراؤه مزيج من تعاليم الشيعة والمعتزلة وأهل السنة.[(٢)]

أما كتابه التوحيد؛ فيعد محاولة صادقة لتجديد قضايا علم الكلام على المذهب الأشعري؛ إذ فتح الباب للتأويل الكلامي، لذلك وافق المعتزلة على تأويلهم الأسماء والصفات و أطلق على أنصاره الموحدين، وفي الوقت نفسه اتهم المرابطين بالتجسيم لأنهم يثبتون الصفات، واقتبس من الشيعة فكرة وجوب الإمامة وعصمة الأئمة، ونظر إليه أتباعه أنه من المعصومين.

الإشكالية أنه حارب المرابطين أهل السنة، ودخل معهم في حروب طويلة طاحنة

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج٢/ ١٩٠

(٢)- تاريخ آداب اللغة ج٣/ ١٠٧ الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، طبعة دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥، مادة ابن تومرت، ص ١٢

بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتساهل في سفك دماء المسلمين دون مسوغ شرعي، وهذا في حد ذاته إفساد في الأرض ما بعده إفساد.

١١ - نبذة عن حياة الحطيئة (ت٦٥٠ م):

- اسمه جرول بن أوس، شاعر مخضرم عاش بنجد، مغمور النسب أسلم وارتد ثم استقام أمره فشارك في فتوح فارس، كان هجاءً سليط اللسان، حبسه عمر بن الخطاب ثم أطلق سراحه بعد أن استعطفه بشعر مؤثر وأخذ وعدا منه أن يكف عن هجاء الناس، تنقل في الحجاز والعراق والشام، كان يتكسب من المديح والهجاء، ومتمردا على نفسه و المجتمع والحياة، هذا التمرد على الذات وعدم الرضى وإحساسه بدونية النسب، في مجتمع يعتز بالعصبية أدى إلى نضوب ينابيع العواطف الإنسانية، وكراهية الآخرين، فأطلق لسانه يهجو نفسه وأفراد أسرته والمحيطين به.

موجز القول: يري النقاد أن شعر الحطيئة فخما في المديح، رقيقا في الاستعطاف، أليما في الهجاء، كل ذلك بأسلوب غاية في الموافقة من حيث الرشاقة والإيجاز والتنقل بين الخبر والإنشاء» [١]

كان يتصرف في فنون الشعر ويجيدها فكتب في المديح والهجاء والنسيب والفخر.

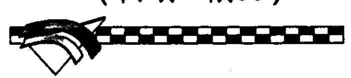
طبع للمرة الأولى في القسطنطينية (١٨٩٠)وطبعه جولدتسيهر في ليبزج (١٨٩٣) وفي مصر عام(١٩٠٥).

***

(١)- ديوان الحطيئة ، شرح د.يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢، ص ٨، وأيضا: تاريخ آداب اللغة ج١/ ١٤١، الموسوعة العربية الميسرة ، مادة الحطيئة ، ص٧٢٦

٣ - ادوارد جلازر Edward glaser

(١٨٥٥- ١٩٠٨)



أولا : نبذة عن حياته :

١- ولد جلازر في عام (١٨٥٥)بمقاطعة دويتش رست التابعة آنذاك إلى تشيكوسلوفاكيا، من أسرة معدمة، لكن فقره لم يقف عقبة في وجه طموحاته وآماله العريضة في الدراسة العلمية، فكافح وصبر حتى استطاع من خلال شغفه بالعلم ومواهبه الفذة أن يلتحق بمدرسة الهندسة في براج، وحصل على دبلوم في الرياضيات والفيزياء والمساحة عام (١٨٧٦) وقد تجاوز العشرين عاما بقليل، ثم عكف على تعلم علم الفلك، ودراسة اللغة العربية.

ومن الواضح أن ميوله يغلب عليها الطابع العلمي وشغفه متعلق بالدراسات الجيولوجية والطبوغرافية، وعلي كل حال، تابع مسيرته التعليمية ونجح في الالتحاق بجامعة براغ، ثم انتسب إلى جامعة فيينا، وأثبت جدارته وتفوقه الدراسي، فكافأته الجامعة بتعيينه مدرسا للغة العربية ومشرفا على مرصدها.

٢- كان جلازر عنده شغف منذ صغره أن يصبح رحالة، وزكى أساتذته هذه المواهب في نفسه وشجعوه على السفر، فشد الرحال إلى مصر ثم تونس وفيهما أتقن اللغة العربية وتعرف على عادات العرب وتقاليدهم.

ثم ولى وجهه إلي دراسة النقوش العربية في الجزيرة العربية وبالتحديد في اليمن السعيد عام (١٨٨٠) علي يد دافيد هينرش الأستاذ المتمكن في اللغات السامية، ومن الواضح أن ذلك كان تمهيدا للقيام بالرحلة إلي بلاد اليمن، ولاشك أن مؤهلاته العلمية ودراساته السابقة للغة العربية وعلم المساحة والطوبغرافيا، كانت تمده بزاد قوي لكي ينجح في مهمته.

لا شك أن هذا ساعده في إنجاح رحلاته الاستكشافية إلى جنوب الجزيرة العربية التي تقع ما بين (١٨٨٢ - ١٨٩٤) إذ شد الرحال إلى (الحُدَيّدة) ميناء اليمن، ومنها انتقل إلى مدنه المليئة بالآثار التاريخية سواء ما يتعلق بتاريخها قبل الإسلام أو بعده، وذلك بغرض البحث والتنقيب عن آثاره المغمورة ونقوشه العجيبة، وحصل على (١٠٣٢) كتابة قديمة منقوشة على الأحجار وعددا من المخطوطات بلغت (٢٨٠) مخطوطا تتعلق بالمذهب الزيدي، ومن المؤسف أنها انتقلت خارج اليمن إلى متاحف ومكتبات لندن وبرلين وباريس وفيينا وباعها بثمن وفر له مبالغ طائلة ساعدته على تمويل رحلته الثالثة التي استطاع فيها أن يزور سد مأرب ويجمع منه مواد نفيسة كثيرة وينسخ عددا كبيرا من النقوش ورسم خرائط جغرافية للأماكن التي زارها ووصف طبيعة القبائل التي تعامل معها وصور عاداتها وتقاليدها وأسلوب حياتها.

وفي رحلته الرابعة والأخيرة (١٨٩٢- ١٨٩٤) جمع الكثير من النقوش الأثرية، ومات جلازر في ميونخ عام (١٩٠٨).[1]

ثانيا: جهوده العلمية:

معظم مؤلفات جلازر عبارة عن تقارير ومقالات وخرائط نشرت في مجلات أوربية تسجل رحلاته إلي بلاد اليمن السعيد، والأخطار التي تعرض لها والمصاعب التي واجهها والطرائف التي مرت به، ومنها:

١ - رحلاتي خلال قبائل أرحب وحاشد.(١٨٨٤)

٢- من الحديدة إلى صنعاء.(١٨٨٥)

٣- عن أسفاري في الجزيرة العربية.(١٨٨٧)

أما عن الكتب التي وضعها فهي:

١ - مشاكل خاصة بجنوب الجزيرة العربية.براج ١٨٨٧.

---

(١) - موسوعة المستشرقين ص١٨٦، وأيضا صلاح المنجد: المستشرقون الألمان، دار الكتاب الجديد، بيروت ص ٩٣-٩٤.

٢- مخطط تاريخ وجغرافيا الجزيرة العربية من أقدم الأزمنة حتى زمان النبي محمد.(١٨٩٠)

٣- الأحباش في الجزيرة العربية وفي إفريقية.(١٨٩٥)

٤- عَمر النقوش المعينية والأصل في اسم العبريين.(١٨٩٧)

٥- بلاد البونت والممالك العربية الجنوبية.(١٨٩٩)[1]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١ - هذا يهودي عصامي علم نفسه بنفسه، وبني حياته بجهوده الذاتية، درس وتعلم العربية رغبة منه في كشف كنوز العرب التاريخية، والإبحار في تاريخهم القديم، و قراءة آثارهم المدفونة، التي تتصل من قريب أو بعيد بالقبائل اليهودية كما يعتقد كثير من طائفته، ومحاولة استغلال ذلك في تأييد الأفكار الأسطورية التي يؤمنون بها ونقلها من الخيال إلي الواقع.

ومن المؤسف أن الأساطير وجدت سبيلا إلى الواقع وتجسدت في حياة الناس دولة عنصرية من خلال منطق القوة والعنف والقتل، في حين تم تغييب حقائق التاريخ الساطعة ومبادئ الأخلاق لأنها تعتمد على منطق الحق والصدق والعدل وهي عملة اختفت من قاموس العالم المعاصر، ومن حياة البشر الأسوياء.

٢- لا أحد يقلل من إنجازات جلازر وخدماته، فقد كانت عظيمة في مجال الكشف عن الآثار، وكذلك جمعه للنقوش والقطع الأثرية والمعلومات الطبوغرافية، ووصفه المسهب للخرائب الأثرية، حتى صار حجة في نقوش اليمن وكشف عن أسرار تاريخه الضارب في القدم، وقدم دراسات جادة وواسعة استفاد منها المؤرخين المعاصرين الذين تصدوا للحديث عن تاريخ اليمن، كذلك زود مكتبة برلين وغيرها من المكتبات بمصنفات المذهب الزيدي ومخطوطاته[2]، فضلا عن أن، هذه الجهود أدت إلى إنشاء علم

(١) موسوعة المستشرقين ص ١٨٦/ ١٨٧، العقيقي : المستشرقون ج٢/ ٢٨١
(٢)- تاريخ الأدب العربي ج٣/ ٣٢٢

الدراسات السبأية، وقد اشترت أكاديمية العلوم بفيينا تركته العلمية الواسعة.

لقد بزت خدمات جلازر كل جهود زملائه من العلماء النمساويين الذين ذهبوا بعده في رحلات متتابعة وطويلة وقاموا باكتشافات واسعة، فوسعوا من دائرة معلوماتنا عن آثار اليمن، وعلى الرغم من أن كثيرا من النتائج التي توصل إليها أصبح لا قيمة لها، إذ إن بعض أحكامه غلب عليها الطابع الخيالي إلا أن ما توصل إليه ينبئ عن دراسة علمية ونظرة عبقرية.[1]

٣- من الجدير بالإشارة أن أحد الرحالة النمساويين، ويدعى زيجفريد لانجر siegfrect langer سبق جلازر في الذهاب إلى اليمن وعبد له الطريق وشجعه بطريقة غير مباشرة على الإقدام والمخاطرة، ويعد من الرواد الأوائل في استكشاف الجنوب العربي؛ درس في فيينا اللغات الشرقية ومنها اللغة العربية ثم سافر إلى سوريا ومنها توجه بالسفينة إلى الحديدة، واستطاع أن يسافر إلى صنعاء، ثم واصل سفره إلى عدن، ونشط في جمع النقوش والرسوم الخاصة بالجنوب وأرسل بها إلى أوربا، إلا إنه قتل في حضرموت من طرف مرافقيه.[2]

٤- نعتقد أن هذه الرحلات الخطرة التي قام بها جلازر إلى اليمن لم تكن خالصة لوجه العلم والعلماء وتقديم خدمة للبشرية من خلال اكتشاف كنوز هذا البلد الطيب، والمساعدة في اكتمال حلقات التاريخ المفقودة.

ومع اعترافنا بالهدف العلمي لكننا نعتقد أن وراء ذلك سببين:

أ- تحقيق ثروة كبيرة من خلال العثور على النقوش الأثرية والمخطوطات وبيعها بأثمان باهظة، وفي هذه النقطة فهو مثل طائفته يحب المال حبا جما، ويحرص على جمعه من مظانه وتكديسه، مهما كلفه ذلك من أخطار، وليس في الأمر أي غرابة فتاريخ اليهود في جمع الثروات وتكديسها معروف ومشهود.

---

(١) المستشرقون الألمان ص ٩٧

(٢) - المشتشرقون الألمان ص ٩٤

ب- لما كان اليهود يعتقدون أن لهم جذورا في شبه الجزيرة العربية، وهذه حقيقة، و بقايا أقوام سكنوا هذه المنطقة في الشمال والجنوب والغرب وبخاصة في المدينة وما حولها، وأن الرسول ﷺ هو الذي طردهم خارجها، فمن الممكن أن يكشف البحث في طبقات الأرض، والتنقيب في البيوت المغمورة على بقايا أثرية قد خلفوها، أو معالم ربما عفى عليها الزمن، أو أي دليل مادي يعضد أحلامهم، وهذا يخدم قضية اليهود في مزاعمهم، ويساند ادعاءاتهم الأسطورية في العودة إلى فلسطين.

٥- اعترف جورجي زيدان (ت١٩١٤) أنه استفاد استفادة واسعة من كتبه وأبحاثه التي كتبها عن ملوك التبابعة وملوك الحبشة الذين احتلوا اليمن، وبعضها في آثار العرب وتاريخهم ولغاتهم وجغرافيتهم بالاستناد إلى الآثار المنقوشة حينما حرر كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام»[1].

***

(١) - تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤/ ٥١٨، العقيقي: المستشرقون ج٢/ ٢٨١

٤- إسرائيل ولفنسون. esraeel walfnson

أولا: نبذة عن حياته:

١- «أقبل إلى مصر و إن له ثقافة متينة منوعة، قد أتقن من اللغات الأوربية الحية أرقاها وأمسها بالبحث العلمي التاريخي ولاسيما فيما يتصل بالمسائل الشرقية العربية، وأتقن من اللغات السامية أغناها بالآثار القيمة في الدين والأدب والعلم، ولم تقف ثقافته عند إتقان هذه اللغات بل درس من آدابها حظا موفورا فكان له مزاج معتدل من هذا القديم السامي والجديد الأوربي يعده أحسن إعداد لتناول المسائل التاريخية والأدبية الرقيقة إذا تهيأت له مناهج البحث كما ألفها علماء أوربا في هذا العصر الحديث.

٢- انتسب إلى الجامعة المصرية واختلف إلى نخبة من أساتذتها الفطاحل ينصت إلى دروسهم، ويستوعب مقولاتهم، ويعب من علمهم الفياض، ويعمل معهم حتى تهيأ له من ذلك الزاد الوافر والعلم الغزير والمحصول العلمي الواسع.

أضف إلى ذلك حرص على متابعة محاضرات د.طه حسين في التاريخ القديم، ومتابعة مناقشاته مع طلابه، وتشجيعهم على الحوار الحر والجدل المثمر والشك المنهجي والبحث العلمي، لذلك حاول أن يقترب منه ويتعرف عليه، وقد لمس طه حسين منه الإجادة والإتقان، والرغبة الجارفة في القراءة والاطلاع فعطف عليه وخصه بنصائحه، علاوة على ذلك كان له مزيد اهتمام وعناية خاصة بتاريخ اليهود القديم سواء في ظل السيطرة العربية أو اليونانية والرومانية.

وبعد سنوات من الدراسة الجادة والمذاكرة المتواصلة والجهد المكثف، حصل على ليسانس الآداب، إلا أن همته كانت واسعة وإرادته قوية وطموحه أوسع من ذلك، فتابع جده واجتهاده لمواصلة البحث و الدراسة والتنقيب عن تاريخ قومه ودورهم في التاريخ القديم، لاسيما فيما يتعلق بوجودهم في بلاد العرب، وكيف سارت بهم الأيام، ومضت بهم السنون، وطوح بهم الزمان. ولما كان شغوفا بهذه القضية لذلك اختار «تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية وصدر الإسلام» موضوعا لدراسة الدكتوراه، وظفر بالدرجة

العلمية في هذا البحث، بإشراف طه حسين [١].

وقد قرظ البحث د.طه حسين ومدحه حينما قدمه للنشر فقال: إن إسرائيل ولفنسون وفق إلي الخير في الكتاب، ووفق إلى تحقيق أشياء كثيرة لم تكن قد تحققت من قبل، وعرض مباحث المستشرقين حول هذه القضية في اللغة العربية ولم تكن نوقشت من قبل، وبسط تاريخ اليهود في بلاد العرب بسطا علميا و بعبارة مركزة ممتعة.[٢] ومحاولتهم العيش في أحضان العرب والتكيف مع عاداتهم وتقاليدهم والاقتباس منها وتدريب نفوسهم على التعاون مع الآخرين و الانتصار على عزلتهم، والتخفيف من نزعة الاستعلاء على الأجناس المباينة لهم.

٣- قام بالتدريس في كلية دار العلوم بالقاهرة، ثم انتقل إلي كلية الآداب بالجامعة المصرية حتى عام (١٩٣٧).

ثانيا: جهوده العلمية:

١- تاريخ اليهود في بلاد العرب.(القاهرة ١٩٢٧) قدم له د.طه حسين بمقدمة طويلة، وقد مدحه مدحا عريضا، وأشاد بإرادته الصلبة وهمته القوية وسعة ثقافته وإلمامه باللغات الحية، واطلاعه على آراء المستشرقين اطلاعا واسعا.

٢- تاريخ اللغات السامية.(القاهرة ١٩٣٠).

٣- موسي بن ميمون: حياته ومصنفاته بالعربية، (القاهرة ١٩٣٧).

قدم له الشيخ مصطفي عبد الرازق (ت ١٩٤٧) بمقدمة ضافية، أشار فيها إلي أهمية الكتاب، وسماحة الحضارة العربية الإسلامية مع الديانات الأخرى، ومشاركة جميع الأجناس التي انضوت تحت رايتها في بناء قواعدها ونهضتها ورقيها، ونوه بجهود ولفنسون العلمية ونشاطه الجم والمشاركة في الأنشطة الثقافية التي كانت تقوم بها الجامعة المصرية آنذاك.

---

(١) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، من المقدمة التي كتبها د.طه حسين ، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٨

(٢) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص٩

٤- كعب الأحبار (بالألمانية).

٥- نشر كتاب «المصايد والمطارد»، لأبي الفتح بن كشاجم.(المجمع العلمي بدمشق). [1]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- يتميز هذا الرجل عن أنداده من اليهود أنه عاش فترة طويلة في مصر وتلقي علومه في جامعتها العريقة(وهذا من أوكد الدلائل على سماحة المصريين مع الجالية اليهودية التي كانت تعيش في مصر حيث حصل علي ليسانس الآداب، على أساتذة أجلاء أكفاء، من الأجانب والمصريين؛ اتسموا بفضيلة التسامح الفكري وسعة الصدر لأفكار الآخرين ورحابة الأفق، وإتقان اللغات الأجنبية وغزارة المعرفة والاطلاع على الثقافة العربية والأجنبية؛ وعلى رأسهم مصطفى عبد الرازق وأحمد أمين (ت ١٩٥٤)، وأمين الخولي (١٨٩٥- ١٩٦٦)، وطه حسين، وبعد أن استكمل أدواته المعرفية وتكوينه العلمي وحصل على شهادة الدكتوراه؛ عمل بالجامعة المصرية.

٢- رؤية تحليلية لكتاب تاريخ اليهود:

أ- يحاول ولفنسون في هذا الكتاب إثبات أن اليهود كانوا يعيشون في فلسطين «على كر الزمان ومرور الأيام» (ص١٦)و حينما هاجرت بعض القبائل من فلسطين إلى شبه الجزيرة العربية وسكنت بين جهات يثرب ومكة في القرن الثاني عشر ق.م، كان بسبب القحط الذي عم فلسطين والجدب الذي أصاب البلاد، وبعض القبائل بقيت كما هي في بلادهم، ويستشهد بأبحاث جلازر واكتشافاته في اليمن والجزيرة العربية.

كذلك هاجرت بعض القبائل الإسرائيلية إلى سيناء والجزيرة العربية بعد غزو بختنصر فلسطين وتدميره مدينة أورشليم (ص ١٧) ثم تتابعت الهجرات بسبب زيادة عدد سكان اليهود في فلسطين الذي وصل إلى أربعة ملايين، علاوة على هجمات الرومان على فلسطين في (٧٠ ق.م) (ص٢٢)

---

(١) - العقيقي : المستشرقون ج٢/ ٤٦٠

يبدو أن لفنسون واسع الخيال، ويغرق في الوهم حينما يذكر ذلك، لأن عدد سكان مصر أيام محمد على وصل إلى مليون ونصف، فكيف يكون عدد اليهود آنذاك أربعة ملايين؟

ب- يؤكد في معظم أقواله على منعة القبائل الإسرائيلية وقوتها وكثرة عددهم ووفرة المال معهم وشجاعتهم وانتصارهم في أغلب المعارك التي دارت بينهم وبين الكنعانيين، وبينهم وبين بعض القبائل العربية حتى أنهم وصلوا إلى أرض الجزيرة (ص ١٩- ٢٠)

جـ- لم يتحرر ولفنسون من النظرة الاستعلائية التي تملأ جوانحه وتستكن في أعماقه إزاء العرب، إذ يكرر دائما مقولة مدنية اليهود وتفوقهم على الجنس العربي، وأنهم أخذوا يهبطون من قمة المدنية والحضارة إلى هوة الهمجية والتخلف بسبب استيطانهم بلاد العرب، وأن البيئة الصحراوية شلت قوى اليهود الروحية وتغلبت عليهم العقلية البدوية.(ص ٢٥).

وفي حين يؤكد المؤرخون أن اليهود الذين قطنوا الجزيرة العربية هم عرب تهودوا أو جاؤو من خارجها، يقرر ولفنسون أنهم يهود قدموا من فلسطين، ويدلل على ذلك أنهم بنوا الحصون على قمم الجبال ليحموا أنفسهم من هجمات الأعراب الطامعين في أموالهم وحاصلاتهم الزراعية، وقد نقلوا ذلك من وطنهم الأصلي فلسطين، فضلا عن اشتغالهم بالزراعة وتربية الماشية والصياغة والربا.وقد شاركت المرأة اليهودية بدور فعال في جلب الرزق لأسرتها، وهذا ليس غريب عليها إذ نبغ من جنسها النابغات والشاعرات والبطلات والملكات. (ص ٢٩، ٣٢، ٤٩)

وهذا الغمز للعرب واضح للعيان، فهم همج متوحشون، رعاة رحل يهجمون على اليهود الطيبين الآمنين فيروعون أبنائهم وينهبون أموالهم!!.

د- في الباب الثاني يتكلم ولفنسون عن أسباب انتشار اليهودية في اليمن، والاضطهاد الذي وقع على أهل نجران واستنجادهم بالروم، وإغارة الأحباش على اليمن، وقضائهم على الدولة الحميرية اليهودية.(ص ٥١-٦٦)

هـ- في الباب الثالث يستعرض بطون يثرب ومنها قبيلتي الأوس والخزرج، والصراعات التي دارت بين قبائل اليهود وبينهم وبين المسيحيين والعرب، ويشيد بقوة اليهود وهيبتهم بين العرب، حتى أن قبيلتي الأوس والخزرج، كانتا تخشيان من قوتهم وتحاولان أن تتحالفا معهم. (ص ٦٧-٨٧)

ونلاحظ أن ولفسون يمضي في سرده لأحوال اليهود على نفس النمط السابق، أي الإعلاء من شأن التحضر اليهودي في مقابل التوحش العربي.

و- يتوقف ولفنسون طويلا في الباب الرابع للحديث عن أحوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية قبل انبلاج نور الإسلام. ويستهل حديثه عن مقدرة اليهود على بسط نفوذهم الديني على العرب والمسيحيين؛ ولكن حال دون ذلك؛ أن اليهود لم يرغموا أحداً على اعتناق دينهم، ثم إن ذلك محظور علي اليهود، هذا من جهة ومن جهة أخرى، أن بعض العرب أراد أن يقبل بعض تعاليم التوراة ويترك بعضها الآخر فيجمع بين التوحيد والوثنية، ومن جهة ثالثة، صعوبة التكاليف التوراتية وقوانينها الثقيلة وتقييدها لحرية العربي، الذي ألف التفرد و الاستقلال وحب الحرية.

بيد أن الحقيقة أن اليهود يرون أنهم أبناء الله و شعبه المختار، ولا يرغبون أن تشاركهم الأمم الأخرى في هذا التميز، ومن هذه الزاوية لا يعترفون بغير أنبياء بني إسرائيل.

ثم يمضي ولفنسون يبين وشائج القرابة بين اليهود والعرب، وأن ذلك ورد في أسفار التوراة، وأوجه تأثير اليهود في العرب ومن ذلك؛ القصص التي جاءت في التوراة، وتأخير الشهور، ولكنه ينفي تأثر العرب بالختان من اليهود، لأن هذه العادة قديمة عندهم، كذلك ينكر على بعض المستشرقين قولهم أن تجار قريش تعلموا ملكة التجارة بما تحتاج من دهاء وذكاء وسعة حيلة من اليهود، وينتهي إلى تقرير أن الجزيرة العربية كانت معبأة بإرهاصات متعددة تمهد لرسول قادم، ومهيأة لاستقبال دين جديد بعد أن فشلت اليهودية والمسيحية في القضاء على الشرك والوثنية، و إرساء معالم التوحيد.(ص٨٩ - ١٠٨)

ز- يبدأ ولفنسون الباب الخامس بطرح سؤال مفاده هل اتصل الرسولﷺ بجماعات من اليهود قبل هجرته؟

ويجيب أن عملية الاتصال بين مكة والمدينة كانت مستمرة بسبب تجار اليهود الذين يفدون إلى مكة، وأهالي قريش الذين يذهبون لشراء الحلي من يهود خيبر،

غير أنه لا يستبعد وجود بعض اليهود في مكة والطائف، وأن الرسول ﷺ ربما تعرف على بعض اليهود في أثناء عمله بالتجارة، و يرى أن القرآن المكي أشار إشارات متوالية إلى صحف إبراهيم و موسى وبني إسرائيل، هذا من جهة، ومن جهة ثانية توجه الرسول في صلاته إلى القدس، ومن جهة ثالثة ذهب بعض القرشيين إلى أحبار اليهود ليسألوهم عن رأيهم في مدى صدق بعثة الرسول ﷺ.

ثم يناقش سبب هجرة المسلمين إلى الحبشة دون يثرب، ويجيب مخافة من هيبة قريش في نفوس العرب واليهود علاوة على الصلات التجارية القائمة بين مكة ويثرب. ويتناول خطوات بيعة العقبة بين الرسولﷺ والخزرج أولا ثم الأوس، ويرى أن دخولها الإسلام يرجع إلى اختلاطهم باليهود ومعرفتهم بقرب ظهور نبي جديد، ويسوغ عدم دخول اليهود في حلف مع الرسول ﷺ بسبب تشرذمهم وخلافاتهم السياسية، فوقف كعب بن الأشرف زعيم بني النضير موقف العداء، في حين أن عبد الله بن سلام أظهر ولاءه للإسلام.(ص١١٩- ١٢٩)

ح- يدور الباب السادس، حول هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وعقده معاهدات أمان مع اليهود، ودعوته لهم إلى الدخول في الإسلام، ويسهب المؤلف في تعقب الأسباب الحقيقية لإجلاء الرسول ﷺ بني القينقاع والنضير عن المدينة؛ ويشكك في رواية مؤرخي الإسلام أن سبب طرد بني النضير يرجع إلى مؤامرتهم لاغتيال الرسول ﷺ وينكر صحتها، ويسير في خطى فلهاوزن وبروكلمان ويردد مقولتهما.(ص ١٣١-١٦٥)

ط- على المنوال نفسه يمضي الباب السابع، إذ يعرض أسباب طرد الرسول ﷺ بني قريظة، فبعد طرد بني النضير خارج المدينة، مضوا يتحالفون مع قريش و يحرضون بنو قريظة على نقض المعاهدة مع الرسول ﷺ، ثم جاءت غزوة الأحزاب، وانساق اليهود

وراء أطماعهم وتحالفوا مع قريش والأحزاب ونقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ، ولما باءت غزوة الأحزاب بالفشل عاقبهم الرسول ﷺ عقابا شديدا وأجلاهم عن المدينة. (ص ١٦٧ -١٨٣)

ي- يستكمل ولفنسون في الباب الثامن شرح موقف الرسول ﷺ من يهود خيبر، الذين توجسوا شرا من الرسول ﷺ، وحاول أحد زعمائهم أن يوحد صفوفهم ويزحف على المدينة، ولكن لم يجد استجابة منهم، في الوقت الذي سعي فيه الرسول ﷺ لعقد صلح الحديبية مع قريش حينما شعر بميلها إلى الهدنة، وهنا أصبح الطريق أمامه ممهدا لمعاقبة يهود خيبر على تحريضهم قريش وغطفان لمحاربته، علاوة على أنهم كانوا يمثلون مع قريش عقبة عصية في طريق نشر الإسلام.

تقدم جيش المسلمين وبعد معارك شديدة سقطت حصون يهود خيبر واحدا بعد الآخر، وحينما طلبوا الصلح، وافق الرسول ﷺ حقنا للدماء ونشدانا للسلام، على أن يعطوا نصف ثمار الأرض التي في حوزتهم للمسلمين.

ويشير المؤلف إلى لفتة طيبة من الرسول ﷺ إذ كان من بين الغنائم «صحائف متعددة من التوراة» فلما طلبها اليهود سلمها لهم.

ويقارن بين موقف الرسول ﷺ وما فعله الرومان حينما دمروا القدس وأحرقوا الكتب المقدسة لليهود وداسوها بالأقدام، وكذلك ما قام به المسيحيون مع اليهود في الأندلس إذ أحرقوا التوراة «وهذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ورسول الإسلام ﷺ».(ص١٨٥-٢٠٤)

هذه حقائق تاريخية وبديهيات معلومة للجميع ولها شواهد من التاريخ ودلائل في الآثار، ولم يأت ولفنسون بجديد بل صدع بالحق وأقر بالصدق.

د- في الباب التاسع والأخير يعالج ولفنسون قضية إجلاء اليهود عن الحجاز، ويرى أن الرسول ﷺعامل بقية اليهود في المدينة والبحرين بمزيد من التسامح، و ينشر نص المعاهدة التي عقده معهم، وعندما تولى عمر الخلافة أجلى أغلب طوائف اليهود باستثناء

من كان له عهد مع الرسول ﷺ، وسبب ذلك كثرة الأيدي العاملة من الأسرى عند المسلمين وكان لهم خبرة بالزراعة، فأراد أن يحلوا محل اليهود، وبذلك يحقق هدفين؛ اجتماعي من خلال تشغيل الأيدي العاملة، واقتصادي حينما أخذ كل ربع الحاصلات بدلا من النصف الذي كان يدفعه اليهود.

وبهذا لم يتبق إلا قلة من اليهود الذين تركهم عمر لعهدهم مع الرسول ﷺ، وبقوا في وادي القرى وتيماء ثم اضمحل وجودهم وذابوا في المحيط العربي، أما يهود اليمن فقد حافظوا على وجودهم إلى يومنا هذا، «والله يحكم لا معقب لحكمه».(ص ٢٠٥٢١٧)

٣- بعد عرض محاور كتاب ولفنسون، نستطيع أن نسجل الانطباعات الآتية:

- لم يتخل المؤلف عن هويته اليهودية لحظة واحدة، ولم يتخلص من المؤثرات الفكرية التي تجذرت في أعماقه، ولم يتحرر من ضغط البيئة والموروثات الاجتماعية والنفسية، فطوال الكتاب يقوم بعملية إسقاطات تاريخية ووجدانية على الوقائع لكي يؤكد قضية واحدة «أن أرض فلسطين هي موطن الآباء والأجداد».

- الإشارة المستمرة إلى المظالم والنكبات التي حلت باليهود من الأمم الأخرى؛ الآشوريين والمصريين الفرس اليونان الرومان العرب.

- قدرة اليهود على التكيف مع الأحوال التي ألمت بهم، وتقبل الواقع كما هو مع محاولة تغييره لصالحهم، ونجاحهم في تحويل الأرض الصحراء إلى جنة خضراء، والحجر إلى ذهب، ومعرفتهم بفنون الزراعة والصناعة ومهارتهم في التجارة.

- الإشارة المستمرة إلى ثرواتهم الواسعة وأموالهم الطائلة وطمع الآخرين فيهم.

- إجادتهم لفنون الحرب، وسبقهم إلى الصناعات وفنون البناء لاسيما الحصون والآطام، وتمسكهم بشعائر دينهم ورفضهم قبول أي دين آخر.

- استنكاره بعض مواقف اليهود من الرسول ﷺ وبخاصة حينما تحالفوا مع المشركين وأعلنوا أن عبادة قريش للأصنام أفضل من دين الإسلام. وقد أكد القرآن هذا الموقف المخزي، وكشف تناقض سلوكهم بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ

الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].

٤- كتاب موسى بن ميمون:

- قسم ولفنسون كتابه إلى أربعة أبواب؛ يتناول الباب الأول حياة ابن ميمون منذ ولادته وسيرته الذاتية وتنقله من قرطبة إلى الفسطاط وحياته في مصر واشتغاله بالطب حتى وفاته.(وقد أشرنا قبل ذلك إلى نبذة مفصلة عن حياته).

وفي الباب الثاني يشرح بالتفصيل مؤلفاته العبرية والدينية، وأشار إلى الرسالة التي وجهها لعلماء اليهود المشتغلين بالأدب العربي، وينبههم على أهمية إلمامهم بأسس المنطق والفلسفة.

وفي الباب الثالث يتوقف طويلا أمام فلسفته لاسيما كتابه دلالة الحائرين ويشرح أبعاده وتأثيره في اليهود، وردوده على المعتزلة والفلاسفة في قضايا الصفات الإلهية وخلق العالم والنبوة ووجود الشر في العالم وحقيقة النفس.

أما الباب الأخير فقد وقفه على مصنفاته الطبية[1].

٥- نبذة عن كعب الأحبار.(ت ٣٢ هـ/ ٦٥٢م):

كعب بن ماتع الحِمْيَري من كبار علماء يهود اليمن، أسلم في عهد عمر بن الخطاب، يعد من القصاص، أي الذين يروون قصص الأمم القديمة على الناس، ولم يظهر هذا اللون الأدبي في عهد الرسول، إنما ظهر في عهد معاوية ولم يكن مرذولا في بداية الأمر وقد اشتهر به أهل الكتاب من اليهود ومنهم؛ عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، ووهب بن منبه (ت١١٤هـ).

كان كعب غزير العلم واسع الحيلة في قصص الأولين، وقد استعان بروايات التوراة في تفسير آيات القرآن، وعن طريقه وجدت الإسرائيليات سبيلها إلى التفسير، وقد تأثر به

---

(١) إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ، ط، ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٥، تقديم الشيخ مصطفي عبد الرازق .

كثير من الصحابة خرج إلي الشام وسكن حمص وتوفى فيها.[١]

٦- نبذة عن أبي الفتح كشاجم (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م):

أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي، المعروف بكشاجم؛ كان من الشعراء المجيدين، والفضلاء المبرزين، من أهل الرملة بفلسطين، تنقل في مدن الوطن العربي مابين القدس وحلب ودمشق وبغداد، وزار مصر أكثر من مرة، كتب للحمدانيين، ومدح الأمراء والكبراء وتكسب بشعره، قريب من أبي النواس في توجهه الحسي الباحث عن اللذة، عكف على اللهو وطلب المتعة، كان من شعراء الوصف الذين أبدعوا في وصف أدوات اللهو والترف، وكان يضرب بملحه المثل، قيل كان في بداية حياته طباخا لسيف الدولة، له ديوان شعر ورسائل عديدة، من مؤلفاته؛ أدب النديم، خصائص الطرب، كتاب المصايد والمطارد وغيرها.

أما لفظ كشاجم؛ فمنحوت من علوم كان يتقنها؛ الكاف للكتابة، والشين للشعر، والألف للإنشاء، والجيم للجدل، والميم للمنطق.[٢]

- قد يتعجب القارئ من اهتمام ولفنسون بشخصية كشاجم، لاسيما إذا كانت شخصية لاهية عابثة، تتمثل مسلك طرفة بن العبد في حياتها وتنهب اللذات، ويبحث عن سر الاهتمام به.

السر بسيط، فكشاجم من أهل فلسطين، ولد وعاش على أرضها الطيبة، وقد دأب ولفنسون تعقب تاريخ فلسطين، ويشرح كل ما يتعلق بتاريخها وأرضها وتضاريسها وزروعها وعلمائها ونزلائها، كما رأينا عند كثير من أهل طائفته.

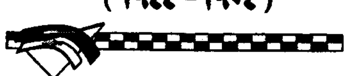
---

(١) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، ١٩٩٧، ج١/ ٣٢٧، الأعلام ج٥/ ٢٢٨

(٢) شذرات الذهب ج٤/ ٣٢١ الأعلام ج٧/ ١٦٧، الموسوعة العربية الميسرة ج٢/ ١٢٦٤

٥- باول كراوس paul kraus

(١٩٠٤- ١٩٤٤)



أولاً: نبذة عن حياته:

١- ولد كراوس عام (١٩٠٤) في مدينة براج، عاصمة تشيكوسلوفاكيا (سابقا) من أسرة يهودية، ولما كان مثل باقي أقران طائفته من الشباب الذين عاصروا ولادة المشروع الصهيوني، واقتناعهم بدعوته وتحمسهم له، وتقدم المشروع بخطوات ثابتة في طريق التحقيق، سارع في عام (١٩٢٢) إلى أرض الأحلام وسافر لكي يستقر في المستوطنات التي أنشأتها هذه العصابات المجرمة على أرض فلسطين، والتحق بمدرسة الدراسات الشرقية، التي كانت تابعة للجامعة العبرية في القدس، وفيها استطاع أن يتقن اللغة العربية.

٢- كان طموح كراوس العلمي بلا حدود، ورغبته الجارفة لمواصلة الدراسة بالغة، ويبدو أن نزعته إلى العلم كانت أكبر من أحلامه السياسية، والدعاوى الكاذبة لطائفته، لذلك غادر فلسطين إلى برلين في عام ١٩٢٨، لمواصلة الدراسة، وبعد جهد جهيد ظفر بالدكتوراه الأولى في موضوع «رسائل بابلية قديمة»، ونظرا لهذه الدراسة المعمقة و التقدم العلمي الذي حققه، اختاره أستاذه يوليوس روسكا (١٨٦٧-١٩٤٩)[١] وهو من كبار الباحثين في تاريخ العلوم في الإسلام، معاونا له في «معهد البحث في تاريخ العلوم» ببرلين عام (١٩٢٩)، ومَثّل هذا العمل منعطفا في حياة كراوس الذي عكف على دراسة الكيمياء عند علماء العرب، وبخاصة جابر بن حيان (٢٠٠هـ)ومحمد بن زكريا الرازي (ت٣٢٠هـ).

٣- اجتاحت ألمانيا تغييرات عاصفة، وصعد نجم النازية، وفي عام ١٩٣٣ سيطر

---

(١) ترجمته في موسوعة المستشرقين، ص ٢٨٩، العقيقي: المستشرقون ج٢/ ٤٢١/ ٤٢٢

الحزب النازي بزعامة هتلر على الحكم، وبدأ اضطهاد اليهود بسبب ما قدمته أيديهم من سوء، ومحاولتهم تخريب الاقتصاد الألماني، ومؤامرتهم على الدولة التي آوتهم، أحس كراوس بقرون استشعاره الدقيقة الخطر الداهم القادم، فبكر في الرحيل، وتوجه إلى فرنسا التي كانت أكثر أماناً وقبولا لليهود، وهناك قابل المستشرق الفرنسي الشهير لويس ماسينيون (١٨٣٣-١٩٦٢)[١] الذي شجعه على المضي في البحث العلمي ومواصلة الدراسة، و نجح في التسجيل للحصول على الدكتوراه من السوربون في موضوع فلسفة محمد بن زكريا الرازي، وقد انتهى من كتابتها لكن حالت الأسباب دون مناقشتها.[٢]

٤- كان التكوين العلمي لكراوس والبحوث التي قام بها، تبشر بمستقبل علمي باهر، وتؤهله للعمل في أي جامعة، لذلك جاء له عرض من الجامعة العبرية في القدس، وفي الوقت نفسه رشحه ماسينيون عام (١٩٣٦) لتدريس اللغات السامية في كلية الآداب جامعة القاهرة، فاختار العمل في مصر لإمكانيات جامعتها المتميزة، وتوافر المخطوطات في تاريخ العلوم وهو المجال الذي أنفق فيه جل عمره. وقد قام بتدريس اللغة السريانية والعبرية وفقه اللغة العربية في قسم اللغة العربية، أما في الدراسات العليا للماجستير فكان يحاضر عن التراث اليوناني في العربية، وشرح بعض النصوص العبرية في الكتاب المقدس.

٥- ظل كراوس يعمل في كلية الآداب، يلقي المحاضرات في ا لجامعة المصرية والعبرية، ويشغل نفسه بإعداد البحوث والتأليف المنهجي وكتابة المقالات لمجلة كلية الآداب، ومجلة «الثقافة» التي أسسها أحمد أمين والمشاركة في الأنشطة الثقافية التي تقيمها الجامعة والجمعيات العلمية، وقد مضت حياته هادئة رغيدة؛ يعيش في مسكن مميز بالزمالك أرقي أحياء القاهرة، يحصل على راتب عال (٣٨ جنيه) يوفر له درجة من الرفاهية والبذخ،[٣] ويسكن معه ضابطان في الجيش البريطاني للاستفادة من الأجرة التي يحصل عليها منهم، يتمتع بصداقات واسعة مع المحيطين به ومنهم المستشرق ماكس ما

---

(١) ترجمته في موسوعة المستشرقين ، ص ٥٢٩، العقيقي : المستشرقون ج١/ ٢٦٣

(٢) ذكر د.بدوي أنه اطلع على الرسالة وهي مكتوبة على الآلة الكاتبة ، موسوعة المستشرقين ص٤٦٤

(٣) هذا الراتب يعد ثروة كبيرة ، إذا علمنا أن الموظف صاحب المؤهل العالي في الستينات من القرن الماضي كان يتقاضي (١٦ جنيه) ويعيش عيشة طيبة تصل إلى حد الرفاهية .

يرهوف وعبد الرحمن بدوي الذي كان طالبا في كلية الآداب جامعة القاهرة، فضلا عن صلاته مع المستشرقين الذين قدروا أبحاثه في تاريخ العلوم واحترموا نشراته العلمية.

وفي صيف عام (١٩٤٤) سافر إلى القدس لقضاء عطلة الصيف، وبعد عودته تغيرت أحواله، وأصابه اضطراب نفسي رهيب وسيطر عليه قلق عنيف، واجتاحته موجة من الوساوس والخوف المبهم من خطر قادم لا محالة، وفي ١٤ سبتمبر عام (١٩٤٤) وجد منتحرا في شقته ولم يكشف عن سبب انتحاره.

على أن د. بدوي قدم اجتهادا مقبولا لتفسير سر الانتحار إذ يقول: إن كراوس كان عضوا في جماعة «اشترن» الإرهابية!!التي قامت باغتيال اللورد موين الوزير البريطاني في القاهرة، لأنه كان متعاطفا مع الحق الفلسطيني العربي وقد قبض على أفرادها ووجد معها عنوان كراوس، وقد كلفته هذه العصابة الإسرائيلية المجرمة بهذا الاغتيال، ولكنه خاف على نفسه، وأصبح بين أمرين كلاهما مُر؛ إما أن يقوم بالاغتيال فيعرض نفسه لخطر القبض عليه ومحاكمته وتشويه تاريخه العلمي وتلويث سمعته، وإما أن يتخلص من هذا الموقف المشين بالإقدام على الانتحار، وهو أهون الشرين!.[(١)]

وهكذا تطوي صفحة ناصعة من البحث العلمي والجهود الدائبة في كشف كنوز العرب العلمية، وأيضا ملطخة بخيانة البلد الذي آواه، ويسر له سبل الرزق، وفتح له مكتباته وبوأه مكانة علمية قل أن يظفر بها غيره وأسبغ عليه من فيض كرمه الكثير والخير العميم.

ثانيًا: جهوده العلمية:

خلف كراوس إنتاجا علميا غزيرا وكتبا تتميز بالشمول وبحوثا معمقة،، على الرغم من قصر عمره، الذي أنفقه في البحث عن المخطوطات والعكوف على دراستها ونشرها وتخصص في الكشف عن تاريخ العلوم عند العرب، وهو ميدان بكر لم يطرقه إلا ابن طائفته ماكس مايرهوف، علاوة علي بحوث متعلقة بفلاسفة الإسلام وفخر الدين

---

(١) موسوعة المستشرقين ص، ٤٦٤ ـ٤٦٧ ، العقيقي : المستشرقون ، ج٢/ ٤٧٢

الرازي(٦٠٦هـ) من المتكلمين والحلاج (٣١١هـ) من صوفية المتفلسفة، وسوف نشير إلى أهم مساهماته في خدمة التراث العربي الإسلامي:

١- تحطم أسطورة جابر بن حيان (١٩٣٠)، وقد توصل فيه إلى الزعم بأن رسائل جابر بن حيان في الكيمياء المنسوبة إليه هي في حقيقتها من وضع جماعة إسماعيلية.

٢- مختار رسائل جابر بن حيان، (مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٣٥)

٣- رسالة أبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ) في «فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي» (باريس ١٩٣٦)

٤- رسائل فلسفية لمحمد بن زكريا الرازي، منشورات كلية الآداب، عام (١٩٣٩).

٥- جابر بن حيان: إسهام في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام.في مجلدين نشر ضمن مجموعة معهد مصر؛ المجلد الثاني عام (١٩٤٢) و الأول(١٩٤٣).

قرظه د.بدوي تقريظا واسعا وأشاد به، وقال عنه: دراسة دقيقة لفكر جابر بن حيان، ودراسة شاملة لتاريخ العلوم لاسيما الكيمياء عند المسلمين و «يعد أعظم بحث كتب حتى الآن في ميدان تاريخ العلوم عند العرب، ومن أجل ما ألفه المستشرقون بعامة من كتب عظيمة الأهمية»[1].

٦- كتب كراوس بعض البحوث المختصرة تدور حول الحضارة العربية الإسلامية ومنها:

- السهر وردي: رسالة أصوات أجنحة جبرائيل.ترجم نصها من الفارسية إلى العربية، نشرها د.بدوي في كتابه «شخصيات قلقة في الإسلام»، دار النهضة العربية، (القاهرة.١٩٦٤)

- من تاريخ الإلحاد في الإسلام، كتاب «الزمرد» لابن الراوندي.نشره في مجلة الدراسات الشرقية (١٩٣٤).ترجمه د.بدوي ونشره، في كتابه من تاريخ الإلحاد في

(١) موسوعة المستشرقين ، ص ٤٦٦

الإسلام، (القاهرة، ١٩٤٥)

- «حول ابن المقفع» بحث منشور في «مجلة الدراسات الشرقية»، قام بترجمته د.بدوي ونشره في كتابه التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية القاهرة، ١٩٤٠.

- اشترك في تحرير بعض المواد العلمية في دائرة المعارف الإسلامية أهمها؛ المستنصر، الرازي، ابن الراوندي، ابن جبير[1].

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- نحن بصدد شخصية عريضة، قوية الإرادة صاحبة طموح عظيم، متعددة المواهب، غزيرة الثقافة واسعة الإطلاع، صاحبة تجارب إنسانية، عركته الحياة وصقلته التجارب، وهب نفسه للبحث في تاريخ العلوم عند العرب، وقدم إنتاجا متميزا، ولكن الأيام كشفت خبث طويته وخيانته للوطن الذي فتح له أبوابه، ومنحه خيراته، وبوأه مكانة مرموقة في السلم الاجتماعي، وكانت خاتمته جزاء وفاقا لتنكره لليد الحانية السخية التي انتشلته من الضياع والاغتراب. هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، نحن أمام شخصية عجيبة متناقضة الاتجاهات، مزدوجة الأبعاد؛ ظاهرها غير باطنها، ممزقة الهوى بين الوطن الذي فتح له قلبه ورحب به، والأساطير التي تعلق بها وعششت في وجدانه، دائم الترحال والتنقل من دولة إلى أخري مثل باقي أقرانه من اليهود، لأسباب نفسية تتعلق بحالة القلق الساكنة في أعماقهم وهاجس الخوف من الآخرين، وتوجس الغير منهم، وشعورهم بالاغتراب في كل مكان يحلون فيه؛ وأسباب اجتماعية تكمن في حالة الكراهية التي سادت أوربا تجاه شخصية اليهودي؛ المرابي البخيل الكذاب، وروح العداء التي يقابلون بها في أي محل ينزلون به؛ وأسباب سياسية، تتمثل في عدم الولاء للأوطان التي يعيشون في ظلهم، وانعدام روح الانتماء إليها، وينتج عن ذلك الانعزالية الكاملة عن حركة المجتمع، وهذا ما أكده المؤرخون حتى عن اليهود الذين عاشوا في مصر بعد أن أتوا إليها مع سيدنا يعقوب ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ

---

(١) موسوعة المستشرقين، ص٤٦٤/ ٤٦٧، وقد حاول العقيقي أن يحصي كل مؤلفاته ويقوم بحصرها: المستشرقون ج٢/ ٤٧٢/ ٤٧٣.

اللهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، فبعد أن تكاثروا وزاد عددهم توجس منهم رمسيس الثاني خيفة، وأعلن المصريون العداء لهم و أنزلوا بهم شتى العقوبات، لأنهم رأوا منهم عزلة وغرورا، وسيطرة على اقتصادهم واستلاب لأموالهم فضلا عن تعاونهم مع الهكسوس الغزاة في أثناء احتلالهم مصر(١).

٢- المدقق في مؤلفات كراوس يجد أنها تنحو نحو بعث أسماء الشخصيات التي قامت بدور مشبوه في الفكر الإسلامي وتاريخه، ومالت إلى التشكيك في مسلمات الدين الإسلامي والتنقص من مبادئه، وبحث عما كتبته هذه الشخصيات القلقة، على حد تعبير د.بدوي، في بطون المخطوطات، وبذل جهدا ليس باليسير في طرح أفكارها ومناقشتها وإبرازها على الساحة الفكرية.ونود أن نقدم نبذة سريعة ومختصرة عن كل شخصية، لكي نظهر سوء نية كراوس وأن دراساته ليست مبرأة من إثارة الشكوك في مبادئ الإسلام، وإظهار قيمة بعض الشخصيات المتمردة التي هاجمت أسسه بقصد بلبلة الخواطر، وبث الشبهات والأفكار المناوئة للأديان والرسل، ونشر الغبار في العيون والوساوس في القلوب والهواجس في الضمائر، والشكوك في العقول.

لا جرم أن ينطبق على كراوس مقولة ابن طائفته مكسيم رودنسون (ت ٢٠٠٢): «لم ير المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته، فاهتموا كثيرا بالأشياء الصغيرة والغريبة، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوربا؛ ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه.»(٢)

أ- جابر بن حيان (ت ٢٠٠ هـ /٨١٤م):

كيماوي عربي، يعد أول من اشتغل بالكيمياء، عاش في الكوفة وبغداد ويعتقد أنه من قبيلة الأزد، اسمه جابر بن عبد الله الكوفي، كان محبا للعلوم، و لديه ميول قوية لإجراء التجارب، تأثر بفلاسفة اليونان فقبل منهم بعض الأفكار ورفض بعضها الآخر، كتب في اللغة والبيان والسموم والأدوية وفي صناعة الأكسير والطلسمات، ومن المؤمنين بنظرية

---

(١) محمد سيد الطنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، القاهرة ، ١٩٦٨. ص ١٧

(٢) زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية ص ١١٦

إمكان تحويل المعادن إلى ذهب، وقد راجت هذه الفكرة بين علماء العرب بعد أن انتقلت إلينا من التراث اليوناني، عول على التجربة، امتاز بالدقة في البحث والأناة في الوصول إلى النتائج، كان لمؤلفاته أثر واسع في الارتقاء بالكيمياء، علاوة أنها ترجمت إلى اللاتينية، وتعد من أول المؤلفات التي نقلت إلى أوربا، مثل نظرية تحضير المعادن من عنصري الزئبق والكبريت.

من مؤلفاته: البيان والخواص الكبير والسموم وقد اهتم كراوس بتحقيق مخطوطاته والتحقق من مؤلفاته ما هو منسوب إليه وما زور عليه وليس من تأليفه، ونشرها نشرات علمية دقيقة.[1]

ب- ابن المقفع (ت١٣٩هـ/٧٢٧م):

عبد الله بن المقفع، من أئمة الكتاب، وأول من عنى في الإسلام بترجمة كتب المنطق، ولد بجور بفارس، نشأ في البصرة وتلقى علومه فيها، استخدم كاتبا لولاة العراق الأموين و عيسى بن على عم السفاح الذي علم أبنائه وأسلم على يديه، كرهه أبو جعفر المنصور فأوعز إلى واليه في البصرة «سفيان بن معاوية المهلبي» فقتله بسبب تجديفه في الدين، في رأي بعض المؤرخين، وبعضهم الآخر يعتقد أنه قتله لأسباب سياسية وشخصية، ولم يتجاوز ستة وثلاثين سنة.

كان من أنصار الشعوبيين الذين يفتخرون بحضارة الفرس، ويعلون من شأنها مع الحط من شأن العرب والسخرية من عاداتهم، نقل كتبا كثيرة إلى العربية.أهمها؛ كتب أرسطو في المنطق، المدخل إلى علم المنطق المعروف بايساغوجي، وله أيضا الأدب الكبير، والأدب الصغير.

ترجم كليلة ودمنة، من تأليف بيدبا الفيلسوف الهندي لأحد ملوك الهند، نزع فيه منزعا أخلاقيا، قصد منه تقديم النصح له بطريقة غير مباشرة على لسان الحيوانات،

(١) فاضل الطائي : علم الكيمياء عند العرب ص١٩/ ٢٢(ضمن الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية ، للدكتور عبد الرحمن بدوي) الموسوعة العربية الميسرة ج١/ ٥٩٠

موضحا الأسلوب الأمثل لحسن إدارة أمور الوطن وفيه نصائح تتعلق بعدم الإصغاء للواشي والنمام، والتثبت من الحقيقة وتحقيق ميزان العدل؛ ويرى البيروني أنه أضاف «باب بروزيه» في كليلة ودمنة، وادعى بأن معارفنا الدينية خالية من اليقين وأن الأديان قائمة على التناقض، وقصد من ذلك التشكيك في العقائد الإسلامية بل والهجوم عليها، ومحاولة كسب بعض السذج في مذهب المانوية، واتهمه بالزندقة.[١]

ج- أحمد بن يحي بن اسحق الراوندي (ت٢٩٨هـ/٩١٠م):

ينسب إلى «راوند» من قرى أصبهان، عاش في بغداد في أوج حريتها الفكرية، ومناظرة علمائها في البرهنة على صواب العقائد التي حملتها الأديان، انتسب إلى المعتزلة ثم انشق عنهم بعد أن تأثر بفكر أبي عيسي الوراق المانوي، أصدر كتابه «فضيحة المعتزلة» يهاجمهم ويفند أسس مذهبهم ويرد على الجاحظ في كتابه «فضيلة المعتزلة» حتى أصبح عدوا لدودا لهم، وقد رد عليه أبو الحسين الخياط (٣٠٠هـ)في كتابه الانتصار، وفند دعاويه، وأبطل حججه، سجن بسبب إلحاده وفر منه، لجأ إلى ابن لاوي اليهودي بالأهواز، مات سنة (٢٩٨هـ)[٢] من أهم كتبه «الدامغ للقرآن، التاج، الزمرد، نعت الحكمة.

دار إلحاد ابن الراوندي في هجومه على النبوة بعامة والتشكيك في نبوة الرسولﷺ بخاصة، إذ ادعى أن في العقل كفاية، فإذا كان ما يأتي به الرسول موافقا لأوامر العقل من التحسين والتقبيح، فقد استغنينا عنه بالعقل، وإن كان ما يأتي به مخالفا لأوامر العقل، فحينئذ يسقط عنا قبول أوامره.ويقول في كتابه الزمرد: الأنبياء ليسوا سوى سحرة يغنينا العقل عنهم.[٣]

---

(١) تاريخ آداب اللغة ج٢/ ١٣٣، بروكلمان ج٣/ ٩٢ بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام، سيتا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٥٣، الأعلام ج٤/ ١٤٠

(٢) تاريخ الأدب العربي ج٤/ ٢٨، الأعلام ج١/ ٢٦٧

(٣) الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦(مادة إلحاد كتبها د.حسن حنفي)، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ٨٩/ ٢١٦

د- الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤ -٣٠٩ هـ/٩٢٢):

أصله من فارس، ونشأ في مدينة واسط بالعراق، وتنقل في ربوع العراق وخراسان والأهواز وصحب كبار الصوفية، ظهر الزهد في مسلكه، فكان يصلي كثيرا ويصوم الدهر، و يتشيع لآل البيت فآمن بدعوته طوائف من الناس ورفعوا من مقامه وآمنوا بكراماته وتشكك فيه آخرون وعدوه من الزنادقة.

يعد من فلاسفة الصوفية تأثر بالفلسفة اليونانية والفارسية والمسيحية، له آراء عديدة تجافي الحس الديني وأقوال مستبشعة ومنها القول بالحلول أي حلول اللاهوت في الناسوت، وشطحات مستشنعة بادعاء الفناء، وقد اختلفت الآراء حوله، وتباينت مواقف العلماء في عقيدته تباينا عظيما؛ مابين الإيمان في إخلاصه للدين وعده من أقطاب الصوفية المتألهين؛ ومن اتهمه بالشعوذة وأنه من دعاة القرامطة فكفره وحكم بقتله، فقبض عليه وعذب وصلب وقطعت أطرافه وتقبل ذلك صابرا راضيا، له مؤلفات كثيرة توفر على دراستها جولدتسيهر وماسينيون وباول كراوس.[١]

هـ- محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١٣ أو ٣٢٠هـ):

من كبار أطباء المسلمين وفلاسفتهم، عاش في الري وتنقل في بلاد فارس وتعرف على منصور الساماني وكتب له كتاب «المنصوري في الطب»، ارتحل إلى بغداد واستقر فيها، برع في الطب حتى صار رئيس أطباء مارستان بغداد.

من مؤلفاته: الحاوي، العلم الإلهي، مخاريق الأنبياء، الطب الروحاني[٢].

اتهمه كثير من العلماء أنه كان يكيد للأديان ولا يؤمن بالنبوة، وطعَن في صحتها على أسس عقلية وتاريخية؛ وذهب إلى أن الأنبياء هم الذين تسببوا في الفرقة بين البشر وإثارة العداوة والأحقاد بينهم، والعقل عنده هو مصدر التمييز بين الخير والشر، وأعظم نِعم الله

---

(١) الأعلام ج٢/ ٢٦٠ ، أبوالوفا التفتازاني : مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ص ١٢٤

(٢) تاريخ آداب اللغة ج٢/ ٢٢١ ، بروكلمان ج٤/ ٢٧١

علينا وأنفع الأشياء لنا، وبه أدركنا جميع ما ينفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا، وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة عنا، فضلا عن قوله بقدم المبادئ الخمسة (الله والنفس والهيولي والمكان والزمان).(١)

و- أبو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ/٩٢٣م)مفكر إسماعيلي، دخل في جدل شديد مع مواطنه زكريا الرازي حول النبوة، وذلك في كتابه «أعلام النبوة»، ومن المعلوم أن المذهب الإسماعيلي، له آراء في الإلهيات والمبدع الأول والنفس الكلية والرسالة والنبوة والبعث والحساب؛ متأثرة بالفلسفة وبخاصة نرية فيض الموجودات، ولا تتفق مع مقولات الدين ومقرراته.(٢)

ز- شهاب الدين السهروردي المقتول (ت٥٨٧هـ) صاحب حكمة الإشراق نظريته في المعرفة الإشراقية مؤسسة على القول بالفيض، وكذلك في قوله بفيض العالم عن الله ورأيه مشهور في النبوة أنها مكتسبة وإعلائه من شأن الفيلسوف الحكيم على النبي، واتهم بقوله أن باب النبوة لم يختم بالرسول ﷺ وله آراء تصادم مقررات الدين(٣).

موجز القول إننا لا نبرئ كراوس من هذا التوجه المريب، ولا نظن به الظن الحسن، إذ رأينا أن معظم بحوثه تركزت على الجانب السلبي في الحضارة العربية الإسلامية، ولم ير من الصورة المبهرة الرائعة إلا هذه الظلال السوداء والآراء الشاذة و الأفكار الفاسدة، فراح يذيعها في أبحاثه وينشرها على الملأ و يشنع على حضارة أنارت الطريق للبشرية أحقابا متطاولة وأخذت بيدها إلى طريق الفضيلة والمجد العظيم.

٣- إذا كان من حق كراوس أن يجري وراء الأساطير لخدمة معتقداته وأفكاره المناوئة لنا، وأن يسعى لذلك لكي يخدم قضيته المزعومة، وينشط داخل ألمانيا وفرنسا فله مطلق الحرية في ذلك؛ أما أن ينشط في مصر لخدمة قضيته، ويخون البلد الذي آواه وينضم

---

(١) دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ت، أبوريدة ، النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١، ص ١٤٧، بدوي : من تاريخ الإلحاد ص٢٣٤، و أيضا الموسوعة الفلسفية (مادة إلحاد ، كتبها حسن حنفي)
(٢) - بدوي : مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٦، ص ٩٦٣/ ١٠٤٩
(٣) محمد الزيني : مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام ، ديوان المطبوعات الجزائر ، ١٩٩٣.

إلى العصابات الإرهابية اليهودية التي قتلت الآلاف من الشعب الفلسطيني وهجرت الملايين واغتصبت أرضه، بقوة السلاح، فهذا ما لا يغتفر له، لقد لوث شرفه العلمي، ومرغ تاريخه في التراب، وباع نفسه للشيطان.

وكنا نود من د. بدوي أن يُقيّم هذا السلوك المشين، ويلوم صديقه الأثير وأستاذه المفضل على ثلاثة أمور؛ الأول: خيانته لمصر التي فتحت صدرها له وجامعتها، مؤمنة بحرية الإنسان في العيش الكريم، والمساواة بين البشر، دون النظر إلى عرقهم أو ديانتهم ومع هذا كان جزاؤها نكران الجميل، وعض اليد الكريمة التي عطفت عليه، وانتشلته من مأساة الوحدة والاغتراب والتشرد.

الثاني: خيانته لرسالة المفكر وأمانة العلم ومسؤولية العالم الذي يقدم علمه من أجل نهضة الأمم و سعادة البشرية ورقيها، ونشر السلام في ربوع العالم متجاوزا النظرة الضيقة للأوطان أو المذهب أو العنصر.

الثالث: تعاونه النشط مع الحركة الصهيونية التي سعت جاهدة لاغتصاب فلسطين، وكان عضوا فعالا في هذه الجماعة الإرهابية التي لوثت نفسها وأيديها بدماء الأبرياء الشهداء.

إننا نؤمن أن الحياة صراع بين الحق والباطل، وحرب بين الخير والشر، بين المؤمنين والكافرين، ولا غرو أن يكون قانون البقاء للأقوى من سنن الحياة فضلا عن أنه أصبح يجد مساغا في عالمنا المعاصر، والويل كل الويل للضعيف والهلاك للمتخاذل، ولاشك أن كراوس عاش في عصر اشتد فيه ساعد المشروع الصهيوني، وسعى بكل إمكاناته المالية ونفوذه السياسي وسيطرته الإعلامية وتحالفه مع الاستعمار لتحقيق أهدافه، وأصبح قاب قوسين أو أدنى آنذاك، ونحن لا نلوم القائمين عليه؛ ولكن نلوم العرب قاطبة على تفريطهم في حقوقهم وقبولهم الهوان واستخذائهم أمام هذا العدو الغاصب، والمحتل الفاجر.

نحن لا نلوم العقرب لأنه لدغ إنسان ما، ولكن نلوم هذا الإنسان لأنه لم يأخذ حذره ولم يلتفت إلى مكان الغدر بما فيه الكفاية، وبدلا من أن نوجه النقد إلى أصحاب المشروع

الخيالي الأسطوري، الذين حولوا الأحلام إلى حقيقة، علينا أن نتحلى بالشجاعة ونهاجم أصحاب القضية الذين فرطوا فيها، وتهاونوا في الدفاع عن أوطانهم وتخاذلوا أمام عدوهم، نعم كثيرا ما يكون الباطل أهلا للهزيمة، ولكن لا يجد من أصحاب الحق من هو أهل للانتصار عليه [١].

٤- لا مناص من الاعتراف بقيمة الرجل العلمية، وبحثه النشط عن المخطوطات و الصبر في تحقيقها ونشرها نشرة ممتازة، وعكوفه على القراءة و الاطلاع، وقد شهد له أعلام المستشرقين بالعمق والشمول والتفرد، من أمثال روسكا وماسينيون وهنرش بيكر (١٩٣٣).

٥- لاشك أن إشادة د.بدوي بكتب كراوس لاسيما ما كتبه عن جابر بن حيان، فيه مبالغة كبيرة؛ إذ تغلب علي أحكامه حماسة الشباب و قوة العاطفة وتأثير الصداقة التي كانت قائمة بينهما، والتعاون العلمي الذي جمعهما، لذلك طغى الهوى على الإنصاف والجانب الذاتي على الجانب الموضوعي.

وإذا فرضنا أن ما كتبه كرواس حول جابر بن حيان من «أعظم» البحوث آنذاك، فإن ما كتبه علماء العرب عن جابر بن حيان منذ ذلك التاريخ فاق بحوثه، وتجاوزها بمراحل لاسيما ما كتبه د.زكي نجيب محمود وقدري طوقان وعبد الله الدفاع ومصطفي نظيف وعمر فروخ وغيرهم، ومع هذا فنحن لا نغمط الرجل حقه ولا نقلل من قيمة ما قدمه من خدمات لتاريخ التراث العلمي العربي الإسلامي.

٦- ذكر د.بدوي أن كراوس كان يتقاضى من الجامعة المصرية (٣٨جنيه)وكان «يشكو مُر الشكوى من ضآلة المرتب وازدياد تكاليف المعيشة، وكان يستدين من بعض أصدقائه حتى ترك ديونا جاوزت الألف جنيه» [٢]

الحقيقة أن هذا الكلام ليس صحيحا وهو أمشاج من الكذب والخداع والخيال، وأن كراوس كان يكذب على تلميذه، الذي كان مبهورا بأستاذه لذلك صدق كل ما سمعه، ولم يستعمل أبسط أسس المنهج العلمي الذي تعلمناه منه وهو استعمال «الوعي النقدي»،

---

(١) العقاد : خلاصة اليومية ، من الأعمال الكاملة ، م٢٢بيروت، ص ٤٨٠

(٢) - موسوعة المستشرقين ، ص ٤٦٧

ونستطيع أن نفند هذه الرواية بالآتي:

أ- هذا الراتب الذي كان يحصل عليه كراوس في أربعينات القرن الماضي كان ثروة كبيرة، ومستوي الرواتب للعاملين آنذاك لم يتجاوز عشرة جنيهات، وعلينا أن نرجع لوصف العقاد (ت١٩٦٤)في كتابه «أنا، وحياة قلم» للراتب الذي كان يتقاضاه، فالمصروفات كانت «بالملاليم» وقيمة الجنيه كانت «ألف مليم» علاوة على أن الأسعار كانت رخيصة للغاية، وقيمة السلعة الواحدة تُقَيّم بالمليم، ويكفي أن نعلم أن الشيخ مصطفي عبد الرازق كان يتقاضى عشرين جنيها وهو أستاذ في جامعة القاهرة.

ب- واضح أن كراوس يتصف بالبخل والتقتير مثل باقي طائفته، إذ أجر شقته لاثنين من الإنجليز يسكنان معه ليستفيد من أجرتها، على الرغم من الراتب الضخم الذي كان يحصل عليه.

يقول ادوارد لين واصفا أحوال اليهود في مصر: «يتميز يهود مصر ببخلهم عن سائر يهود البلدان الأخرى....وهم متيقظون حذرون قدر المستطاع بأن لا يجعلوا الشبهات تحوم حول غناهم وثرواتهم»[1].

جـ- إذا كانت ديون كراوس تجاوزت ألف جنيه، فلماذا حضرت زوجته من القدس على وجه السرعة لتأخذ حقها من الميراث، كما ذكر د.بدوي؟ أي أن الرجل ترك ثروة واسعة، وأسرعت زوجته بالحضور لتحصل على نصيبها.

د- أعتقد أن كراوس كان يساهم بالمال للجمعيات الصهيونية التي كانت تعمل في مصر وتنشط في مساعدة المشروع الصهيوني، إذ قام كبار رجال المال بالقاهرة بمساعدة يهود ألمانيا الذين هبطوا إلى مصر وترحيلهم إلى فلسطين بعد شراء قطعة أرض لهم أطلقوا عليها «كفر يديديا» ويؤسسوا بعض المستوطنات لهم في فلسطين من الأموال التي جمعوها.[2]

---

(١) - ادوارد لين : عادات المصريين وتقاليدهم ، ترجمة سهير دسوم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩، ص ٥٧٢

(٢) هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٦، ج١/ ١٥٧، جاك حاسون : : تاريخ يهود النيل١٨٩ ، ت يوسف درويش ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ص ١٨٩

٦- جاكوب بارت Jacob bartn

(١٨٥١-١٩١٤)

أولا: نبذة عن حياته:

١- ولد في فلنجر بألمانيا عام (١٨٥١)، التحق بجامعة ليبتسك، اهتم باللغات السامية وشغف بدراستها و تلقي قواعدها علي يد العالم الألماني المتمكن فليشر(١٨٠١-١٨٨٨)، مثل نظيره اشتينشنيدر، وتيودور نيولدكه في جامعة اشتراسبورج وبرلين، وبعد أن هضمها وتمكن من ناصية اللغات العبرية والعربية وأتقنها، ليس هذا فحسب بل كان ذو إحاطة ودراية واسعة بالعربية، مما أهله للانكباب على تحقيق أدبها وتاريخها، وفي الوقت نفسه درس عام (١٨٧٤) في الحلقة الدراسية التلمودية لليهودية المتشددة في برلين،، قام بالتدريس في المعهد الرباني(الكلية الدينية العبرية)، وأسند له تعليم اللغة العبرية، والفلسفة اليهودية، علاوة علي قيامه بتفسيره الكتاب المقدس.

ومن الجدير بالذكر أن جاكوب أرثوذكسي المذهب إذ يعد من جيل المحافظين، ولا يذهب مذهب العلماء الذين ينقدون نصوص الكتاب المقدس ويؤولون نصوصه ولا يأخذون بظواهرها مثل اسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) مثلا.

في عام (١٨٧٦) ظفر بوظيفة مدرس للغات السامية في جامعة برلين، وهذا أمر لم يكن متاحا بسهولة للجالية اليهودية، بسبب القوانين التي كانت تكبل حركتهم وتضيق علي نشاطهم ولا تدعهم فرصة الصعود في السلم الوظيفي، ومن جراء ذلك لم يُرقَّ إلى أستاذ كرسي لأنه يهودي.

أنجب جاكوب ولدين عُدا من غلاة الحركة الصهيونية هما؛ إليعازر(١٨٨١-١٩٤٩) وأهارون (١٨٩٠-١٩٥٧) وكلاهما عاصرا تحقيق حلمهما، بإنشاء الكيان

الصهيوني علي جماجم الشعب الفلسطيني وأشلائه، وتوفي عام (١٩١٤)

ثانيا: جهوده العلمية:

١- تركزت معظم دراسات جاكوب ومؤلفاته حول الأدب العربي وشعر شعرائه، وإن كانت جهوده في خدمة التراث العربي ضئيلة، ومؤلفاته شحيحة، وأعماله تعد قليلة مثل أويرمن، ونستطيع أن ننوه في مجال خدماته للتراث العربي الإسلامي في الآتي:

أ- كتاب الفصيح، لثعلب (ليبزج ١٨٧٦).

ب - تحقيق ودراسة ديوان القطامي (ليدن ١٩٠٢).

جـ- من بحوثه الأدبية التي نشرها في المجلة الشرقية الألمانية:

- شرح ديوان حاتم الطائي.

- شرح ديوان ابن قيس الرقيات.

٢- اشترك مع زملائه من المستشرقين في تحقيق تاريخ الطبري، والذي أشرف علي تحقيقه وطبعه و قام بالجهد الأكبر فيه العالم الهولندي «دي جويه» ونشر في ليدن.

ويري د.بدوي أن تصويبات جاكوب في النصوص العربية وتحقيقه لها لم تكن صائبة وشابها التعسف الشديد لاسيما فيما يتصل بالشعراء، وذلك يرجع لتجافيه عن البعد الموضوعي في الدراسة والتركيز على الجانب اللغوي في النص، في حين أنه كان متحفظا بصدد تصويبات الكتاب المقدس وتجنب أي تصحيح فيه أو نقده.[١]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- من الواضح أن جهود جاكوب تركزت في خدمة التراث اليهودي، وتفسير الكتاب المقدس، والدراسات اللغوية العبرية، وبذل جهودا طيبة في خدمة دينه ولغته وتاريخ قومه.

---

(١) موسوعة المستشرقين، ص ٦١ ، العقيقي : المستشرقون ج٢/ ٣٩٣، يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ص٢٥٣/ ٢٥٤

أما في مجال التراث العربي الإسلامي فإن خدماته تعد قليلة، وما قام به يعد شيئا ضئيلا إذا قيس بمستشرق نشط مثل جولد تسيهر، وماكس مايرهوف، وحصر جهوده في دراسة الأدب العربي، فنشر كتاب الفصيح. ونود أن ننوه بالمؤلف وكتابه في نبذة مختصره.

٢- يعد أبي العباس أحمد بن يحي الشيباني، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث، ولد عام (٢٠٠هـ) في خلافة المأمون، درس علي شيوخ العربية النحو والشعر والمعاني والغريب، وحضر مجالسهم مثل ابن الأعرابي، وكان له مناظرات مع علماء عصره، ودخل في محاورات لغوية مع المبرد(ت٢٨٥) زعيم علماء البصرة والذي عده أعلم الكوفيين.

عاش أبو العباس دهرا طويلا وقضي حياة حافلة بخدمة النحو واللغة والأدب وعلوم العربية، ومن الطريف أنه جمع ثروة كبيرة، وكان أقرب في حياته إلي التقتير والإمساك مثل بعض العلماء الذين ذكرهم الجاحظ في «البخلاء»، وتوفي عام (٢٩١هـ).

٣- أما كتابه الفصيح، فيعد أشهر كتبه إذ انتقى فيه الفصيح من كلام العرب وبلاغاتهم وطرائفهم اللغوية مع معالجة هذه القضايا والتأصيل اللغوي لها، وقد تناول علماء اللغة هذا الكتاب بالشرح والنقد والنظم لسهولة تناوله وحفظ نصوصه.ومن أبرز العلماء الذين شرحوه عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت٣٤٧هـ)، وأبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)وأبو القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي (ت٣٣٩هـ)و أبو عبد الله محمد بن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) وغيرهم كثير.

نقد الكتاب أبو القاسم علي بن حمزة البصري (ت٢٧٥هـ)في كتاب كامل وسمه باسم «التنبيه على ما في الفصيح من الغلط»، وكذلك إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) تلميذ المبرد.

وكتاب الفصيح نشره جاكوب بارت وطبعه في ليبسك عام (١٨٧٦)وقدم له بمقدمة طويلة نقدية وملاحظات عدة على نصوصه.[1]

---

(١) ثعلب : مجالس ثعلب ، من المقدمة التي كتبها عبد السلام هارون للكتاب ص ٩- ٢١

٤- نبذة عن حياة القطامي:

اسمه عمير بن شُيَيْم التغلبي، اشتهر بصريع الغواني من بني بكر بن حبيب وهم بطن من تغلب، وكلمة القطامي من ألقاب الأشراف، و كان نصرانيا فأسلم، وأراد أن يمدح الوليد بن عبد الملك فعلم إنه بخيل لا يجود بشيء، وقيل قدم دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ) وعزم على التقرب إليه ومدحه فقيل له إنه رجل تقي ورع لا يهب أموال الدولة للشعراء، وهو شاعر غزل فحل، ومن شعره الذي اتسم بالحكمة وبعد النظر قوله:

قد يدرك المتأني بعض حاجته..... وقد يكون مع المستعجل الزلل.

هناك اختلاف في تاريخ وفاته وقيل توفى سنة(١٠١هـ/ ٦١٩م) وطبع ديوانه في القاهرة وبرلين وبغداد فضلا عن نشرة بارت في ليدن.[(١)]

٤- حاتم الطائي (ت ٦٠٥ م):

حاتم بن عبد الله بن سعد الحشرج، من طيىء، من رجالات المائة السادسة الميلادي، لم يكن حاتم كريما جوادا فحسب، وإنما كان شاعرا فارسا مقداما وموفقا في فروسيته.، لم يعرف تاريخ ولادته، ويقال أنه توفي عام (٦٠٥م) يكنى أبا سفانة نسبة لابنته الكبرى، وبابنه عُدي، وقد أدركا الإسلام فأسلما، وقد سبي مع أسرى طيىء، وقالت سفانة قولا بليغا للرسول ﷺ، فقال لها: لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق.[(٢)] وللديوان طبعة أخري قام بها رزق الله حسون في لندن عام (١٨٧٢)

٥- نبذة عن ابن قيس الرقيات (ت٧٥هـ/ ٧٠٤):

هو عبيد الله بن قيس، قرشي النسب، شاعر أقام بالمدينة والعراق والشام ومصر،

---

(١) تاريخ الأدب العربي ج١/ ٢٣٦، الأعلام ج٥٨٩

(٢) ديوان حاتم الطائي ، قدم له ، د.حنا نصر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ ص ١١ / ١٤، وأيضا تاريخ آداب اللغة ج١/ ١٢٥

ناصر الزبيريين في حروبهم مع الأمويين، ولما قتل مصعب ابن الزبير (٦٩٠م)، اتصل بالمروانيين ومدح عبد الملك بن مروان في شعر مفتعل مملوء بالنفاق مغموس بالرياء، ينتظر العطاء، ومدح أيضا عبد العزيز بن مروان بخاصة، شعره تعبير صادق عن الاضطرابات السياسية والأطماع والفتن التي أحاطت بالدولة الإسلامية الفتية، برع في الغزل، وشعره عذب رقيق.ديوانه مطبوع في فيينا ومصر وقد شرحه السكري سنة(٢٧٥هـ).[١]

***

(١)ا تاريخ آداب اللغغة ج١/ ٢٨٨ ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ، القاهرة ، مادة ابن قيس الرقيات ، ص٢٥

٧ - جوزيف دارنبور Goseph Derenbourg

(١٨١١-١٨٩٥)

أولا: نبذة عن حياته:

ولد جوزيف من أسرة تنحدر من أصول ألمانية، لم يطب لها المقام فيها مثل باقي الأسرة اليهودية، بسبب هاجس الخوف المترسب في أعماقهم وحالة القلق التي تطاردهم، وكانت انجلترا وفرنسا تقف منهم موقف العداء الصريح والرفض المباشر لوجودهم فلم تجد مفرا إلا الهجرة إلى هولندا التي اشتهرت في أوربا بالتسامح مع اليهود والترحيب بهم واستقرت فيها، حيث ولد ابنهم في أمستردام عام (١٨١١) وتلقى تعليمه في مدارسها، وعندما تم تأهيله للعمل في التدريس، لم يجد عملا بالمدارس الحكومية، وفي عام (١٨٣٥) اتجه صوب التدريس الخصوصي لاسيما لأبناء اليهود، ثم ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فاتجه إلى باريس واستطاع بعد عناء شديد وجهود مكثفة الحصول على الجنسية الفرنسية عام (١٨٤٣)، فتنفس الصعداء، واطمئن إلى حد ما على مستقبله، فلاغرو أن تتفتح أمامه الأبواب المغلقة، وتنداح في وجهه الطرق المسدودة، فعين مدرسا للغة الألمانية في «ليسيه هنري الرابع» عام (١٨٥١)وفي الوقت نفسه أسند إليه بعض الأعمال الفنية منها؛ عمل مصححا في المطبعة الوطنية، وطلب إليه فهرسة المخطوطات العبرية في المكتبة الوطنية خلال الفترة (١٨٤٧- ١٨٥١)، وهذا أمر برع فيه اليهود براعة فائقة فأقبل على عمله بهمة عظيمة وانشراح صدر وراحة ضمير، إذ إنه يؤدي عملا وطنيا يحسب له في خدمة تراثه اليهودي فضلا عن المحافظة عليه من التلف أو الضياع.

وفي عام (١٨٥٧) أنشأ مدرسة تنهض بتعليم أبناء الجالية اليهودية ويكون لها مزيد اهتمام بتدريس اللغة العبرية والتاريخ اليهودي، وقد تحمس لهذا العمل تحمسا عظيما وصار مديرا لها.ثم انتخب عضوا في أكاديمية النقوش والآداب عام (١٨٧١)، ونظرا لخبرته الطويلة في مجال التربية والتعليم ولكونه من كبار علماء اللغة العبرية واللغة العربية،

انتدب عام (١٨٧٧) لتدريس اللغة العبرية وآدابها في المدرسة العملية للدراسات العليا، الملحقة بالسربون وتوفي عام (١٨٩٥).[١]

ثانيا: جهوده العلمية:

- جهد جوزيف العلمي في خدمة التراث العربي الإسلامي يعد قليلا إذ قيس بعمره المديد حيث عاش أربعة وثمانين عاما، وهو عمر لا بأس به، فكان المفروض أن يخلف لنا إنتاجا يتناسب مع ذلك وسوف نشير إلى أهم مؤلفاته:

١- أمثال لقمان الحكيم.(١٨٥٠)

٢- بحث في تاريخ وجغرافيا فلسطين بحسب التلمودات وسائر المصادر الربانية.(١٨٦٧)

٣- حقق «رسائل أبي الوليد مروان بن جناح القرطبي اليهودي» بالاشتراك مع ابنه (عام ١٨٨٠).

٤- ترجمة «كليلة ودمنة» (١٨٨١)

٥- النقوش الفينيقية في معبد سيتي في أبيدوس (١٨٨٥) بالاشتراك مع ابنه.

٦- «شرح موسي بن ميمون على سدرتهورت» النص العربي مع ترجمته إلى العبرية (١٨٨٧-١٨٨٩) (سدرتهورت هو الترتيب السادس في «المشنا»).

٧- «محصل النقوش السامية» الجزء الرابع، ويختص بالنقوش الحميرية والسبائية (١٨٨٩-١٨٩٢)[٢]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- ترجع أهمية هذا المستشرق أنه من الجيل الأول لحركة الاستشراق، وكان التفاته

---

(١) موسوعة المستشرقين، ص ٢٤١ وأيضا العقيقي: المستشرقون ج١/ ١٨٥

(٢) موسوعة المستشرقين، ص ٢٤١ وأيضا العقيقي: المستشرقون ج١/ ١٨٥، يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق ص ٢٦٠/ ٢٦١

للدراسات العربية الإسلامية قليلا.

الناظر في دراسات جوزيف يجد أنه لم يمنح الدراسات العربية الإسلامية من وقته إلا القليل، و لم ينفك عن كونه يهوديا، إذ وجه جل جهده إلى تراثه العبري والتنقيب عن علماء ديانته، وتحقيق تراثهم وشرح كتبهم وترجمتها من العبرية إلى العربية، فضلا عن الاعتزاز به ومحاولة نقله إلى الثقافة العالمية، وهذا أمر يدعو للاحترام والتقدير.

٢- يلاحظ من دراسة مؤلفاته أنه غارق في الأساطير القديمة و حالم مع الحالمين للعودة إلى أرض فلسطين، وهذا يتجلى في الدراسة التي أعدها عن تاريخ فلسطين وجغرافيتها من خلال القراءة في التلمود والمصادر اليهودية الدينية، وهذا يعني أن نظرته يغلب عليها النظرة الأحادية، وسيطرة الأهواء الذاتية، وانعدام النظرة الموضوعية المحايدة.

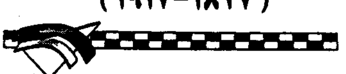
إذ عليه أن يقرأ التاريخ العام لهذه المنطقة، ويسمع كافة آراء المؤرخين، ثم يناقش الآراء المتعددة والمتباينة ثم يحكّم ضميره العلمي، وقواعد الأخلاق، ومنطق التاريخ.

٣- لا يفوتنا أيضا أن ننوه إلى دلالة بحوثه عن اليمن، فهو يريد أن يؤكد أن قومه لهم جذور في جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد أقاموا فيها ردحا من الزمن وتركوا آثارا تدل على عظمتهم ودورهم في صنع تاريخ تلك المنطقة، وهو في هذا الاتجاه يشبه ابن طائفته ادوارد جلازر الرحالة الذي تخصص في دراسة نقوش اليمن.

***

٨- جوزيف هاليفي. Josef halevy

(١٨٢٧-١٩١٧)



أولا: نبذة عن حياته:

١- ولد هذا المستشرق في أدونة، بتركيا (سنة ١٨٢٧) أي أنه ولد على أرض الإسلام، حينما كانت الدولة العثمانية تمثل قوة مهابة في المنطقة ونفوذا واسعا في العالم، وسطوة على المحيطين بها، وتسيطر على الوطن العربي، وعاش حتى شهدها وهي في طور الضعف والتدهور والاضمحلال أو طور «الرجل المريض».

تعلم في المدارس اليهودية التي كانت تسمح بها الدولة العثمانية، دون تفرقة بين أصحاب الديانات، ومن باب التسامح والحرية وسعة أفق الدين الإسلامي، تعلم اللغة العبرية والعربية، وتخرج فيها ليعمل مدرسا للغته في الإقليم ذاته، ثم انتقل إلى بوخارست، حيث كانت توجد جالية يهودية كبيرة تعيش في رومانيا، وهناك عاود الاشتغال بالتدريس.

٢- قامت في أوربا جمعيات متعددة تدعو لإنشاء دولة لليهود دون تحديد مكان الوطن ومنها ما يعمل على الدعوة لتوطينهم في فلسطين، ويمثل هذا الفريق جماعة روتشيلد وموسي مونتفيوري وكانت تهدف إلى شراء الأراضي في فلسطين وإنشاء المستوطنات مواكبة للحركة الصهيونية بزعامة تيودور هيرتزل، وتعمل على إحياء اللغة العبرية، وتسجيل التاريخ اليهودي وتوثيقه.

في سنة (١٨٦٨) قامت جمعية الأليانس الإسرائيلية العالمية، بإرسال جوزيف إلى الحبشة لدراسة «جماعات الفلاشا flasha» [(١)]؛ وهم جماعات يهودية تعيش في الحبشة،

---

(١) يهود الفلاشا ؛ جماعات يهودية مازالت تعيش في الحبشة ، و قامت إسرائيل (١٩٧٩)(١٩٨٥)بموافقة أنور السادات وجعفر النميري وحسني مبارك ، بترحيلهم من الحبشة خفية وفي سرية تامة ونقلهم إلى إسرائيل في موجات متتالية وفي سنوات متباعدة .راجع : = =

والتعرف على أحوالهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومكث هناك فترة لجمع الأخبار والمعلومات، وعاد بتقرير مفصل؛ يؤكد أن هذه الجماعة يهودية ومتمسكة بديانتها على الرغم من تعرضها لمشكلات عديدة، علاوة على أنهم يعيشون في ظروف قاسية وأحوال معيشية سيئة للغاية، وأوصي الجاليات اليهودية بجمع التبرعات السخية لهم وإرسالها لهم ومساعدتهم بشتى الوسائل.

أدي نجاح هاليفي في مهمته الأولى ونتائجها الإيجابية؛ إلى قيام أكاديمية النقوش والآداب في فرنسا، بتكليفه بمهمة علمية؛ وإرساله في رحلة أثرية لاستكشاف جنوب الجزيرة العربية، والبحث عن النقوش السبأية.

ولما كان اليهود مشهورين بالخداع وتلفيق الأكاذيب ونسج الحكايات الأسطورية[1]، لذلك نجد هاليفي يمثل هذا الدور أحسن تمثيل، إذ ذهب إلي اليمن تحت ستار أنه أحد رجال الدين اليهودي مرتديا زيهم، وقد حضر لجمع التبرعات لفقراء اليهود (وفي رواية أخرى في ثياب متسول يهودي فقير)، ولم يعوزه أن يجد من يساعده في مهمته الخبيثة، إذ تبرع حاييم حبشوش (حاييم بن يحيى بن سالم الفيحي ت ١٨٩٩) أحد اليهود اليمنيين أن يرافقه ويرشده إلى طُرُق اليمن الوعرة، ودروبها الضيقة وجبالها الشاهقة ومواضع آثارها المخبوءة في باطن الأرض، ويقوده إلى أماكن في اليمن لم يعرفها المستشرقون، ولم يبال بخيانة الوطن الذي يعيش فيه هو وأجداده آلاف السنين، وقد كتب حبشوش وصفا لجهوده في البحث عن الآثار مع هاليفي في كتاب بعنوان «رحلات حبشوش»، بإيعاز من إدوارد جلازر الذي كانت له بحوث واسعة في هذا الميدان، وقام المستشرق جويتين بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية.

وفي هذه الرحلة البحثية تمكن هاليفي جمع مئات (٦٨٦) من النقوش باللغات العربية القديمة مثل لغة سبأ ولغة معين، وحمل معه عددا كبيرا من صور وكتابات سبأية

فيكتور اوستروفسكي : عن طريق الخداع ، ترجمة هشام عبد الله المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٩٠(ص٢٤٣-٢٥٥)

(١) راجع كتاب : عن طريق الخداع .

وحميرية منقوشة بالخط المسند وعلق عليها؛ لذلك عد من أوائل من شرح كتابات صنعاء القديمة.[١].

ونظرا لخبرته الطويلة في ميدان التنقيب عن النقوش ورحلاته إلى الحبشة واليمن؛ عهد إليه (سنة ١٨٧٩) بتدريس اللغة الحبشية في «المدرسة العملية للدراسات العليا» الملحقة بمبني السربون في باريس.وفي الوقت نفسه عين أمينا لمكتبة الجمعية الآسيوية.

وفي (سنة ١٨٩٣) أسس المجلة السامية للنقوش وللتاريخ القديم، وكتب فيها مجموعة من المقالات الواسعة تدور حول اكتشافاته في اليمن والنقوش السامية، وبعض الدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس.

وتؤكد المراجع التاريخية أن هاليفي كان «صهيونيا» شديد التعصب للقومية اليهودية، ومن دعاة المشروع الصهيوني، كتب جملة من المقالات؛ بالنثر والشعر تؤيد هذا الاتجاه، وعناوينها تنضح بالتحريض ضد العرب وكراهيتهم، والدعوة للهجرة إلى فلسطين.

وخدمة للغة العبرية ورفعة لشأنها وعملا على تعميمها واستعمالها.في الحياة اليومية بين اليهود، ترجم إلى العبرية قصائد لشعراء مشهورين مثل؛ فريدرش شلر (١٧٥٩- ١٨٠٥) بايرون (١٧٨٨-١٨٢٤) فكتور هيجو (١٨٠٢- ١٨٨٥) وغيرهم، واستمرارا لتأكيد الهوية اليهودية وتثبيت جذورها من خلال اللغة العبرية؛ دعا في مقالاته إلى إنشاء «أكاديمية اللغة العبرية» وهذا ما حققته إسرائيل بعد ذلك.[٢]

عاش هذا الرجل حتى شاهد صدور «وعد بلفور» (سنة ١٩١٧) وزير خارجية إنجلترا[٣]؛ تتعهد فيه حكومته بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ومات عام (١٩١٧) وذهب إلى خالقه لكي يحاسبه حسابا عسيرا على ما اقترفه في حق الشعب الفلسطيني من قتل وتشريد ودمار.

---

(١) - العقيقي ج١/ ١٩٩

(٢) موسوعة المستشرقين ص ٦٠١-٦٠٢ ، العقيقي ج١/ ١٩٩

(٣) تؤكد المصادر التاريخية أن بلفور كان من أشد أعداء اليهود ويبطن لهم كراهية عنيفة ، فأراد أن يطهر انجلترا وأوربا من شرورهم ومكائدهم ، لذلك عمل على توطينهم في فلسطين تخلصاً منهم وليس تعاطفا معهم أو حبا فيهم .(الموسوعة اليهودية)

ثانيا: جهوده العلمية:

تعد جهود هاليفي العلمية، جهودا ضعيفة، لا تكاد تذكر في سجل المستشرقين، وليس فيها عمل علمي يستحق الإشادة أو إضافة جديدة إلى المكتبة الإسلامية، كما نرى عند كثير من المستشرقين، أو عمل يخدم التراث الإسلامي، أو يساهم في بناء أركان الحضارة الإسلامية، ونستطيع أن نقسمها إلى ثلاثة ميادين؛

أ- ميدان الرحلات الاستكشافية للبحث عن الآثار، والقصد من ذلك الحصول على ثروة كبيرة من بيع النقوش والآثار التي حصل عليها، هذه نقطة؛ والنقطة الأخرى هدفها خدمة المشروع الصهيوني عن طريق ما يقدمه من اكتشافات أثرية ومعلومات تاريخية تتعلق بتواجد اليهود في اليمن والحبشة.

ومن الغريب أنه بعد مرور أكثر من مائة عام، توظف إسرائيل هذه المعلومات والخبرات التاريخية، و تقوم بترحيل «يهود الفلاشا» من الحبشة إلى إسرائيل عبر المجال الجوي السوداني بالتواطؤ مع بعض الحكام، كما هو وارد في كتاب «عن طريق الخداع».

ب- ميدان التأليف:

وهو مجموعة الكتب التي ألفها من خلال رحلاته الاستكشافية والاستفادة من حفرياته الأثرية مثل؛

١- تقرير عن بعثة أثرية في اليمن.(سنة١٨٧٢)

٢- رحلة في نجران. (سنة ١٨٧٣)

٣- أبحاث توراتية. (سنة١٨٩٥-١٩١٤) في خمسة مجلدات؛ وفيها فسر خمسة وعشرين أصحاحا الأولى من سفر التكوين على أساس الاكتشافات البابلية الأشورية.

٤- دراسات عن الفلاشا. (سنة ١٨٧٦، ١٩٠٢، ١٩٠٧)،

جـ- ميدان البحوث المتعلقة بالتاريخ اليهودي والإسلامي.

٥- جملة بحوث متنوعة نشرت في المجلة الآسيوية مثل؛ الأسماء الآشورية الفلسطينية (١٨٩١)الحنفاء، الخورنق وسنمار (١٩٠٧)السامريون في القرآن (١٩٠٨)النبي صالح (١٩٠٩)[١]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- تعد رحلات هاليفي استكمالا لرحلات المستشرق ادوارد جلازر التي قام بها إلي اليمن، وأفضت إلى كشوف عظيمة، وكما ذكرنا؛ كلها تصب في خدمة المشروع الصهيوني وتعمل على مناصرته والمساعدة في تحقيقه سواء بالتبرع بالمال أو الكتابة عن تاريخ اليهود ولغتهم والعمل على إحيائها، ورفع الروح المعنوية لليهود الذين يعيشون في الأقطار المختلفة ودعوتهم إلى المشاركة في تحقيق الحلم الصهيوني.

٢- نحن أمام مغامر من المغامرين، أو بعبارة أصح أفاق من الأفاقين، سافر إلي اليمن متخفيا في شخص متسول، أو في شكل رجل دين، معتقدا أن الغاية تبرر الوسيلة، ولو كان عمل هذا الرجل شريفا لسافر في العلن معلنا عن شخصيته الحقيقية، فلماذا هذا الخوف والتخفي إذا كان مقصده نبيلا، وكان ذهابه فعلا للبحث عن الآثار من أجل خدمة العلم والعلماء؟ [٢]

هذا مستشرق سخر علمه من أجل أهداف سياسية، ومشروع عدواني عنصري أفضى إلى تشريد الملايين وسحقهم وقتلهم، ضاربا عرض الحائط بالأمانة العلمية، وأخلاق البحث العلمي، وكنا نأمل أن يقتل، كما قتل إدوارد بالمر (١٨٤٠ - ١٨٨٢) [٣] الذي قدم

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٦٠١-٦٠٢، العقيقي ج١/ ٢٠٠

(٢)- وفي رواية أخرى أنه «سافر إلى اليمن على أنه يهودي فلسطيني محقق وباحث عن الحقيقة ، حتى لا يكون محل شك ، ويصبح موضع احترام المسلمين لأنه من أهل الذمة .(ساسي سالم : نقد الخطاب الاستشراقي ص٣٥، نقلا عن محمد حسن زماني : الاستشراق والدراسات الإسلامية لدي الغربيين ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠ ص١٠١) ونحن نميل إلى رواية د.بدوي ، بسبب شهرة اليهود في الخداع فهذا ديدنهم ومسلكهم عبر التاريخ .

(٣) ترجمته وقصة خيانته ، في موسوعة المستشرقين ص ٦٧

معلوماته للاستعمار الإنجليزي وعاونهم في احتلال مصر، ثم قتله بدو سيناء جزاء خيانته للبلد التي آوته، وكنا نرجو لهاليفي أن يلاقي جزاء خيانته وتآمره على الشعب الفلسطيني المظلوم المقهور.

٣- إذا كان هاليفي ذهب إلى اليمن، واستطاع أن يخدعنا واستطاع أن يقوم بمهمته التي تخدم بني قومه والجماعات اليهودية التي تقف وراءه خير قيام، فالخداع صفة من صفات بني قومه، وهم يجيدون النفاق والتمثيل والتمويه، ويتشكلون بكل لون حسب ما يقتضي الموقف، وقادرون على أن يظهروا بمظهر يخالف باطنهم.

يصف ادوارد لين يهود مصر فيقول: «يتأنق من كان غنيا منهم في ملبسه في المنزل، لكنهم يبادرون إلى ارتداء ثوب بسيط أو حتى رث قبل خروجهم، وتحتوي منازلهم على غرف مؤثثة تأثيثا جيدا، على الرغم من منظرها الحقير القذر.»[1] هذا من جهة؛

ومن جهة أخرى؛ علينا أن نلوم أنفسنا على غفلتنا وسذاجتنا، حينما نترك بلادنا نهبا للأفاقين والمرتزقة، ومسرحا للمغامرين واللصوص، أرضا مباحة لمن يريد أن ينهب كنوزنا وتاريخنا ونحن بلهاء نسمع ولا نفهم، ننظر ولا نرى، نشاهد ولا نحلل «ينطبق علينا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

٤- يشترك هاليفي مع زملائه من المستشرقين اليهود، في قضية التنقل والترحال، وعد م الاستقرار في دولة واحدة، وافتقاد الشعور بالأمان في الدولة التي يعيشون فيها؛ فقد ولد في تركيا وعاش فيها، ولم يقر له فيها قرار، فانتقل إلى رومانيا وتعلم فيها، وعلى الرغم من وجود جالية كبيرة من اليهود تتمتع بحقوق واسعة، إلا أنه لم يشعر في وسطهم لا بالأمان ولا بالمشاركة الاجتماعية ولا الإحساس بالاستقرار، ولا بالتعاطف الوجداني، ومن ثم توجه إلى فرنسا التي لم

---

(١) ادوارد لين : عادات المصريين وتقاليدهم ، ص ٥٧٢

تكن ترحب كثيرا باليهود، ومع هذا وجد فيها مستقرا ومكانا يأوي إليه ويستقر فيه، ثم بدأ رحلاته إلى الحبشة واليمن.

٥- يهود الفلاشا؛ هم جماعة من اليهود تعيش في الحبشة في عزلة تمركزت في أعلى جبالها، وهذه الطائفة تهدم النظرية العنصرية اليهودية التي تقول بنقاء الدم اليهودي، فهم من الناحية الأنثربولوجية أفارقة لهم نفس السحنة والجمجمة والوجه الأسود والشعر المجعد الخشن والشفاه الغليظة، لا يعرفون اللغة العبرية ويؤمنون بالكتاب المقدس ويحافظون على التعليمات الدينية المتعلقة بالختان والزواج، ويرى بعض المؤرخين: أنهم ربما من سلالة يهود اليمن الذي تهودوا أيام الملك يوسف بن ذي نواس، أو أحباش تهودوا بواسطة أحبار اليمن.[١]

أكد العلامة العقاد «أن اليهود وصلوا إلى اليمن مهاجرين متفرقين؛ وربما بدأت الهجرة من أيام السبي البابلي لقرب بابل من طريق البحرين إلى اليمن، فإن تكن موغلة هذا الإيغال في القدم فقد يكون مبدؤها عند تشتيت اليهود في أوائل القرن الثاني للميلاد، ثم استمرت نحو ثلثمائة سنة إلى أواخر الدولة الحميرية»[٢].

٦- نبذة عن الحُنَفاء:

طائفة من الحكماء عاشت في قريش قبل الإسلام، تمردت على عادات قومهم وشكوا في دينهم الوثني وتجنبوا عبادة الأصنام والطواف حولها أو ذبح الذبائح من أجل رضاها، و بحثوا عن دين جديد يهدئ من شكوكهم ويشفي ضميرهم ويريح عقولهم من الحيرة الشديدة التي ألمت بهم، ومالوا إلى الاقتناع بفكرة التوحيد والإيمان بوحدانية الله منهم؛ ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل ويضيف المؤرخين إليهم قس بن ساعدة الإيادي، وكثيرون غيرهم في قريش وغيرها من القبائل، تفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم، ويتوسلون الوصول إلى المعرفة

---

(١) أحمد سوسة : أبحاث في اليهودية والصهيونية ، دار الأمل ، الأردن ٢٠١٠، ص ١٩٦ ، الخطيب : مقارنة الأديان ، دار المسيرة عمان ، الأردن ، ٢٠٠٨، ص ١٣٢،

(٢) العقاد : مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية ، نهضة مصر ، القاهرة ،ص٤٥

اليقينية، وسر القوة الخفية المرئية التي تدير هذا الكون وتنظم حركته.(١)

٧- الخورواق وسنمار:

- هذه قصة من قصص العرب الشهيرة، تروى في أغلب أدبيات العرب وملخصها؛ أن المهندس سنمار وهو رجل رومي بنى قصر الخَوَرْنَق للنعمان بن امرئ القيس اللخمي ملك الحيرة من قبل الفرس في الجاهلية، فلما انتهى من البناء، وقع بينهما خلاف، فقام النعمان بإلقاء سنمار من أعلى القصر فأرداه قتيلا.

ويذكر بعض المؤرخين: أنه قتله لئلا يبني مثله لأحد غيره حتى يتفرد بهذا الطراز، وهذا كلام غير منطقي.

وهناك رواية أخرى؛ تقول: إن سنمار بنى القصر للشاعر الجاهلي أحيحة بن الجلاح وكان من دهاة العرب وشجعانهم، وسيد يثرب، كان له حصن فيها سماه «المستظل» وحصن في ظاهرها سماه «الضحيان» فلما انتهي من بناء القصر قال له سنمار: إني لأعرف فيه حجرًا لو نُزِع لتقوض من عند آخره.فسأله عن الحجر، فأراه موضعه، فدفعه أحيحة من فوق القصر فخر ميتا.

وهذا سبب غير مقبول في العقل ولا يستسيغه المنطق، ومن حكايات العرب التي يتسلى بها الناس في أوقات الفراغ للترويح عن أنفسهم، وإشباع خيالهم الخصب، وتسابقا في إيراد الغرائب والغرائب.

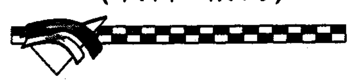
الشاهد ضرب العرب به المثل لمن ينكر المعروف ويجزي بالإحسان الإساءة.

***

(١) ضيف : العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٩٦/ ٩٧

٨- جوزيف هورفيتز.joseph horovitz

(١٨٧٤- ١٩٣١)



أولا: نبذة عن حياته:

ولد هورفتز horovitz في لاونبرج بألمانيا سنة (١٨٧٤)، تعلم في مدارسها والتحق بجامعة برلين، بعد أن درس اللغات السامية ومنها اللغة العربية، واستفاد من دروس ادوارد سخاو(١٨٤٥- ١٩٣٠) [1]، صاحب البحوث الواسعة في الحضارة العربية الإسلامية، تخرج في جامعة برلين، تقدم للحصول علي الدكتوراه الأولي سنة (١٨٩٨) في تاريخ صدر الإسلام، إذ كان موضوعه «دراسة عن كتاب المغازي للواقدي» وقام بتحقيق جزأين من أجزاء «طبقات ابن سعد».بإشراف سخاو.

ثم عين مدرسا فيها سنة (١٩٠٢)، انتقل إلى الهند ووجد فرصة لتدريس اللغة العربية في كلية عليكرة الإسلامية العريقة، وتخرج على يديه كثير من العلماء، واستمر في عمله سبع سنوات (١٩٠٧-١٩١٤)، كما اشتغل أيضا أمينا للنقوش الإسلامية في الهند.

في سنة (١٩١٤) رجع إلى ألمانيا ثانية، واستطاع أن يظفر بوظيفة مدرس لتدريس اللغات السامية في جامعة فرانكفورت التي استقر فيها طوال حياته، وفي أثناء عمله، ساهم في إنشاء الجامعة العبرية في القدس (١٩٢٥)، وأصبح عضوا في مجلس إدارتها، ونشط أيضا لإنشاء قسم الدراسات الشرقية، وصار مديرا له، و طلب من رئاسة القسم جمع الشعر العربي الجاهلي والإسلامي، وإجراء الدراسات العلمية حوله.

وكلفه ليوني كايتاني صاحب حوليات الإسلام؛ بالبحث في مكتبات القاهرة ودمشق واستانبول عن المخطوطات العربية المتعلقة بتاريخ الإسلام.

عاش هورفتز كل حياته في ألمانيا يعمل في جامعتها، وعلى الرغم من جهوده

---

(١) ترجمته في العقيقي ج٢/ ٣٨٨

المستمية، ونشاطه الملحوظ في خدمة الكيان الصهيوني، واستخدام حصيلته المعرفية والسياسية، وما حصله من علم عن الحضارة العربية الإسلامية، وقدمه عطاءً في سبيل ترقيته ثقافيا و النهوض به حضاريا، إلا أنه لم يوافق على ترك وطنه، ولم يرض يه بديلا، ولم يهاجر إلى فلسطين أبدا وعاش ومات ويبعث من تراب ألمانيا الذي دفن فيه (١٩٣١). [١]

ثانيا : جهوده العلمية :

المتابع لإنتاج هورفتز يلحظ أنه ترك إنتاجا علميا لا بأس به، و قدم بحوثا علمية دقيقة، وتحقيقات لمخطوطات التراث العربي واسعة؛ وكافة إنتاجه يدور حول الحضارة العربية الإسلامية بعامة و التاريخ الإسلامي بخاصة، ونستطيع أن نقسم هذا الإنتاج إلى قسمين؛ قسم المخطوطات، وقسم البحوث العلمية.باستثناء رسالته للدكتوراه.ويمكن أن نشير في عجالة إلى أهم مفردات إنتاجه العلمي:

١- كتاب المغازي للواقدي.(١٨٩٨) وهو رسالته للدكتوراه.

أ- تحقيق المخطوطات:

١- طبقات ابن سعد (الجزءان الأولان، ليدن ١٩٠٤)

٢- الهاشميات، للكميت بن زيد الأسدي.(١٩٠٤).

٣- عيون الأخبار لابن قتيبة وترجمته إلى اللغة الإنجليزية. (١٩٣٠).

ب - البحوث والدراسات العلمية:

١- النقوش الهندية الإسلامية.(١٩٠٩-١٩١٢)

٢- المتنبي.(١٩١٠) ٣- الحمدانيون.(١٩١١)

٤- الشيعة (١٩١٢) ٥- الزكاة (١٩١٨)

٦- الجنة في القرآن.(الجامعة العبرية ١٩٢٣)

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٦٢١ ، العقيقي ج٢/ ٤٣٢، يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ص ٣٣٠

٧- أسماء الأعلام اليهودية في القرآن.(١٩٢٥)

٨- الإسلام والنصرانية.(١٩٢٦) ٩- الشعر الجاهلي.(١٩٢٦)

١٠- مباحث قرآنية.(١٩٢٦) ١١- شعائر الإسلام (١٩٢٧).[1]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- هذا الرجل يدخل ضمن منظومة المستشرقين المتعصبين الذين ساعدوا الحركة الصهيونية، وبذلوا جهودا مكثفة لإقامة أركان الكيان الغاصب وتثبيت قواعده على الأرض، وقدموا له كل ذخيرتهم العلمية، وأبحاثهم التاريخية لتبرير مشروعه العدواني، وإضفاء طابع الشرعية عليه وإقناع اليهود في العالم بالهرولة إلى إسرائيل؛ «وهي قلعة عسكرية، وتَجمّع لرعاة البقر» على حد تعبير أرنولد توينبي (١٨٨٩-١٩٧٥)، والإسراع في شراء الأراضي الفلسطينية بالإغراء والتحايل والقوة القاهرة، أو اغتصابها من أصحابها و بناء المستوطنات عليها.

على أن من المهم الإشارة إلى أن هورفتز، لم ينتقل للعيش في فلسطين وظل مقيما في ألمانيا إلى أن مات ودفن فيها، على الرغم من تنقله بين الهند ومصر وسوريا وفلسطين.

٢- يلاحظ على دراسات المستشرقين بعامة، واليهود منهم بخاصة، إذا كانوا بصدد دراسات تدور حول الأدب العربي و شعره و التاريخ الإسلامي والجغرافيا والتصوف وعلم الكلام والفلسفة، فمن الممكن أن نقول أن هناك قدرا كبيرا من الإنصاف بشكل واضح، ورؤية موضوعية إلى حد كبير تقر بفضل الحضارة العربية الإسلامية وإنتاجها المميز وتراثها الأخلاقي الإنساني وفضلها على أوربا؛

أما إذا كان موضوعهم القرآن أو الحديث عن الرسول ﷺ، هنا ينفجر بركان التعصب الأعمى، يخبطون خبط عشواء مثل الجِمال الهائجة، ويفقدون البصيرة الثاقبة، والرؤية المنصفة وقواعد المنهج العلمي، وتسقط كافة الأقنعة المزيفة من على وجوههم،

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٦٢١، العقيقي ج٢/ ٤٣٢-٤٣٣ يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ص ٣٣١

ولعل كرههم للإسلام يفضي بهم إلى هذه النتائج المأساوية؛ ويعودون إلى منهج الهجوم اللا أخلاقي الذي اتبعه علماء العصور الوسطى في أوربا، وهي المرحلة التي أطلق عليه المؤرخ «ساذرن» عصر الجهالة.

هذا أيضا ما ينطبق على هورفيتز فجهوده في تحقيق التراث وسفره إلى القاهرة ودمشق وحصوله على المخطوطات ونشرها، جهد طيب وعمل مشكور، يحسب له في ميزان البحث العلمي؛ أما حينما يتناول بالدراسة القرآن الكريم وتفحص آياته، هنا نفتقد الضمير العلمي ونرى التعصب بكافة ضروبه مثل تعصب أبي جهل.وتتجلى ألوان العداء للإسلام والكراهية المقيتة كعداء مشركي قريش للإسلام، ومسلك يهود بني النضير والقينقاع ويهود خيبر يعاود الظهور على مسرح التاريخ يجدد الأدوار مرة وأخرى.

إن أمثال هورفيتز لا يري من الحقيقة ولا يفهم «إلا ذلك الوجه الذي يلائم عقده النفسية وقيمه الاجتماعية، ومصالحه الاقتصادية، أما الوجوه الأخرى من الحقيقة فهو يُهملها باعتبار أنها مكذوبة أو من بنات أفكار الزنادقة.[١]

٣- نبذة عن الواقدي (١٣٠- ٢٠٧ هـ/ ٧٤٧- ٨٢٣م)

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، مولى من موالى بني هاشم في المدينة اشتغل ببيع الحنطة، كان عالما بالحديث والمغازي والفتوح تعرف عليه هارون الرشيد حينما كان في زيارة المدينة، فشرح له معالمها ومشاهدها، فأعجب به وأكرمه، انتقل إلى بغداد، ولما كان المأمون (ت ٢١٨هـ)محبا للعلوم ومغرما بالتاريخ والفلسفة، لذلك قربه وأكرمه وولاه القضاء في بغداد، حيث توفى له مصنفات أهمها؛ فتوح الشام، والمغازي.[٢]

- كتاب المغازي:

يعد كتاب المغازي من أهم الكتب التاريخية المبكرة التي تسجل غزوات الرسول ﷺ بطريقة تفصيلية موثقة، وإن كان بعض المؤرخين اتهموا الواقدي بالتشيع وحشو كتابه

---

(١) على الوردي : وعاظ السلاطين ، دار كوفان ، لندن ، ١٩٥٥، ص ٢٣١

(٢) تاريخ آداب اللغة ج٢ / ١٥٠ ، بروكلمان ج٣/ ١٥

بالأحاديث الضعيفة.

٤- ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ -٨٤٥م):

أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري، تلميذ الواقدي وصديقه، لقب بكاتب الواقدي، استفاد من كتبه، توفي في بغداد؛ يعد ابن سعد من كبار كتاب تاريخ صدر الإسلام والخلفاء الراشدين ثقة في تاريخه، دقيق في إيراد الحوادث، يتحرى روايته.[١]

طبقات ابن سعد:

لعل شهرة ابن سعد ترجع إلى كتابه «الطبقات» وهو كتاب تأريخي عظيم الفائدة غني بمعلوماته عن الجاهلية والإسلام، سجل بصدق أحداث السيرة النبوية بتفاصيلها الدقيقة موثقة بأسانيد قوية، ثم ينتقل إلى الحديث عن غزوات الرسول ﷺ، ويترجم للصحابة الذين حضروا بدرا والأنصار والمهاجرين ومن أسلموا قبل الفتح، والذين انتقلوا إلى المدن ا لإسلامية واستوطنوا فيها مثل؛ الطائف واليمن والبحرين واليمامة والكوفة والبصرة وكذلك تراجم الصحابة من النساء، وينقسم الكتاب إلى تسعة أجزاء؛ قام هورفتز بتحقيق ونشر الجزأين الأولين، وقام بالباقي بعض المستشرقين (شفلي، زترستين مايسنر)بإشراف سخاو، ونهض المستشرق الألماني الكبير كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦)[٢] صاحب كتاب «تاريخ الأدب العربي» بتحقيق الجزء الثامن ونشره في (١٩٠٤)[٣]

٥- نبذة عن الكميت بن زيد.(٦٠-١٢٦هـ/ ٦٨٠- ٧٤٤م):

الكميت بن زيد الأسدي، من شعراء العرب الكبار، ولد بالكوفة تربي في البادية و تشبع باللغة العربية، واستوعب أخبار العرب في الجاهلية والإسلام آدابها وأنسابها وتعلم الفقه والحديث، صار معلما يعلم الناشئة في مسجد الكوفة، اشتهر بتشيعه لبني هاشم، ومدحهم مدحا واسعا سارت به الركبان، لازم زيد بن علي بن الحسين مؤسس المذهب

---

(١) تاريخ آداب اللغة ج٢/ ١٥١ ، بروكلمان ج٣/ ١٩

(٢) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص ٩٨-١٠٥.

(٣) تاريخ آداب اللغة ج٢/ ١٥١-١٥٢ ، بروكلمان ج٣/ ١٩-٢٠

الزيدي(٨٠-١٢٢هـ/ ٦٩٩-٧٤٠م) وكان يناضل عنه ويدافع، حتى أصابت الغيرة بني أميه من شعره، وقصائده فيهم التي تسمي «الهاشميات»، مدحه الفرزدق وعده من أشعر الشعراء.[١]

- الهاشميات:

جمع المؤرخون كل الأشعار التي مدح بها الكميت بني هاشم معليا من شانهم، ويخاصة علي بن أبي طالب وأولاده وبالتحديد الحسين سيد الشهداء وحفيده زيد، وتعد أشهر شعره، وقد أجاد وعبر عن مكنون خواطره، وفيض حبه فجاء المديح صادقا، والكلمات قوية والتعبير بليغا والصور معبرة، والمعاني غزيرة.[٢]

٦- نبذة عن ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦ هـ / ٨٢٨-٨٨٩م)

أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد في الكوفة (٢١٣هـ) وحفظ شيئا من القرآن والحديث والفقه والنحو والحساب،، ثم ولى وجهه شطر بغداد عاصمة الخلافة وجامعة العلم التي تشع النور والنحو وعلوم القرآن واللغة والحديث، ونهل العلم من علمائها، وسطع نجمه بين الفقهاء، فولى القضاء بدينور، ثم انتقل إلى بغداد، ظل يشتغل بالتدريس والتعليم حتى توفي بها (٢٧٦هـ).

لا جرم أن يعد ابن قتيبة من الكتاب الموسوعيين الذين كتبوا في فنون متعددة؛ في الأدب والتاريخ والنقد الأدبي ومعايير الشعر، ونقد نقاد الحديث الشريف وإظهار تهافت شكوكهم من خلال تأويل مختلف الحديث، وتوضيح ما غمض على بعض العلماء من مشكل القرآن، وأصبح من المدافعين السنيين الكبار في مواجهة موجة التشكيك التى حملها بعض علماء الكلام والفلاسفة، وإن كان أجحف في حق الجاحظ والمعتزلة إجحافا عظيما، ورماهم بتهم هُم منها براء، وحط من شأنهم وأنكر فضلهم في الدفاع عن الإسلام، بسبب التعصب المذهبي، وكان أسلوبه عنيفا معهم لا يتفق مع حرية الفكر

(١) تاريخ آداب اللغة ج١/ ٢٧٤ ، ضيف : ، العصر الإسلامي ص ٣٢٣، الأعلام ج٥/ ٢٣٣

(٢) ضيف : العصر الإسلامي ص ٣٢٦

وفضيلة التسامح وحق الاختلاف، ومع مشيئة الله التي جعلت الناس أمما متعددة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك.[١]

- **عيون الأخبار:**

من كتب الأدب الشهيرة، الذي يتناول موضوعات متنوعة، متعلقة بأخبار العرب في الجاهلية والإسلام، إذ يتحدث عن أخلاق السلطان وسياسته مع الرعية، وما يجب أن يحتاط له وبعض أقوال الخلفاء في الأزمات والحروب، ويشير إلى أخبار علمائهم ومؤلفاتهم ومواقفهم من السلطة والخلفاء وأحاديثهم معهم ونصائحهم لهم، ولا ينسى أن يعرج بالحديث عن الإخوان والرجاء و الزهد والزهاد وحكمهم ومواقفهم في الحياة، ويختم كتابه بالحديث عن النساء الشهيرات ومواقفهن وكلماتهن التي صارت مثار الأمثال. ويطرز كتابه بشواهد من الأخبار والحكايات وأحاديث الرسول ﷺ والأمثال والأشعار وحكم العرب والفرس واليونان.

عموما الكتاب شبيه بالبيان والتبيين، والإمتاع والمؤانسة والعقد الفريد فهو صورة لأبعاد الشخصية العربية المسلمة في كافة أحوالها وبخاصة بعد التفاعل مع الثقافات الوافدة ومزج الوافد مع الموروث.

حقق الكتاب بروكلمان ونشره سنة (١٨٩٨) لأهميته الأدبية والأخلاقية، ونشر أيضا في مصر أكثر من مرة.[٢]

٧- مباحث قرآنية:

يقف هورفيتز موقفا عدائيا من الإسلام والمسلمين، وتنقصه النزاهة، وكتاباته تفتقد الموضوعية والبعد الأخلاقي والحس الإنساني، وفي هذا الكتاب ينهج منهجا تحليليا لألفاظ القرآن الكريم، إذ يعمَد إلى إيراد الكلمة من القرآن ثم يذهب ليبحث عن الكلمة المناظرة لها في التوراة بطريقة متعسفة، ودون دليل علمي، أو سند من تاريخ اللغة العربية

---

(١) تاريخ آداب اللغة ج٢/ ١٧٣ ، بروكلمان ج٢/ ٢٢١ ، الأعلام ج٤/ ١٣٧

(٢)- بروكلمان ج٢/ ٢٢٣ ، ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٦١١

وتطورها أو اشتقاقها واستخدامها عند علماء اللغة وتوظيفها في الشعر؛ ولنأخذ بعض الأمثلة:

- قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

يذهب هورفيتز بأن «الأمي» تعني الوثني، إذ يترجم التعبير العبري «أمة هاعولام» بمعني «شعوب العالم في مقابل شعب إسرائيل»، ومن المعلوم أن «الأميين تعني العرب، لأنهم في الأغلب كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون، أو تعني أمة العرب في مقابل اليهود الذين كانوا يزعمون أنهم شعب الله المختار.

- قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]

يزعم هورفيتز أن كلمة «أيام الله» تعبير جاء بصيغة «أيام العرب»، وهي تشابه ما جاء في سفر العدد «في تاريخ حروب الرب ملحمة يا هواه».

وكما نرى ليس هنا علاقة بين أيام الله التي تعني «ذكرهم يا محمد بنعم الله التي منحها لهم في بعض الأيام، وبالنقم التي أنزلها لمعاقبتهم كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود» وعن معركة الرب فهي لا تتكلم عن أي يوم مفرد من أيام الله.[(١)] وهكذا يمضي هذا الرجل في ضلاله فيتعسف في مقارناته دون وجود دليل من اللغة أو حجة من تاريخ البحث العلمي.

إن الإشكالية تكمن في إن هذا المستشرق - وغيره - نشأ في لغة وفي ثقافة قد رسخت في عقله وتشربتها نفسه، وهي مصبوغة في اليهودية، وهي ملة مباينة دين الإسلام مباينةَ تبلغ حد الرفض والمناقضة، وثقافته تنازعه حيث ذهب في البحث والدرس، فكونه يناقش قضايا الفكر الإسلامي وينهض بدراستها فهذا حقه ولا أحد يصادر حقه في ذلك،

(١) بدوي : دفاع عن القرآن، ٣٦- ٣٨ .راجع بالتفصيل ردود د.بدوي المطولة بالحجة العلمية والدليل البرهاني علي هذا المستشرق في كتابه القيم المتميز ؛ دفاع عن القرآن (ص ٣٨،٤٦)

ولكن مستحيل كل الاستحالة أن يكون في ثقافتنا نحن باحثا أو دارسا يبدي رأيا يستحق النظر والاحترام في قرآنها وحديثها.[1]

خلاصة القول: إن منهج هورفيتز التحليل التفصيلي للغة القرآن، ثبت أن فيه من المغالاة والافتعال ومجافاة البحث العلمي والتعسف في المقارنة، بسبب أنه استعان في عمله هذا بمعاني الألفاظ القرآنية كما تستنبط من الشعر الجاهلي، أضف إلي ذلك إسقاطات عاداته وتقاليده و لغته ودينه وثقافته وأيديولوجيته على حضارتنا، و قد أفضي ذلك كله إلى أن نتائج بحثه أصبح مشكوكا فيها منذ البداية، ومرفوضة كلها فيما بعد.[2]

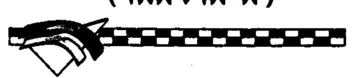
***

(١) محمود شاكر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٧٦

(٢) موسوعة المستشرقين ص ٦٢١

٩- جوستاف فايل Gustav Weil

(١٨٠٨ ١٨٨٩)



أولا: نبذة عن حياته:

ولد في سلسبورج بألمانيا من أسرة يهودية، تعلم العبرية والفرنسية و التلمود في صباه علي يد معلم خصوصي، ثم توجه إلى مدينة متس حيث كان يعيش جده الحاخام الأكبر فألحقه بمدرسة عبرية لمزيد من الدراسة والتحصيل لاسيما فيما يتعلق بالدين اليهودي.

التحق بجامعة هايدلبرغ في سن العشرين.و درس فقه اللغة والتاريخ، فضلا عن العربية. واللاهوت وكان يحلم أن يصبح حاخاما مثل جده، لكنه تخلى عن أحلام المراهقة المثالية مع اصطدامه بوقائع الحياة المريرة، وفضل عليها الدراسات التاريخية والفيلولوجية.

توجه إلى باريس عام (١٨٣٠)التي كانت تمثل قبلة القصاد ومنارة أوربا الفكرية وزهرة المدائن ومهد ديكارت وفولتير، لتعلم اللغة العربية والاستزادة من العلم، فدرس على يد الطبيب برون اللغة العربية في مقابل أن يعلم أستاذه الألمانية، واللغة السريانية بإشراف كاترمير (١٧٨٢-١٨٥٧) الذي كان يتقن اللغة اليونانية ومعظم اللغات السامية، وبعد أن أتم تكوينه العلمي، وحصل من العلوم ما يساعده علي النزول إلي معترك الحياة العملية. انتهز فرصة احتلال القوات الفرنسية للجزائر (١٨٣٠) فرافق قواتها مراسلا لصحيفة أوغسبورغ.

وهذا ينبئ عن انتهازية واضحة، وتدهور في الجانب الأخلاقي، وعدم الالتفات لكرامة الشعوب، والبحث عن مصادر العمل التي تدر عليه الثروة بصرف النظر عن موافقتها للقيم الخلقية أو شرف المهنة أو السلوك الإنساني القويم.

يبدو أنه واجه صعوبات جمة وشدائد لا قبل له بتحملها في الجزائر، إذ رحل إلي مصر

في العام التالي (١٨٣١) التي كانت استأنفت يقظتها بقيادة محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨) والذي توسع في بناء قاعد صناعية وزراعية وإنشأ المدارس العسكرية والطبية فعثر علي وظيفة مدرس للغة الفرنسية في المدرسة الطبية واستمر فيها طوال خمس سنوات، وفي الوقت نفسه أتقن تعلم اللغة العربية وتضلع فيها علي شيخين جليلين من علماء الأزهر هما؛ محمد عياد الطنطاوي (١٢٢٥-١٢٧٨/ ١٨١٠-١٨٦١) [١]وأحمد التونسي (١٢٠٤-١٢٧٤/ ١٧٩٠-١٨٥٨) [٢] ويقال أنه ألم أيضا باللغة الفارسية والتركية.

ثم بدا له أن يعود إلى ألمانيا، فتوجه إلى اسطنبول ومكث فيها بضعة شهور ومنها عاد إلي بلاده، حيث عمل في مكتبة هايدلبرج فترة طويلة أربت على خمسة وعشرين عاما، وحينما أتيح له العمل بجامعتها سارع إلى ذلك فعين أستاذا بها عام (١٨٣٧) ثم انتقل إلى جامعة فرانكفورت (١٨٤٥) وأخيرا استقر في جامعة برلين.

وكان من أبرز أعماله بها تنظيم قاعة المطالعة الشرقية بمكتبتها، واشتهر بين زملائه بأبحاثه الواسعة، ونال جوائز عديدة، واختير عضوا في مجامع دولية، ومات عام (١٨٨٩). [٣]

ثانيا: جهوده العلمية:

لا غرابة في غزارة الإنتاج العلمي لفايل، فمن الواضح أن مكوثه في مصر فترة طويلة، وزيارته للجزائر واسطنبول هيأت له فرصة الاطلاع علي جوانب التراث العربي

---

(١) يعد من المؤرخين المصريين ؛ وقد ذكر إدوارد لين أنه من أصدقائه ، (عادات المصريين ص٣٠٥) ومن مؤلفاته ؛ أحسن النخب في معرفة لسان العرب ، وهو كتاب في اللغة العامية المصرية ، ط، ، ليبسك ، ١٢٦٤هـ/ ١٨٠٨، مسودات تاريخ العرب ، تاريخ روسيا ، رسالة عن الأعياد المصرية .(جمال الشيال : التاريخ والمؤرخون في مصر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٠/ ٢٠٠ ص٢٥٠)

(٢) ذكر د، ، الشيال أن اسمه محمد عمر التونسي ، ومن مؤلفاته ؛ تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، ترجمه د، برون إلى الفرنسية ، ونشر في باريس ، ١٨٥٥، رحلة وادي ، لم ينشر النص العربي وترجمه برون إلى الفرنسية ، باريس ، ١٨٥١ ، الشيال : المصدر السابق ص٢٤٢)

(٣) العقيقي : المستشرقون ج٢/ ٣٦٦ ، موسوعة المستشرقين ص ٣٩٠

الإسلامي، ومعايشة علماء المسلمين، والجلوس معهم ومناقشتهم، ومحاولة فهم الإسلام عن قرب، فضلا عن مهنة التدريس التي وفرت له مزيد من الاطلاع على المصادر الأصيلة، ومواصلة البحث العلمي، والتنافس مع أقرانه في ميدان التأليف، ومن ثم تعددت مجالات نشاطه؛ سواء فيما يتعلق بمجال التأليف أو نشر كنوز التراث العربي لغة وشعرا وتاريخا، وسوف نشير إلى هذين المجالين:

أ- مجال التأليف:

١- التوراة في القرآن (شتوتجارت ١٨٣٥):

ينطلق فايل في هذا الكتاب من مقولة بائسة روج لها القساوسة منذ ظهور الإسلام وانتشاره بين الشعوب المسيحية، بأن محمدا ﷺ أخذ قرآنه من التوراة، لذلك يعكف على قراءة نصوصه وكلما مر بقصة ذكرها القرآن ووردت في التوراة، أو حادثة وقعت لأحد الرسل السابقين، أو ذكر قوم من الأمم البائدة صاح زاعقا بأن محمد اﷺ اعتمد في تأليف كتابه علي ما ورد في الكتاب المقدس، وهي مقولة مازال يرددها بعض المستشرقين حتى يوم الناس هذا، ورأينا عقلية كبيرة مثل جولتسيهر يذكرها أيضا في مؤلفاته.

٢- محمد ﷺ حياته ودينه في ثلاث مجلدات(١٨٤٣).

عول في هذا الكتاب على مصادر عربية إسلامية هامة ومراجع قيمة مثل؛ سيرة ابن هشام (ت٢١٨هـ)، و السيرة الحلبية لعلي الحلبي (١٥٦٧- ١٦٣٤م) مؤرخ من أهل القاهرة حلبي الأصل، عَرفّ القارئ الأوربي بأبعاد سيرة الرسول ﷺ، بيد أنه تحامل عليه تحاملا كبيرا، واجتر الروايات القديمة التي كررها رهبان العصور الوسطى مثل يوحنا الدمشقي المفتري على رسولنا، إلى لوثر السباب وفولتير الحائر، و عرض الاتهامات ذاتها المعروفة التي يكررها أغلب المستشرقين ذوي الثقافة الضحلة والمعارف المشوشة والنوايا الفاسدة.

يقول عنه د.بدوي: يعد أول سلسلة من الكتب التي سيكتبها المستشرقون المحدثون عن سيرة النبي ومن أشدها تحاملا وبعدا عن الموضوعية والدقة التاريخية.(١)

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٣٩١

٣- تاريخ الخلفاء المسلمين، في خمسة مجلدات (١٨٤٥/ ١٨٦٤) ويشرح فيه تاريخ الخلافة الإسلامية منذ وفاة الرسول ﷺ، وانتهاء بخلفاء بني العباس في مصر، مرورا بالخلافة الراشدة وخلفاء الأمويين والعباسيين حتى استيلاء التتار على بغداد (٦٥٦هـ) ويشير إلى الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس وقيام الخلافة الأموية في قرطبة.

٤- مختصر تاريخ الشعوب الإسلامية من محمد ﷺ إلى السلطان سليم الأول (١٥١٢- ١٥٢٠) الذي انتصر على المماليك في موقعة مرج دابق (١٥١٦) والريدانية (١٥١٧).وهو أول تاريخ عام يعتمد على المصادر العربية عام (١٨٦٦)، نقله خودابش إلى الإنجليزية (كلكتا ١٩١٤)

٥- مقدمة تاريخية نقدية إلى القرآن.(١٨٤٤) وهو بحث مختصر (٢٣ صفحة) يشير فيه إلى طرق جمع القرآن، وترتيب سوره وآياته.

ب - تحقيق المخطوطات:

١- ترجمة أطواق الذهب، للزمخشري (شتوتجارت ١٨٤٠).

٢- ترجمة ألف ليلة وليلة، عن طبعة بولاق (جوتنجين ١٨٤١).

من المعلوم أن فايل ليس الوحيد الذي قام بهذا العمل، فكثير من المستشرقين أعجبوا بحكايات ألف ليلة وليلة الخيالية، وخلبت لبهم، إذ تشبع جنب الخيال في باطن الإنسان، وتحرره من قيد الزمان والمكان، وتحقق له في الوهم ما عجز عن تحقيقه في الواقع الحي، لذلك نقلوها إلى لغاتهم وعقبوا عليها، ومنهم هامر برجشتال (١٧٧٤- ١٨٥٦) [1].

٣- ترجمة سيرة ابن هشام (٢١٨هـ) في مجلدين (شتوتجارت ١٨٤٤)وكتب عليها حواشي واسعة وتعليقات تاريخية.

٤- نشر الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين للأنباري (ليدن ١٩١٣).

---

(١) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص٦١٣

٥ - ترجمة معلقة الشنفري وزودها بشروح وافية وتعليقات مسهبة.[(١)]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- هذا مستشرق يهودي، يعد نسخة من بني قومه، لا يتفرد عنهم في شيء مميز، فهو مغامر إلى حد كبير، يبحث عن مكان في أرض الله الواسعة يستقر فيه لكنه لا يستقر على سعة الأرض ورحابة البلاد التي نزل بها وترحيب أهلها، لأنه يأبى ذلك؛ بسبب حالة القلق العارمة المختزنة في أعماقه، و تتفجر داخله وشعوره بالكراهية من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه وأحلامه في الغنى السريع، ورغبته في الحصول على الثروة تقوده إلى المهالك ومعانقة الموت، لكنه يستيقظ من وهمه، فينكص على عقبيه وربما أنبه ضميره، واستيقظ صوت الإنسان الخير داخله، فعاد أدراجه يبحث عن عمل شريف ونظيف، يسلك مسالك البشر الشرفاء، ويعيش عيشة الناس الأسوياء.

٢- لا أحد يستطيع أن ينكر جهود فايل العلمية، ودوره في التأليف العلمي الرصين سواء فيما يتعلق بسيرة الرسول بخاصة أو التاريخ الإسلامي بعامة علاوة على نشراته العلمية لكتب الأدب العربي والنحو ودواوين الشعراء، ولاشك أنه جهد مشكور وعمل رائع ينبع عن عزيمة قوية ودراسة موسعة وإطلاع موسوعي وصبر جميل في تحمل متاعب هذه الدراسات والبحث عنها في مظانها والحصول على المصادر العربية ومحاولة استيعابها وفهم أبعادها، ومحاولة الوصول إلى الحقيقة قدر الطاقة الإنسانية.

ونحن بدورنا لا نخفي إعجابنا بجهده العظيم لاسيما فيما يتعلق بالموسوعة التي أعدها حول التاريخ الإسلامي وأصبحت من الكتب الشهيرة والممتازة التي فاضت عن قريحته علاوة على تحقيقاته الوافرة لتراثنا العربي الإسلامي.

٣- مدح أعماله المستشرق الفرنسي دوجا (١٨٢٤-١٨٩٤)[(٢)] ونبه على جهوده و قرظ إنتاجه العلمي وقال عن موسوعته التاريخية: إن هذا الكتاب يعد من المؤلفات

---

(١) العقيقي : المستشرقون ج٢/ ٣٦٦، موسوعة المستشرقين ص ٣٩٠
(٢) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص ٢٥٣ ، العقيقي : المستشرقون ج١/ ١٩٣

التاريخية الكبرى في عصرنا.والتي بينت الدور الكبير الذي قامت به الشعوب العربية الإسلامية في خدمة الحضارة الإنسانية.(١)

٤- يستشف مما كتبه عنه د.بدوي في موسوعته، نوع من الرضي وشيء من الارتياح، والقبول لأعماله، إذ لم يذمه أو يتعرض لتسفيه آرائه أو الهجوم عليه والانتقاص من شأنه، كنا نرجو من أستاذنا أن يقيم أعماله كدأبه في تقييم أعمال المستشرقين، ويذكر إيجابياته ويزري بسلبياته.

أما نجيب العقيقي فاكتفى بعرض نبذة عن حياته وعرض مسهب لآثاره العلمية ومجالات بحوثه دون أن يحاول إلقاء نظرة تقويمية على جهوده.

٥- من المؤسف أن فايل لم يتحرر من عنصريته ولا من كونه يهوديا ولا من إحساسه الداخلي بالمرارة تجاه القرآن الكريم الذي فضح مكائد اليهود وعّرض بهم ونشر رذائلهم وكشف خبيئة ضمائرهم، ورسم صورة واضحة لمسلكهم المشين عبر الأمم السابقة، الذي كان دوما سلوكا منافيا للقيم الأخلاقية والمثل العليا وخروجا على ما تعارف عليه البشر، فيخرجون مع كل ناعق وينضمون إلي صفوف كل منافق، ويسعون إلى الهيجا بأظلافهم، ويشعلون الحرب في كل زمان وكل مكان يحلون فيه، وينضمون إلى الحزب الغالب.

نقول لم يتحرر فايل من عقدة النقص فمضي في طريقه يبذر بذور الشر ومضي في غيه يقول مقالة السوء؛ بأن معظم ما ورد في القرآن الكريم اقتبسه محمد ﷺ من الكتاب المقدس، وقد ورث هذا الإدعاء الكاذب من قساوسة العصور الوسطي المتعصبين وبعض علماء عصر النهضة الذين اطلعوا على القرآن ولم يكن في مكنتهم أن يفهموا مقاصده، حتى ترسخ ذلك في قلب الباحثين من اليهود والنصارى، ولا أحد منهم يريد أن ينزع منزعا موضوعيا فيناقش القضية بعيدا عن التعصب الديني أو الجنسي، ويمحص القضية تمحيصا علميا لأن مصدر الأديان من رب العالمين، والأنبياء جميعا يغترفون من نبع العطاء الإلهي بواسطة الوحي جبريل، فلماذا يحرمون على رسولنا الكريم ما يعتقدون

(١) موسوعة المستشرقين، ص ٣٩١

بصدقه مع أنبيائهم.(١)

ونحن المسلمين نؤمن بكل ما جاء به الأنبياء من عند ربهم ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

ولكن فايل يسير كالأعمى وراء هواه، ويتبع سبيل المنافقين فيكرر مزاعمهم الكاذبة، ويقرر أن القرآن أخذ الكثير من الكتاب المقدس.

وحينما يتناول سيرة الرسول يغلب عليه إلف طاغ وهوي متبع وحقد ممقوت وتعصب أعمي، فيذهب يكذب مع الكذابين ويهذي مع المخرفين، ويكرر مزاعم عفى عليها الدهر، ويتكلم عن قرآن لا نعرفه ولم نقرأه، وعن رسول أبعد ما يكون عن رسولنا الكريم، وعن صفاته وشمائله وأخلاقه العظيمة وسيرته المجيدة، وما يورده من قصص عنه، أصبحت قصصا مضحكة في بطون الكتب، تشير إلى حقد الإنسان على أخيه الإنسان ودليل صارخ علي الجوانب الشريرة في أعماقه.ويصدق عليه مقولة إدوارد سعيد «يعد الاستشراق جهازا ثقافيا ينحصر في العدوان والنشاط وإصدار الأحكام وفرض» الحقائق «والمعرفة»(٢).

ومع هذا التجافى عن الحقيقة كلية، والانحراف عن الموضوعية؛ فإن ذلك لا يقلل في شيء من الخدمة التي أداها فايل بوصفه أول من قام ببحث نقدي تاريخي حول هذا الموضوع، إذ إن النتيجة التي ينتهي إليها «هي أن محمدا يمكن أن يرى أيضا في أعين غير المحمديين بأنه رسول الله» (٣)

---

(١) قام العديد من القساوسة والعلماء الغربيين بترجمة القرآن الكريم أمثال ؛ ريموند ليل في أشبيلية (١٣١٥)، وباجنين في فينسيا (١٥٣٠)، وبيير كلوني في بازل (١٥٤٣)، ودي ريه في فرنسا (١٦٤٧)طبع ثمان عشر مرة ، وماراتشي في بادو(١٦٩٨) والكونت دي بولنفليه في فرنسا (١٧٣٠)(استمرت طبعته متداولة مدة قرنيين)وجورج سيل في انجلترا (١٧٣٤)وكلود سافاري في فرنسا (١٧٨٣) وغيرهم كثير على أن معظمهم لم يتحرر من رواسب الماضي ، ومن المقولات الكاذبة التي تذهب إلى أن رسولنا اقتبس قرآنه من التوراة والإنجيل .

(٢) الاستشراق ٣٢٢

(٣) فان موللر : سيرة الرسول في تصورات الغربيين ، ترجمة ، حمدي زقزوق ، ص ٨٦

بيد أن الزهرة اليانعة لا يستطيع أحد أن يمنع أريجها الفواح من الظهور والانبثاق، ولا أحد يقدر أن يطمس أشعة الشمس من الإشراق على أرض الله، إذ هناك مئات من المستشرقين المنصفين الذين أنصفوا رسولنا الكريم وفهموا أبعاد رسالته الإنسانية.

يقول إدريان رولاند (ت١٧١٨) في كتابه الديانة المحمدية: لو كان الإسلام كما وصفه هؤلاء المسيحيون الأوربيون فليس من المعقول أن يعتنق كثيرا من الناس دينا عبثيا، ولا يمكن أن يفهم أن أتباع محمد كلهم أغبياء وحمقى، فضلا عن أن نشك في آثار وكتابات هذه الملة التي أخرجت عبقريات وعظماء لم ير العالم مثيلا لها في أي شعب آخر.(١)

ويكفينا شهادة لشمائله، وتزكية لأخلاقه وتأييدا لسلوكه؛ أن يمدحه رب العالمين بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

لقد أصاب العلامة العقاد كبد الحقيقة حينما وصف المنصرون بأنهم «أعداء الإسلام المحترفون» والمستشرقون بأنهم «أعداء الإسلام الهواة» ثم عقب على كتاباتهم بقوله: «يندر أن تقرأ في كلام ناقد من الأجانب عن اللغة العربية شيئا من مآخذ التناقض في الإسلام إلا بدا لك بعد قليل أنه مخطئ، وأن مرد هذا الخطأ عنده إلى جهل الإسلام أو جهل اللغة العربية، وبعضهم يجهلها وهو من المستشرقين لأنه يستظهر ألفاظها ولا يتذوقها ولا ينفذ إلى لبابها من وراء نصوص القواعد والتراكيب»(٢)

٦- نال كتاب «أطواق الذهب» للزمخشري، شهرة واسعة، وتناوله جمهرة العلماء العرب والمستشرقين بالشرح والتحليل والتعليق، ومنهم هامر برجشتال الذي حققه ونشره في فيينا سنة (١٨٣٥)، ونحب أن نذكر نبذة مختصرة عن المؤلف والكتاب.

أ- محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧- ٥٨٣هـ)

ولد في زمخشر من أعمال خوارزم عام (٤٧٦هـ)أخذ العلم الديني عن علماء ولايته،

---

(١) بدوي : دفاع عن القرآن ص ١٥٣

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٧٨

قطعت رجله وهو صغير، تنقل في عواصم الدولة الإسلامية الفسيحة، فزار مكة المكرمة أكثر من مرة وجاور فيها، وارتحل إلي أصفهان وبغداد عاصمة الخلافة وبلاد الشام ثم عاد إلى وطنه واستقر فيه يقرأ ويؤلف، برع في علوم كثيرة منها التفسير والنحو واللغة والأدب حتى أصبح إماما في كل علم لاسيما التفسير والبلاغة، اعتنق المذهب المعتزلي وأخلص في الدفاع عنه والذود عن أصوله وعلمائه، وجاء تفسيره متأثرا إلى حد كبير بالأصول الخمسة كما نراها عند المعتزلة.

ب- أسواق الذهب:

كتاب صغير عبارة عن؛ شوارد عقلية، وفيوضات نورانية وخواطر نفسية ونبضات قلب، اشتمل على مائة مقالة مختصرة لا تتجاوز الواحدة عشرة سطور، ينحو فيها منحا أخلاقيا وعظيا لكن بأسلوب غير مباشر، قريب من لقطات الصوفية، وحكمة الحكماء، وأمثال العرب، وخواطر الجاحظ، ونكت أبي حيان التوحيدي، يوظف فيه خبرته بالحياة وتجارب السنين، فيتجه اتجاها أخلاقيا، إذ يتحدث عن أهمية التواضع وانقضاء الدنيا وتقلبها والتحذير من الكبر والبخل وظلم الآخرين، والتفريط في الأمر وخطورة علماء السوء، ويدعو إلي نبذ الكسل والضعف والضعة في السلوك، ويحذر من البخل وعلماء السوء، ويشرح أهمية الكرم والحلم والمروءة، وصفاء القلب ونقاء الضمير وضرورة التعاون البشري والأخوة الإنسانية، وفيه أيضا تنبيه لخطورة دور الملوك وينصح الملك بالتروي وتحقيق العدل وعدم الاغترار بالمظاهر الكاذبة والأقوال الزائفة.

مدح الكتاب الأصفهاني في مقدمة كتابه «أطباق الذهب» وأشار إلى أنه نسجه على منوال «أطواق الذهب» وأيضا اعترف أحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢)أنه ألف «أسواق الذهب» على غرار «أطواق الذهب».

ومن الجدير بالذكر أن «أسواق الذهب» طبع أكثر من طبعة، وتعد طبعة برجشتال (١٨٣٥) أقدم من طبعة فايل (١٨٤٠).وتبعه بعد ذلك المستشرق الفرنسي باربير دومنيارد، الذي ترجم الكتاب وعلق عليه، المطبعة القومية، باريس، ١٨٧٦ .

- قام محمد سعيد الرافعي بشرح مفرداته وتفسير غامضه وشوارده، مطبعة السعادة،

القاهرة، ١٣٢٨هـ.

- حققه أيضا أحمد عبد التواب عوض تحقيقا علميا وكتب له مقدمة طويلة، واختار لكل مقالة عنوانا يدل على مضمونها، وأشار إلى جملة النسخ التي رجع إليها وأقر باستفادته من طبعة الرافعي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.

- نشره راشد مصطفي الخليلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨.

وهذا نموذج من المقالات، يقول في المقالة الثلاثين:

«الدنيا أدوار والناس أطوار، فالبس كل يوم بحسب ما فيه من الطوارق (النوازل)وجالس كل قوم بقدر ما لهم من الطرائق (المذاهب) فلن تجري الأيام على أمنيتك ولن تنزل الأقوام على قضيتك، ولن تشايعك الدنيا إلى ما تروم، وإن ساعدتك فمساعدتها لا تدوم»

- اهتم مؤرخو الإسلام بسيرة الرسول ﷺ وكل ما يتعلق بحياته منذ مولده إلى وفاته متتبعين؛ حياته في الجاهلية ونقائه وسمو أخلاقه وتزكية قومه لسلوكياته واختياره لوضع الحجر الأسود، ثم بعثته وما صاحبها من عناد قريش ودعوته لهم بالحسنى و هجرته إلى المدينة، شارحين كل ما يصدر عنه من قول وفعل وتقرير؛ أكله وشربه وصلواته وابتهالاته، حروبه وزواجه وأولاده ووفاته، وكان من أشهر السير التي تضمنت ذلك سيرة ابن اسحق؛ وهو محمد بن اسحق بن يسار المطلبي، من موالي قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، ولد في المدينة سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م) وأمضى فيها شبابه، تنقل في البلاد الإسلامية، فرحل إلى الإسكندرية (١١٥هـ) والكوفة والجزيرة والري والبصرة وبغداد التي استقر فيها حتى وافته المنية سنة (١٥٢هـ) اشتهر بالحديث والمغازي وسمع من التابعين، صنف كتابه بطلب من الخليفة المنصور وأهداه نسخة منه، اتهمه الكثير من العلماء بالتشيع والتساهل في رواية الشعر ونقدوا رواياته.(١)

ثم جاء ابن هشام فتناول السيرة بالتلخيص والتهذيب والنقد والمعارضة بروايات

---

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة، عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ج٣/ ١٠/ ١١

أخرى لغيره من القدماء، ونقحها وأضاف إليها؛ وهو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، اشتهر بعلم النسب والنحو، أصله من البصرة، انتقل إلى مصر واجتمع بالإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)وتدارسا العلوم الدينية، ثم استقر بمدينة الفسطاط وتوفي سنة (٢١٣هـ).[١]

٧- ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (٥١٣/ ٥٧٧ هـ - ١١١٩/ ١١٨١م)

نحوي ولد بالأنبار ومات ببغداد درس بالمدرسة النظامية على كبار النحويين في عصره أمثال؛ الجواليقي وابن الشجري، ثم اختير مدرسا بها انقطع للعلم والعبادة في أواخر حياته، ألف في النحو واللغة والتاريخ ومن أشهر كتبه الإنصاف «ونزهة الألباء في طبقات الأدباء».[٢]

حقق الكتاب الشيخ محي الدين عبد الحميد، وذيله بكتاب «الانتصاف من الإنصاف»، وقام بتدريسه لطلبة الدراسات العليا بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر،

الكتاب يشتمل علي مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة علي ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة، وقد صنفه بناء علي طلب من أصدقائه الفقهاء المتأدبين، ولذلك يقول: «توخيت إجابتهم على وفق مسألتهم، وتحريت إسعافهم لتحقيق طلبتهم وفتحت في ذلك الطريق وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف» [٣]

٨- يعد الشنفري (ت٥١٠م) من الشعراء الصعاليك الذين اشتهروا بالسطو على

---

(١)- تاريخ آداب اللغة ج٢/ ١٥٣، تاريخ الأدب العربي ج٣/ ١٢/ ١٣، سيرة ابن هشام تحقيق عبد السلام هارون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥.

(٢) زيدان : تاريخ آداب اللغة ج٣/ ٤٣الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٥، مادة ابن الأنباري ، ص ١٠

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصري، بيروت ، ٢٠٠٧ / ١٤٢٨هـ)

القوافل والقبائل، واتصفوا بالشجاعة والصبر عند البأس وسرعة العدو حتى ليسمون بالعدائين؛ فيقال «أعدى من الشنفري» لهم فلسفة خاصة تقرن المادية مع المثالية؛ إذ يجمعون بين البر بالأقارب والشجاعة والكرم والصبر على الجوع، والسطو على القوافل ونهب أموالهم وترويع الناس، وطرق خيامهم ليلا ولا يأبهون بقتلهم.

ينتسب الشنفري إلى عشيرة الإواس بن الحجر من الأزد، ومعنى اسمه الغليظ الشفاه، وهذا يدل على أن دماء حبشية ورثها عن أمه التي كانت أمة حبشية، صحب تأبط شرا في مغامراته وإغاراته على القبائل حتى سطرت حوله الأساطير وحكايات خرافية في أنه قتل مائة رجلا، لكنه لقي في نهاية حياته المصير المتوقع، فقتل ومثل بجثته وقطعت أوصاله ورمي بها إلى السباع.

إذ إن هذه الحياة لا تسير على هوانا ولا تمضي سبهللا، ولكن تجري علي سنن قويمة وقواعد أخلاقية وقوانين ربانية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة ٧-٨].

له أشعار في الفخر والحماسة أشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم...فإني إلى قوم سواكم لأميل.

ويؤكد شوقي ضيف (ت٢٠٠٨) أنها منحولة عليه.

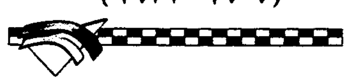
وقد عنى عدد من المستشرقين بنشر أعماله وترجمتها إلى الإنجليزية والألمانية منهم فايل، وطبع ديوانه في لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة.[١]

***

(١)- زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج١/ ١٤١ ، ضيف : العصر الجاهلي ، ص٣٧٢/ ٣٨٢

١٠- جوستاف فون جرونباوم Gustav Von Grunbaum

(١٩٠٩- ١٩٧٢)



أولا: نبذة عن حياته:

ولد جرونباوم في فيينا سنة (١٩٠٩) من أسرة يهودية، تلقى علومه في مدارس فيينا، ثم واصل دراسته الجامعية بنجاح ملحوظ، ومن جامعة فيينا التحق بجامعة برلين لاستكمال دراسته العليا، وبعد سنوات من الدراسة الجادة والقراءة المستمرة والبحث العلمي، نجح في الحصول على الدكتوراه في موضوع «مدى الواقع في الشعر العربي الأول» ونشره باللغة الألمانية.

وفي الوقت الذي كان يستعد فيه للعمل في جامعة بلاده بدأت نذر الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) إذ أعلنت ألمانيا في سنة (١٩٣٨) ضم النمسا إليها، وعاملتها كولاية تابعة لها.

ولما كان جرونباوم لا يشعر بأي شعور من الانتماء والحب لوطنه النمسا ولا يحمل في باطنه أي قدر من الولاء أو التقدير له، ومات ضميره الوطني الذي يستحثه بأن يذهب إلى الدفاع عنه في مواجهة المعتدين، فما كان منه إلا أن ترك وطنه محتلا جريحا مهزوما وولى الأدبار إلى الولايات المتحدة الأمريكية قائلا، لأهله وبني وطنه اذهبوا أنتم فقاتلوا إنا هاربون.

وفي أمريكا بذل جهودا كبيرة للحصول على الجنسية الأمريكية، ولم تغمض له عين ولم يهدأ له خاطر حتى حصل عليها، ليس هذا فحسب، بل عين أستاذا مساعدا للدراسات العربية والإسلامية في جامعة نيويورك سنة(١٩٣٨) ومكث فيها فترة قاربت الخمس سنوات، وفي سنة (١٩٤٣) نقل إلى جامعة شيكاغو، وظل يحاضر فيها مدة أربت على أربع عشر سنة، يكتب البحوث العلمية ويؤلف الكتب ويشارك في مؤتمرات

المستشرقين، إذ رأس مؤتمر علماء البحوث الإسلامية، الذي عقد في بلجيكا عام (١٩٥٣)إلى أن نقل سنة (١٩٥٧) إلى جامعة كاليفورنيا ليشغل منصب رئيس قسم الدراسات الشرقية، فرع لوس أنجلوس واستمر في هذا المنصب حتى وفاته سنة (١٩٧٢).[(١)]

ثانيا: جهوده العلمية:

يتميز جرنباوم بالإنتاج الغزير كعادة أغلب المستشرقين، وقد دارت بحوثه حول الحضارة العربية الإسلامية، وكتب فيها بحوثا قيمة لاسيما في مجال الأدب العربي، وهذه نظرة سريعة على إنتاجه العلمي:

١- مدي الواقع في الشعر العربي الأول، بالألمانية (١٩٣٧)، وهذا البحث هو رسالته للدكتوراه.

٢- الإسلام في العصر الوسيط، باريس (١٩٤٩) وأعيد طبعه (١٩٥٤) وترجم إلى الفرنسية (١٩٦١).

٣- كتب مجموعة من البحوث تدور حول تاريخ الأدب العربي وتطوره وتنوع موضوعاته وتأثيره في الأدب العالمي، ثم نشرها في مجلات المستشرقين وأهمها:

أ - النمو الأول للشعر الديني الإسلامي، (١٩٤٠)

ب - الأدب العربي في القرن العاشر الميلادي، نشر سنة (١٩٤١)

ج - الاستجابة للطبيعة في الشعر العربي، (١٩٤٣)

د- نمو الشعر العربي وتركيبه من القرن الخامس إلى العاشر الميلادي، نشر سنة (١٩٤٤)

هـ - الإسهام العربي في شعر التروبادور، (١٩٤٦)

و - وثيقة من القرن العاشر الميلادي في النظرية الأدبية والنقد العربي، (١٩٥١)

---

(١) موسوعة المستشرقين ص١٨٢، العقيقي: المستشرقون ج٣/ ١٧٠

وهي الفصول المتعلقة بالشعر في كتاب «إعجاز القرآن» للقاضي الباقلاني، مع التعليق عليها.

ز - الأساس الجمالي للأدب العربي، (١٩٥٢)

٤- الإسلام الحديث، لندن (١٩٦٢) ويتناول موقف المسلمين المعاصرين من ماضيهم ومن الحضارة الأوربية المعاصرة.

٥- ونستطيع أن نشير إلي نشاطاته العلمية الأخرى، ومنها حضوره الندوات العلمية وعادة ما يكون لها محور واحد تدور حوله البحوث والمناقشات، وقد شارك بالحضور والنقد والمناقشة ثم أشرف على طبعها في مجلدات متعددة.[1]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- يمثل فونباوم أنموذج اليهودي التائه في أوربا، الذي يبحث عن مصلحته، ونظرته للحياة نظرة برجماتية مادية بحتة لا تعرف العواطف الإنسانية ولا المشاركة الوجدانية وأهمية التعاطف مع الآخرين في وحدة الوجدان، فقد رأيناه يترك وطنه مع تعرضه لأول خطر دون أن يفكر لحظة واحدة في البقاء فيه والدفاع عنه، وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقا؛ اختفاء الحس الوطني، وضِعف الوازع الديني وانعدام الإحساس بالانتماء، واللهاث وراء المصلحة الذاتية أينما وجدت وحيثما لاحت والسعي لاقتناصها بكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

٢ - يعد كتابه «الإسلام في العصر الوسيط» من أهم أعماله، ترجمه إلى العربية الأستاذ عبد العزيز توفيق، وصدر بعنوان «حضارة الإسلام» في سلسلة الألف كتاب، القاهرة، ويناقش فيه المناحي العامة للاتجاه الحضاري للعالم الإسلامي في العصر الوسيط، وتحديد رأي المسلم عن نفسه وبيان عالمه المحدد، والمواقف الواقعية والعاطفية التي وجهت أفعاله، والأحوال النفسية التي مر بها، ويسعى إلى تفسير تركيب عالمه وفقا للعوامل

---

(١) موسوعة المستشرقين ص١٨٢، ، قام العقيقي بحصر مؤلفاته وبحوثه ومكان وزمان نشرها: بطريقة تدل على الاستقصاء والتقصي، المستشرقون ج٣/ ١٧١-١٧٢.

الموروثة و الأصيلة المنبثقة من حضارته فضلا عن المؤثرات الأجنبية، ومقارنة نظمه بالعالم المسيحي المعاصر له.[١]

ويشهد بأهمية العقل في الإسلام ودوره في بناء الحضارة الإسلامية،، ويشير إلى مبادئ الإسلام السهلة الميسرة التي تجتذب المسلم للعمل في الدنيا والكد فيها والفوز بالآخرة، وفي نفس الوقت تعمل على ترابط المجتمع ووحدته وتماسكه فضلا عن العامل الروحي، على الرغم من النزاعات السياسية التي أفضت إلى انقسامه وتمزقه، أضف إلى كل ذلك سماحة الإسلام وأفقه الواسع ورحابة صدره مع الديانات الأخرى، وقد ساهمت الحضارة الإسلامية في جميع مناشط الحياة والخبرة الإنسانية؛ وتجلى ذلك في ميدان الأطعمة والأشربة والعقاقير والأدوية والسلاح والدروع ونقوشها والفنون الصناعية والفلك والرياضيات، وقد أثرت تأثيرا مباشرا في تشكيل التاريخ الأوربي ومساعد الحضارة الأوربية في نهضتها وانطلاقها.[٢]

٣- يؤكد مؤرخو الأدب أن شعراء العرب أثروا في الشعر الإسباني، ونتج عن ذلك ما سمي بشعر «التروبادور»؛ وهم جماعة من شعراء العصور الوسطي في جنوب فرنسا أغلبهم من طبقة الأشراف، كانوا ينشدون الشعر في مختلف فنونه، الأناشيد والشعر الرعوي والمقطوعات الغنائية ويتكلمون في الحرب والسياسة، لكن الموضوع الذي استهواهم جميعا هو الحب الذي ساد معظم قصائدهم.[٣]

***

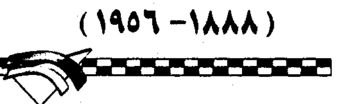
(١) موسوعة المستشرقين ص١٨٢

(٢) جرونيباوم : حضارة الإسلام ، سلسلة الألف كتاب ، القاهرة ،

(٣) الموسوعة العربية ج١/ ٥٠٨

١- جول أوبر من Julian Joel Obermann

(١٨٨٨- ١٩٥٦)



أولا : نبذة عن حياته :

ولد في مدينة وارسو، عاصمة بولندا عام (١٨٨٨)، انتقل إلي ألمانيا ومكث فيها فترة طويلة يقوم بتدريس اللغات السامية في جامعة همبورج امتدت من عام (١٩١٩-١٩٢٢).

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولي، وانتشار موجة اضطهاد اليهود وتعقبهم في كل مكان وإيقاع الأذى بهم، نظرا لمسلكهم التخريبي في اقتصاد الدول التي يعيشون فيها وتحكمهم في مفاصل الاقتصاد من خلال الاستحواذ علي ثرواته بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة، لم يجد «أوبر من» مناصا من الهجرة إلي مكان آمن، وملاذ هادئ، للاستقرار فيه واستئناف حياته الدراسية ونشاطه العلمي وبحوثه في علم الكلام؛ فولي وجهه صوب الولايات المتحدة عام (١٩٢٣) التي كانت تمثل المحضن الأساسي للحركة الصهيونية، والناصر القوي الذي يتبني وجهة نظرها، ويساعدها بالمال والسلاح والتأييد المعنوي، وفي مراكز صنع القرار، ومازالت أمريكا تقوم بهذا الدور الشائن حتى يوم الناس هذا.

استطاع أوبرمن بجهوده العلمية، ونشاطه الجم وسعيه الدءوب أن يعمل أستاذا للغات السامية في المعهد اليهودي للديانة في نيويورك، ومكث فيه مدة ثمان سنوات من (١٩٢٣ - ١٩٣١).

ونظرا لجهوده المستمرة في البحث والتنقيب، وكفاءته العلمية، انتدب للعمل أستاذا زائرا للغات السامية في جامعة ييل **yale**، ثم شاءت الأقدار أن يرسخ أقدامه فيها فيعين أستاذا عام (١٩٣٥) وبجانب جهوده في التدريس أشرف علي السلسلة اليهودية التي

كانت تصدرها جامعة ييل، واستمر يقوم بعمله إلي أن بلغ سن التقاعد، وتوفي عام (١٩٥٦).

ثانيا: جهوده العلمية:

علي الرغم من أن أوبرمن عاش ثمانية وستين عاما وهو عمر لا بأس به، إلا أن إنتاجه العلمي وجهده في التأليف لا يتناسب مع ذلك، إذ يعد ضئيلا، إذ قيس ببعض زملائه، وربما كان عنده من الدواعي ما صرفه عن التأليف الغزير وربما لم تساعده ملكاته العلمية في هذا المجال، ولعل مواهبه في التدريس كانت أكبر من قدرته علي التأليف، أو ألم به مرض من الأمراض، أو أسباب أخرى نجهلها.

وعلي كل حال سوف نرصد أهم أعماله في مجال الفكر العربي الإسلامي؛ وهي على النحو الآتي:

١- مشكلة العِلّية عند العرب (١٩١٦).

٢- النزعة الذاتية الفلسفية والدينية عند الغزالي (١٩٢١).[1]

٣- نشر أوبرمن مجموعة من البحوث المختصرة في المجلات التي كان يصدرها المستشرقون؛ أهمها، علم الكلام (المجلة النمسوية ١٩١٥).

- مهد الإسلام (مجلة الدراسات السامة ١٩٢٧).
- الحسن البصري (صحيفة الجمعية الأمريكية ١٩٣٥).
- القرآن (صحيفة الجمعية الأمريكية ١٩٤١)[2].

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- نحن بصدد حياة هادئة رتيبة، خالية من المغامرات والإثارة، إنسان عاش في الظل بعيدا عن التيارات السياسية والهزات الاجتماعية، تعلم اللغات السامية مثل كثير من نظرائه وأبناء ديانته، عاش فترة ليست قليلة في بولندا، ربما لم تلب طموحه في التعليم

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٥٦

(٢) العقيقي: المستشرقون ج٢/ ٢٨٤، وأشار إلى أن ولادته في (١٨٨٤)

أو تأمين حياته الاجتماعية، فولى وجهه شطر ألمانيا الواعدة والنابضة بالعلم والمجد والحضارة، ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه، ولا تعطينا الحياة بعض ما نتمنى فضلا أن تهبنا بكرمها كل ما نتمنى، ولما كان مسلك اليهود في أوربا مثيرا للشك، وأصابع الاتهام موجهة إليهم دوما، حتى تشاءم الناس من وجودهم بين ظهرانيهم واشتد العداء ضدهم في ألمانيا، فلم يجد أوبرمن بدا من أن يبحث عن مكان آمن، فرحل إلى أمريكا التي كانت تمثل الدولة الاستعمارية القادمة لوراثة التركة الاستعمارية من بريطانيا وفرنسا، فاستقر فيها وعاش حياة هادئة.

٢- معظم بحوث أوبرمن دارت حول قضايا علم الكلام، مثل مشكلة العلية، ومن المعلوم أن الإمام الغزالي كان له اجتهاد واسع في هذا المجال، إذ ذهب إلى أن الله «لم يخلق ما خلقه لعلة، ولا لغاية مقصودة به، وليس في المخلوقات أسباب مقتضيات لمسبباتها ولا فيه قوي ولا طبائع حتى النار ليست سببا للإحراق»[1]، مؤيدا موقف الأشاعرة مؤصلا هذه القضية بأدلته القوية وحججه التي لا نوافقه عليها، ورد عليه ابن تيمية وابن القيم ردودا مطولة مفندين أقواله، داحضين حججه بالدليل النقلي والعقلي.

من الجدير بالإشارة أن الفيلسوف الإنجليزي دافيد هيوم (١٧١١- ١٧٧٦)، قدم نقدا مطولا لفكرة العلية، وتوسع في ذلك توسعا عظيما وقد اشتهر بإنكاره لفكرة العلية وأنها باطلة، وربطها بالتوقع الذاتي ومسألة العادة، أي أن الإنسان تعود أن يرى حادثة تتبع أخرى فربط خياله بين الحادثتين برباط سماه السببية، على أنه من المعلوم أن منطلقاته تختلف عن منطلقات الإمام الغزالي.[2]

لذلك يلاحظ أن أوبر من ظل بعيدا عن القضايا الحساسة المتعلقة بالقرآن أو حياة الرسول، ومن ثم لم نر له هجوما عليهما، وظل يدور في إطار قضايا علم الكلام، وبحث عن شخصية محل تقدير من علماء المسلمين هي شخصية أبي سعيد الحسن بن يسار البصري(٢٠- ١١٠هـ) ولد في المدينة ونشأ بقرب بيت النبوة، في جوار سيدنا علي بن أبي

---

(١) الغزالي : تهافت الفلاسفة ص ٦٥

(٢) زكي نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦ ص ٣٣٧-٣٤٠.

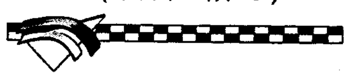
طالب، سكن البصرة، كان أبوه من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار، أصبح إمام أهل البصرة في الفقه، والشجاعة في إبداء الرأي أمام الأمراء والخلفاء والزهد في السلوك والحياة والفصاحة في القول، ولما سمعته السيدة عائشة قالت: من هذا الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

نالت شخصيته إعجاب معظم الفرق الإسلامية، إذ نحت منحا مثاليا في مسلكها،؛ فهو مؤمن زاهد عابد عامل متوجه بالكلية إلى الله، أقواله تحث الإنسان على هجر ملذات الدنيا والتحذير من عذاب النار، وتأسيس منهج الخوف من الله والتحذير من بطشه، ومع هذا لم يتردد في معارضة السياسة الأموية في منحاها الدنيوي المادي وهجومه علي تصرفات خلفائهم وإجحافهم في حق الرعية، والتنديد بهم ومهاجمة ولاتهم الظلمة وعلى رأسهم الحجاج بن يوسف الثقفي صاحب القلب الأسود والقول السفيه والسيف الباطش.

***

١٢ - دافيد سنتلانا David Santillana

(١٨٥٥- ١٩٣١)



أولا: نبذة عن حياته:

ولد دافيد عام (١٨٥٥) في تونس، من أسرة يهودية تنحدر من أصول أسبانية، غنية ذات وجاهة اجتماعية ومركز سياسي مرموق، إذ كان والده قنصلا لبريطانيا في تونس.

ساعدت عوامل البيئة الراقية والمحيط الاجتماعي والوراثة في نبوغه وذكائه، وظهور قدراته العقلية الفائقة في وقت مبكر، حتى أنه اختير أمينا للجنة الدولية لشؤون تونس المالية، وعمره ستة عشر عاما، على أنه استقال منها بعد ذلك. ذهب إلى لندن لدخول مسابقة خاصة بالسلك السياسي، لكن لم تواته الأحوال الاجتماعية، فعاد إلى رعاية أسرته في تونس.

حصل على ليسانس الحقوق من جامعة روما عام (١٨٨٠)، ويبدو أنه كان ممزقا بين جنسيته البريطانية التي يحملها، وإعجابه بإيطاليا التي درس في جامعتها، واستوعب ثقافتها فضلا عن أنه يتقن اللغة الإيطالية، لكنه حسم موقفه فحصل على الجنسية الإيطالية، استأنف حياته العملية فبعد حصوله علي الليسانس عام (١٨٨٣) عمل بالمحاماة فترة طويلة حتى عام (١٨٩٦)، ثم استدعته فرنسا إلى تونس التي كانت احتلتها عام (١٨٨١) ليكون عضوا في اللجنة المكلفة بتقنين القوانين التونسية حسب الشريعة الإسلامية حيث كان هو العضو الوحيد المتخصص فيها، وكان من نتائج هذا الجهد الكبير مجلد ضخم، بعنوان «القانون المدني والتجاري التونسي» أظهر فيه إحاطة شاملة ودراسة مستوعبه دقيقة للشريعة الإسلامية بعامة والفقه المالكي بخاصة، وكذلك دراسته للقانون الروماني وقوانين العصور الوسطي في الدول الأوربية.

انتهى سانتلانا من إعداد القانون التونسي، وعاد إلى روما عام (١٨٩٩) ليستأنف

نشاطه العلمي، ويتفرغ للبحث والقراءة، ومواصلة دراسته للشريعة الإسلامية، وظل على هذا الحال حتى طلبت منه الحكومة الإيطالية أن يساهم مع مجموعة من الأساتذة الإيطاليين في التدريس بالجامعة المصرية الوليدة، فاستجاب لذلك، والتحق بكلية الآداب لتدريس تاريخ الفلسفة اليونانية والإسلامية في العام الدراسي (١٩١٠-١٩١١).[١]

ولما كان سانتلانا يجيد اللغة العربية إجادة تامة، بسبب نشأته وتربيته في تونس، لذلك كان يلقي محاضراته باللغة العربية، وظلت هذه المحاضرات مخطوطة، وقد أودعت نسخة منها بمكتبة جامعة القاهرة، وعادة ما يشير إليها الدارسون للفلسفة الإسلامية، لم يستمر سانتلانا في عمله بالجامعة، إذ آثر العودة إلى روما لتدريس مقرر الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق واستمر في هذا العمل عشر سنوات (١٩١٣- ١٩٢٣).

و كما تعاون مع فرنسا في وضع قوانين تشريعية إسلامية لتونس، تكرر المشهد نفسه مع ايطاليا بعد احتلالها ليبيا عام (١٩١١) إذ اختارته وزارة المستعمرات الإيطالية لوضع قوانين تشريعية خاصة بليبيا، فقام بشرح «مختصر خليل بن إسحاق» في الفقه المالكي وترجمته إلى اللغة الإيطالية بالتعاون مع المستشرق الكبير اجنتسيو جويدي(١٨٤٤-١٩٣٥)[٢]الذي ترجم القسم الخاص بالعبادات، وقامت وزارة المستعمرات بطبع الكتاب، عاش بقية حياته في هدوء وعزلة يقرأ ويكتب ويخطط لبحوث يأمل أن يكتبها في التصوف الإسلامي وتاريخ الكنيسة، إلا أن ضعف بصره وتدهور صحته، وما تأتي به الأيام من مصائب غير متوقعة، حالت دون تحقيق المشاريع العلمية وهذه الآمال العريضة، وتوفي عام (١٩٣١) [٣].

ثانيا : جهوده العلمية :

على الرغم من الشهرة الواسعة التى حازها سانتلانا في الوطن العربي، إلا أنه لم يترك

---

(١) حسن نصر الدين : الأجانب في الجامعة المصرية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ص١٠٣

(٢) ترجمته في موسوعة المستشرقين ، ص ٢١٢، العقيقي ، المستشرقون ج١/ ٤٢٥

(٣) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص٣٤١، العقيقي ، المستشرقون ج١/ ٤٢٨

إنتاجا غزيرا كما يعتقد، وانحصرت مؤلفاته في مجال الفقه الإسلامي، وسوف نشير إشارة سريعة إلى هذه المؤلفات.

١- محاضرات في الفلسفة الإسلامية.

نوه بهذه المحاضرات كثير من الباحثين في مجال الفلسفة الإسلامية وأصبحت مرجعا لهم، ولها صدى مقبول عند هم، ومنهم الشيخ مصطفي عبد الرازق في كتابه الشهير «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية».

ونود أن نوضح أن ذلك لا يرجع لأهميتها العلمية أو أنها تفردت بإظهار آراء طريفة في تاريخ الفلسفة الإسلامية؛ إنما أهميتها ترجع إلى أنها تعد من أوائل الدراسات المبكرة لتأريخ فلسفتنا، وكشفت اللثام عن دور فلاسفة الإسلام في تاريخ الفلسفة، مثل دراسات؛ سليمان مونك الألماني ودي بور الهولندي وكارادفو الفرنسي، ومهدت الطريق للباحثين ووجهت نظرهم لارتياد هذا الميدان، وحثهم على المقارنة بينها وبين الفلسفة اليونانية و الغربية، فضلا عن الإشارة إلى الكثير من مصادر قيمة ومراجع هامة تخدم الفلسفة الإسلامية.[1]

٢- كتاب الفقه الإسلامي على مذهب مالك ومقارنته بالمذهب الشافعي.
ويتكون من جزأين؛ الأول طبع عام (١٩٢٦) وموضوعاته تدور حول؛ الجماعة الإسلامية، مصادر الشريعة، التشريع في المكان والزمان، الأشخاص، الأسرة، الحقوق العينية، (في ٣٧٥صفحة)

- الجزء الثاني عام(١٩٤٣) ويدور حول؛ النظرية العامة في الالتزامات، الالتزامات الجزئية، قانون المواريث، قانون التقاضي.(في ٨٠٨ صفحة)

هذا الكتاب هو الذي أعلى من شأن سانتلانا، وأذاع اسمه في الأوساط الفقهية، العربية الإسلامية، والأوربية.

---

(١) ذكر د.بدوي أن الشيخ مصطفي عبد الرازق أوعز إليه نشر هذه المحاضرات ، لكنه بعد الاطلاع عليها أدرك أنها غير صالحة للنشر على الحالة التي هي عليها ، (موسوعة المستشرقين ص٢٤٢)

وقد قرظه الباحثون العرب والمستشرقون؛ فعده د.بدوي: أعظم إنتاج لسانتلانا.وقال العقيقي: عد أكمل مرجع في الحقوق الإسلامية وأصدقها.[١]

٣- **ترجمة «مختصر خليل» في الفقه المالكي** بمشاركة اجنتسيو جويدي(١٨٤٤-١٩٣٥)[٢] الذي ترجم قسم العبادات، وقام سنتلانا بترجمة باقي الكتاب وشرحه شرحا وافيا.

٣- **زيد بن علي والزيدية**، (نشر في مجلة الدراسات الشرقية ١٩٢٠)

ثالثا نقد وتعقيب:

١- لعل أول ما يلفت النظر في حياة سانتلانا، أنها تمثل أحسن تمثيل وأصدقه صورة اليهودي التائه في أوربا، الباحث عن بلد يأوي إليه فلا يجد المكان الذي يطمئن إليه وينام فيه قرير العين، هادئ الخاطر راضيا عن نفسه؛ لقد عاش - مثله مثل أفراد جماعته - حياة مضطربة وقلقا نفسيا عميقا، يطارده «الشعور الفندقي»، صراعا نفسيا في اختيار الجنسية التي تحقق له قدر من الأمان؛ أصوله أسبانية، ولد في تونس من أب يحمل الجنسية الإنجليزية، ولكنه يشعر بالاضطهاد في المجتمع البريطاني، فيذهب إلى إيطاليا ويتجنس بجنسيتها، لعله يشعر أن هناك بلدا يؤويه ومجتمعا يحويه، يريد أن يتمتع بالإحساس بالانتماء إلى هذا البلد الذي يحمل جنسيته، والدفء الاجتماعي بين أهله، يريد أن يتحرر من «الشعور الفندقي»، إنه شعور عميق دفين غائر في الأعماق، متى يتحرر من الخوف ويعيش سعيدا قرير العين مثل باقي البشر على ظهر هذه الأرض؟

٢- لا يوجد في حياة سانتيلانا ما يشير إلى تعاطفه مع الحركة الصهيونية التي كانت في أوج انتصارها وقطعت شوطا طويلا في تحقيق حلمهم النكد على أرض فلسطين، ولا تشير الوثائق إلى هذه القضية، على الرغم من أنه قدم إلى مصر أثناء احتدام الأزمة، وتعامل مع عشرات من الأساتذة والطلاب، ولم يذكر أحد من الذين تعاملوا معه عن قرب أمثال مصطفي عبد الرازق وأحمد أمين وطه حسين من أنه على صلة بالحركة

(١) موسوعة المستشرقين ص ٣٤٣، العقيقي ج١/ ٤٢٨.

(٢) موسوعة المستشرقين ص ٢١٢.

الصهيونية، أو ساعد في أنشطتها، كذلك لم يذكر د.بدوي الذي التحق بكلية الآداب وعاصر جمهرة المستشرقين الذين كانوا يملأ ون أروقة كليته بخاصة والجامعة الجديدة بعامة، أي إشارة لميوله الصهيونية، هذا من جهة؛ ومن جهة أخري لا نرى في دراساته روح عدائية تجاه العرب والمسلمين، بل إنه يقف من الرسول ﷺ موقفا طيبا، إذ يقر برسالته ويرى أنه رسول الله إلى العرب و الشعوب الأخرى، قام بهدم المجتمع العربي القديم واقتلع جذور الشخصية الفردية، والتعصب للقبيلة، وشاد صرحا اجتماعيا جديدا قائما على رابطة الإخوة الإيمانية.(١)

نستنتج من ذلك أن رؤيته ربما تتفق مع رأي زميله ابراهام جيجر وغيره من المفكرين، أي على اليهود أن يستقروا في الأوطان التي يعيشون فيها ويعمقوا انتماءهم، ويكفوا عن المكائد التي يحيكونها لتلك الدول التي آوتهم وينخرطوا في نسيج مجتمعاتها انخراطا كاملا، حتى يتحقق لهم الأمان المفقود والسلام المنشود.

٣- رأينا أن إنتاج سانتلانا لا يتناسب مع الشهرة التي حازها، ونعتقد أن هذه الشهرة ترجع إلى تدريسه في الجامعة المصرية الوليدة، إذ أعد جيلا من الأساتذة الرواد الذين بدورهم شعروا بالعرفان والإخلاص تجاهه، فكانوا يذكرونه بالخير والاحترام لطلابهم ويعلون من اسمه لاسيما وقد مهد الأرض لبذر البذور، وأعدها للنبت الطيب إذ رفعوا من شأن محاضراته في الفلسفة واسمه في الفقه.(٢)

لقد ترك بصمة واضحة في تلاميذه، وخلف انطباعا طيبا، ووصل تأثيره العميق فيهم إلى حد أن مصطفي عبد الرازق وطه حسين حينما ذهبا إلى روما لحضور مؤتمر المستشرقين عرجا على قبره لزيارته(٣).

---

(١) تراث الإسلام ، إشراف توماس أرنولد ، ص٤٠٥، نقلا عن خليل ياسين : محمد عند علماء الغرب ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، ٢٠٠٧، ص ٢٥٦

(٢) مازلت أذكر ونحن في الدراسات العليا (١٩٧٧) أن أستاذنا إبراهيم مدكور(رحمه الله) كان يذكر سانتلانا وماسينيون وبروكلمان بالخير والعرفان و يشير إلى ذكرياته معهم ويشيد بجهودهم العلمية.

(٣) محمد الزيني : قراءة في فكر الشيخ مصطفي عبد الرازق ، ص ٢٥.وأيضا الأجانب في الجامعة المصرية ص١٣٦

٤- يعد كتابه عن الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك، من أهم كتبه وأشهرها، وقد بذل فيه جهودا كبيرة، شرح فيه مصادر الشريعة و قواعد الفقه الإسلامي، ودور الأئمة في تقعيد قواعده، وعقد مقارنة بين المذهب المالكي والمذهب الشافعي، وزوده بمراجع وافرة.

وفي هذا السياق يشيد بالشريعة الإسلامية ويقرر إن الحرية واحترام كرامة الإنسان هي القاعدة في الشريعة الإسلامية؛ أما الرق والاستعباد فهو الاستثناء لتلك القاعدة.

والنقد الذي نوجهه إليه يدور حول زعمه أن بعض قواعد الفقه الإسلامي مستمدة من القانون الروماني، يقول: «متى نفذ المرء في عمق الأمر، دهش حين يرى ما هناك من نظائر وثيقة بين كبار الفقهاء (المسلمين) في المدينة والكوفة وقرطبة وآرائنا نحن (الأوربيين).[(١)]

وهذا القول ليس جديدا فقد لاكه العديد من المستشرقين منهم؛ جولد تسيهر، إذ دأب في كتابه «العقيدة والشريعة» إلى ترديد هذه المفتريات الملفقة والمقولات الكاذبة، وكذلك ذهب هذا المذهب يوسف شاخت في كتابه «أصول الفقه المحمدي»،

قد نتفق معه أن هناك تشابه بين مبادئ الفقه الإسلامي الأخلاقية، وبعض مواد القانون الروماني وبخاصة إذا دخلنا في التفاصيل، من منطلق أن معطيات العقل السليم

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٣٤٢ ، من المحير أن نجيب العقيقي الباحث المدقق يؤيد هذه الفكرة في كتابه الموسوعي ، ولا يقف لحظة لكي يناقشها في ضوء المعطيات المتوفرة لديه إذ يقول : تأثر الفقه بالقانونين اليوناني والروماني ، وكان القديس يوحنا (٧٥٠م) الذي خلف أباه على بيت المال في خلافة هشام ، خير معين لنقل تلك الأفكار إلى العربية في مصنفاته .(الاستشراق ج١/ ٧٢) ويكفي أن نعرف أن المجتمع اليوناني كان مجتمعا طبقيا مقسم إلى ثلاث طبقات ؛ الفلاسفة (الحكام)والجند(الحراس) والعبيد (الشعب المنتج)، وضع أفلاطون أسطورة تقول أن الآلهة ، صنعت الطبقة الأولى من الذهب والثانية من الفضة والثالثة من البرونز ، والظلم كل الظلم أن تتطلع أي طبقة للانتقال إلى مكان الأخرى ، علاوة على إقرار المجتمع وتقبله مبدأ العبودية ، إذ من حق اليوناني استعباد الأجناس الأخرى ، ثم إن العدالة عند أفلاطون لا توجد إلا في عالم المثل ، وشتان بين هذه الفلسفة العنصرية ، وما حمله القرآن والشريعة الإسلامية من مبادئ الرحمة والمودة والتعاون بين البشر ، والنظرة الإنسانية لكل الشعوب .

لا تتعارض مع النقل الصحيح، فما قرره الدين وما أمر به ونهى عنه يتفق مع مصلحة الإنسان وفطرته النقية وهذا ما يؤيده نور العقل الفطري.

اسمع رأي هذا البدوي حينما سئل لم آمنت بالإسلام؟ قال بتلقائية واضحة، وإجابة صريحة: ما رأيت محمد يقول في أمر ما افعل، والعقل يقول لا تفعل، وما رأيت محمدا يقول في أمر ما لا تفعل، والعقل يقول افعل.

أما الذي لا نتفق معه فهو قوله إن بعض قواعد الفقه الإسلامي مستمدة من القانون الروماني، أولا لأن مصدر الفقه الإسلام مستمد من القرآن الذي هو من الله، والسنة المطهرة، والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، في حين أن الفقه الروماني نتاج لتأمل العقل وانعكاس لحضارة وثنية، تؤله القيصر ولا تلقي بالا إلى القيم الأخلاقية، والمبادئ الإنسانية، إذ كانت تلقي العبيد للكلاب المتوحشة كي يتسلى السادة بهذا اللون من المصارعة.

ثانيا: إن الفقه الإسلامي يعالج حركة الفرد والمجتمع والدولة، ويضع قواعد صارمة لحسن العلاقات بين هذه الأطراف، ويركز على جانب العبادات والمعاملات والجنايات والعلاقات الدولية، ويتدخل في أخص حياة المسلم فيضع لها ضوابط، في حين أن القانون الروماني يهتم بالجاني المادي دون البعد الروحي.

ثالثا: ينظر الدين الإسلامي إلى المسلمين نظرة إنسانية؛ فالكل سواء أمامه، والفقه الإسلامي يقر هذه القاعدة؛ أننا جميعا متساوون في الحقوق والواجبات أمام القانون وأمام الله، في حين أن المجتمع كان مجتمعا طبقيا عنصريا في أبشع صوره.

رابعا: إن بعض المستشرقين يحملون في باطنهم نظرة عنصرية إذ يعتقدون أنهم الرواد وباقي الحضارات تبع لهم، وأنهم أصحاب العقلية المبدعة وغيرهم يتسمون بالعقلية المفككة التي تجمع المتناقضات في مكان واحد، وأيضا عندهم مسلمات مستقرة في عقولهم، منها؛ أن القرآن عمل بشري اقتبس الرسول ﷺ مفرداته من الكتاب المقدس، ومن ثم يبنون على هذه المقدمات الفاسدة النتائج الفاسدة التي تقول: إن الحضارة العربية

الإسلامية استمدت معظم مقوماتها من الفكر اليوناني والقانون الروماني. [١]

٥- نود أن نشير إلى أن كتاب «نظم الشريعة الإسلامية»، منع من النشر في إيطاليا عام (١٩٣٨)التي شكلت مع ألمانيا، ما سمي بدول المحور، وكان الحزب النازي بزعامة أودلف هتلر قد بدأ حملته الواسعة باضطهاد اليهود، لأسباب وجيهة مسطرة في كتب التاريخ أهمها؛ تآمرهم مع الحلفاء ضد الدولة التي آوتهم، ومن ثم سري العداء إلى إيطاليا فمنع طبع كتب اليهود ومنهم سانتلانا، والذي يهمنا أن اليهود الذين عاشوا في دول الوطن العربي تمتعوا بكل امتيازات المواطنة ونالوا كافة حقوقهم التي كفلتها لهم الدساتير، وأبرز مثال على ذلك؛ أن الأندلس العربية هي البلد الأوربي الوحيد التي تمتع فيها اليهود بالحرية وتسامح الدولة معهم وحماية ممتلكاتهم ورعاية أحوالهم، فكثر وجودهم و تزايد عددهم. [٢] هذا أولا؛

وثانيا: تسامح المصريين والعرب مع اليهود كافة، إذ كانوا يتمتعون بحياة هادئة مستقرة وبحرية مطلقة في ممارسة شعائرهم الدينية، واحتلوا مناصب رفيعة في الوظائف العامة، ومنها وزارة المالية في مصر والعراق والمغرب وتونس، وكان لهم دور كبير في مجالات المال والاقتصاد وكان منهم كبار الرأسماليين والإقطاعيين [٣].

وثالثا: أن يهود مصر في هذه الفترة كان لهم نصيب الأسد في التجارة والصناعة ووسائل المواصلات والصحافة والسينما والمشاركة في الحكم، سواء في عهد الملك فؤاد

---

(١) عجيل جاسم النشمي: المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٤٠٤/ ١٩٨٤، يقول: الشريعة الإسلامية تختلف في نظرتها للقضايا وتأصيلها عن القانون الروماني والقوانين الأخرى فهي شريعة ربانية، وتلك وضعية بشرية وشتان بين الاثنين»ص٢٢٤

(٢) حضارة العرب ص٢٧٧، توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٤٦٤

(٣) أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية، ص ١٧٣/ ١٧٤.

وتقول المصادر: كان اليهود في مصر ممثلين في مختلف المؤسسات البرلمانية (مجلس الشعب والشيوخ) وتقلد يوسف قطاوي منصب وزير المالية ثم المواصلات، كما شارك قادة ومثقفون في أنشطة الوفد، وفي أحزاب سياسية ليبرالية .(تاريخ يهود النيل ص ٨٨)(المسيري: الموسوعة اليهودية ج٣/ ١٠٠

(١٩١٧-١٩٣٦) أو في عهد ابنه الملك فاروق (١٩٣٦ - ١٩٥٢).[١]

٦- مسلك سانتلانا في تعاونه مع الاستعمار الفرنسي ثم مع وزارة المستعمرات الإيطاليه، يخل بشرفه المهني، ويجرح جهوده العلمية، ويشوه صورته الوطنية، ليس هذا فحسب بل يشوه صورة الاستشراق المشرقة في كثير من جوانبها، ويصبح مثله مثل تاجر السلاح مستعد أن يبيع علمه لمن يدفع له أكثر، حتى لو باعه إلى الشيطان، دون النظر إلى كرامة هذا العلم ورسالة المفكر ودوره في نهضة الأمم وتقدمها و توثيق العلاقات بينها، ثم إن هذا العلم الذي قدمه للاستعمار يعمل على تمكين قبضته وزيادة سيطرته على الدول الضعيفة واستعباد شعوبها وتخريب اقتصادها واستنزاف ثرواتها ونهب مواردها.

٧- نود أن نشير أن كتاب «مختصر خليل» من أشهر كتب الفقه المالكي، وقد كتبه خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندي، أقام بالقاهرة وجاور بمكة،

دَرّس في المدرسة الشيخونية وهي أكبر مدرسة بمصر آنذاك، شارك في علوم العربية والحديث والفرائض والأصول والجدل توفي سنة(٧٦٧هـ)

من تصانيفه؛ المختصر في فروع الفقه المالكي، شرح ابن الحاجب في ست مجلدات، شرح على المدونة للإمام مالك.

أما المختصر، فيعد من أفضل نفائس الأعلاق، كثرت عليه الشروح والتعاليق حتى وضع عليه أكثر من مائة تعليق مابين شرح وحاشية منها:

- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لمحمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب (ت ٩٥٤هـ)

- التاج الإكليل لمختصر خليل؛ لمحمد بن يوسف العبدري الشهير بالمواق (ت٨٩٧هـ).

---

(١) هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، ص١٥١-١٦٢ ، وميزة الكتاب ، أنه مزود بجميع الوثائق التي تؤكد وجهة نظر المؤلف وتعضدها ، وهذه ميزة يتفرد بها الأستاذ هيكل دون باقي الكتاب .

- حاشية الخرشي؛ محمد بن عبد الله بن علي الخرشي (ت١١٠١هـ)

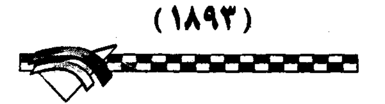
٧- من المواقف البارزة في حياته أنه في أثناء دراسته بكلية الحقوق، ونظرا لمواهبه العلمية وإتقانه للغة العربية، ودراسته المستوعبة للشريعة الإسلامية، ويحمل الجنسية البريطانية، انتدب ليكون مستشارا لهيئة الدفاع عن أحمد عرابي (١٨٤١-١٩١١) في أثناء محاكمته من طرف المحكمة التى شكلتها بريطانيا، بعد فشل ثورته واحتلالها لمصر.(١)

***

(١) ترجمة الزعيم أحمد عرابي في؛ مشاهير الشرق ج١/ ٣٢٦/ ٣٥٧، الأعلام ج١/ ١٦٨

١٣- دافيد هرتونج بانيث David Hartwing Baneth

(١٨٩٣)



أولا: نبذة عن حياته:

ولد في كروتوشن عام (١٨٩٣)، بدأ حياته العلمية بالانكباب على اللغات القديمة؛ فدرس الآرامية القديمة واللغة الكنعانية، ثم بدا له أن يدرس اللغة العربية ويتعمق فيها لميله الجارف إلي دراسة الحضارة العربية الإسلامية والتعرف على تراثها، ومن ناحية أخرى الكشف عن مساهمات اليهود وأهمية إنتاجهم العلمي وما قدموه من الناحية الفكرية والاجتماعية لهذه الحضارة.

وبعد أن استكمل مقومات البحث العلمي، وحصل على أغلب الأدوات المعرفية، ودرس سمات المنهج العلمي، نزل إلى ميدان الدراسات الواقعية، فعين مساعدا في «أكاديمية علم اليهودية» واستمر يدرس اللغة العربية والفلسفة الإسلامية أربع سنوات (١٩٢٠-١٩٢٤)(١).

في عام (١٩٤٦) كان المشروع الصهيوني في فلسطين يسير بخطوات ناجحة وواثقة، ويحقق على الأرض أكبر أكذوبة في التاريخ؛ أما العرب ففي غفلتهم يعمهون، وفي تفاهاتهم يتجادلون، وفي خلافاتهم يتقاتلون، وفي نزواتهم غارقون؛ في هذا الزمان العصيب رُفّعَ «بانت» إلى درجة أستاذ للغة العربية وآدابها وعين في الجامعة العبرية بالقدس التي أصبحت حقيقة ساطعة كشمس يوليو.(٢)

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٧٤ ،المستشرقون ج٢/ ٤٧٩

(٢) لأنني من الجيل الذي شاهد سقوط بغداد (٢٠٠٣) وعاش الأحداث بتفاصيلها ، ورأيت خيانات العرب وتآمرهم على العراق وأيديهم الممدودة إلى العدو الأمريكي والإسرائيلي بالمال والسلاح ، وخنوع الشعوب العربية واستخذائها ، ووقوفها كالبلهاء يشاهدون دمار العراق دون أن يحركوا ساكنا ، أقول بالقياس على ما رأيته أدركت إدراكا واضحا وعرفت كيف ضاعت فلسطين وكيف نجح المشروع الصهيوني ، في وسط عربي يعج بالملايين كغثاء السيل ، وكم مهمل بلا معنى ولا هوية ولا قيمة لهم ولا دور في التاريخ ، لقد خرجنا من التاريخ .راجع في ذلك ، محمد حسنين هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، ج١ .

ثانيا: جهوده العلمية:

١- يعد دافيد بانيث من المقلين في إنتاجهم العلمي، فمؤلفاته عبارة عن بعض البحوث القصيرة، ربما لمواهبه المحدودة وقدراته العقلية الضعيفة وثقافته الضئيلة، أو لانغماسه في النشاط السياسي والأحلام التوراتية، وعموما لا تفصح المراجع عن شخصيته كثيرا.

٢- نظرا لتخصص دافيد بانيث في الدراسات العربية والفلسفة الإسلامية هذا أولا وكونه يهوديا متعصبا ثانيا يلاحظ أن جهوده انصبت حول المقارنة بين المفكرين المسلمين وعلماء اليهود الذين لهم مشاركات في الفلسفة الإسلامية، ونستطيع أن نشير إلى أهم أعماله المتصلة بالحضارة العربية الإسلامية: -

١- مقالات عن الفيلسوف اليهودي ابن كمونة، صاحب كتاب «تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث».(١٩٢٥)

٢- العلاقة بين آراء الغزالي ويهودا هاليفي، بحث نشر عام (١٩٢٩).

٣- موقف الغزالي ويحيى بن باقودا لنص في كتاب مؤلف مسيحي، بحث نشر عام (١٩٣٨)

٤- نشر رسائل موسى ابن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤)، ودراسات حول لغته وفلسفته.

٥- ترجمة وثائق «جنيزة» مصر القديمة، إلى اللغة العبرية الحديثة.[١]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- نحن أمام يهودي متعصب للمشروع الصهيوني، ومدافع عنه ومشارك في صنع أكبر مأساة في القرن العشرين، ونحن لا نلومه بقدر ما نلوم أنفسنا، أين كنا أيام أن نشط هؤلاء الأفاقين لزرع دولتهم الغاصبة في قلب عروبتنا، وخططوا لمئات السنين وصبروا مئات أخرى وكافحوا لتحقيق أحلامهم، وأفكارهم التوراتية، وأساطيرهم الدينية،

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٧٤، العقيقي: المستشرقون ص ٤٧٩

وتنادوا من الشتات وأصقاع الأرض؛ فتجمعوا وتوحدوا بعد فرقة لقتلنا، وبنوا جيشا عدوانيا ومؤسسات تعليمية قوية، وأسسوا مزارع منتجة، لطردنا من بلادنا؛ ونحن سادرون في غينا وسفهنا، أذلاء لشهواتنا متفرقون في كلمتنا منقسمون على أنفسنا متآمرون على بعضنا، ليس هذا فحسب بل إن بعض حكامنا تعاونوا معهم ومدوا إليه يد العون والمساعدة السخية.(١)

إن الناظر في تاريخ هذا الرجل يشعر تجاهه بالإعجاب لأنه أخلص لقضيته وبذل من جهده ويومه وغده مما ساعد على تحويل الحلم حقيقة، و تحقيق ما يصبو إليه هو وطائفته المعتدية قتلة الأنبياء والرسل، غلاظ الأكباد وأحفاد القردة والخنازير.

٢- على الرغم من ضآلة بحوثه فقد دارت حول شخصيات يهودية لهم دور ديني وفلسفي في تاريخ اليهود، ودلالة ذلك أن يبعث ذكريات بني قومه ويعلنها على الملأ، ويصنع تاريخا لهم محاولا أن يجمله وينفي عنه السلبيات التي ألصقت به بسبب سوء طوية قومه، وغدرهم بأصحاب الأمم الذين عاشوا على أرضهم ونعموا بخيراتهم، ومع هذا طعنوهم في ظهرهم مع أول فرصة سنحت لهم بالغدر.

٣- نبذة عن حياة ابن كمونة (١٢١٥-١٢٨٥)

اسمه سعد بن منصور بن الحسن الإسرائيلي، عاش في بغداد وعمل فترة مع المغول الغزاة، ثم استقر في «الحلة» بالعراق، من أهم مؤلفاته؛ «الجديد في الحكمة»، التذكرة في الكيمياء، شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا (٤٢٨هـ) شرح التلويحات العرشية لشهاب الدين السهروردي المقتول (٥٨٧هـ) و «تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث» وفي

---

(١) ذكر حسنين هيكل ، أن الملك فؤاد فتح أبواب مصر لآلاف من المهاجرين الإسرائيليين القادمين من روسيا وأقاموا معسكرات تدريب لهم بالقرب من الإسكندرية : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، ج١/ ١٥٧ .وأكد أحد الباحثين اليهود هذه المعلومات فقال : زودت الحكومة المصرية اليهود الذين لا جنسية لهم «بدون»بجوازات سفر للتوجه إلى إيطاليا حيث كان رجال الموساد ينتظروهم لترحيلهم إلى إسرائيل ، بعلم السلطات المصرية .ويضيف كان في شارع مراد بحي مصر الجديدة ، ناد علق عليه لافتة كتب عليها بخط واضح: النادي الصهيوني ، وفي حراسة الشرطة المصرية .جاك حاسون : تاريخ يهود النيل ، ص ١٦/ ١٧

هذا الكتاب يتناول النقاش الدائر بين أتباع الديانات الثلاث؛ اليهودية والمسيحية والإسلام، ويتعرض لقضية النبوة، ثم يناقشها من خلال موقف الديانات الثلاث بطريقة موضوعية، وتسيطر علي منهجه النزعة العقلية في مقابل الاتجاه الصوفي، ويغلب على مضمون الكتاب الاقتباسات من ابن سينا والغزالي وموسي بن ميمون.(١)

٣- يهودا بن ليفي الطليطلي (أو يهودا هاليفي)(٤٧٧/ ٥٣٧ هـ - ١٠٨٥ / ١١٤٣م)

شاعر وطبيب ومفكر عربي، نظم أشعاره في قوالب وموضوعات عربية في جمال نادر، ولد في طليطلة درس العربية وآدابها والعبرية وعلوم الدين اليهودي والطب في الأندلس التي استطاع العرب أن ينهضوا بها ماديا وثقافيا، وأن يضعوها على رأس الممالك الأوربية، ليس هذا فحسب بل أثروا في أخلاق المواطنين وارتقوا بها، وهم الذين علموا الشعوب النصرانية التسامح الذي هو أثمن إبداعات الإنسان.(٢)

في ظل هذا المناخ المفعم بالحرية الفكرية والتسامح الديني؛ استظل اللاوي بظل ثقافة الحضارة العربية الإسلامية وتشرب مضمونها وتأثر بمفكريها وشعرائها، هاجر إلى مصر وتنقل بين مدنها؛ فزار الإسكندرية، ثم اشتغل بالتجارة في دمياط، ثم ألقى عصا التسيار في القاهرة التي أعجب بجمالها فكتب قصائد في وصفها، ثم فجأة توجه إلى الشام وهناك توفي سنة (١١٤٣).

يعد اللاوي من أشهر شعراء العبرية في عصره، كتب الكثير من القصائد في الحب ووصف الطبيعة والمديح علاوة على قصائده ذات الطابع الديني، إذ تحدث عن أرض فلسطين المقدسة التي سكن فيها الرب، وقد تأثر بالشعر العربي، وأدخل كثيرا من مضامينه وأشكاله على الشعر العبري.

إذ من البديهيات أن الشعر العربي كان له أكبر الأثر في الشعر العبري وتطوره، وتأثرت الأشكال والموضوعات فيه بالنماذج العربية، كما كان للبيان العربي أثره فقد اقتبس اليهود الاستعارات والتشبيهات والبديع من العرب، وأبرز ما تبدو هذه الآثار في

(١) المسيري : الموسوعة اليهودية ج٣/ ٢٦٣
(٢) حضارة العرب ص٢٧٦

الشعر الديني؛ وخير من يمثل ذلك ابن جبيرول، وموسى بن عزرا(شاعر يهودي من أهل غرناطة وكان شقيا في حياته مستغرقا في هواه (٥٣٢/ ١١٣٨) ويهودا اللاوي (هاليفي).[١] هذا جانب من فكره. أما الجانب الآخر، فيتجلى في موقفه الرافض للفلسفة ومنهجها العقلي؛ سجل ذلك في كتابه «الخزري» (استند يهودا في تأليفه إلى حادث تاريخي وهو اعتناق ملك الخزر لليهودية)ويعرف باسم الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل «بالدليل النقلي، كتبه بعربية بليغة ودون بحروف عبرية، ليرد على علماء اليهود الذين عولوا على العقل كمعيار في تفسير النص الديني، ويأخذ الكتاب شكل مناظرة بين حاخام يهودي وقس مسيحي وشيخ مسلم وفيلسوف أرسطي، وبالطبع ينتصر للحاخام لأنه يعبر عن الفكر الديني اليهودي، ومن الواضح أنه تأثر بفكر الإمام الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة».[٢] ومن هنا تأتي مقارنة دافيد بين فكر الغزالي المسلم الناقد لمنهج الفلسفة والمتكلمين، واللاوي اليهودي.

على أننا لا نتجاوز الصواب أذا قلنا: «إن الفلسفة اليهودية منذ ابن ميمون، لم تكن غير انعكاس لفلسفة العرب»[٣].

٤- من المعلوم أن موسي بن ميمون يحتل مكانة كبيرة في الدراسات الإسلامية وله مزيد اختصاص عند المستشرقين اليهود والباحثين العرب، إذ تأثر بفلسفة أرسطو وشروح ابن رشد له، وحاول أن يوفق بينها والعهد القديم، علاوة على إعجابه بفلسفة الفارابي وابن سينا وكتابه دلالة الحائرين شاهدُ على ذلك.

٥- من الجدير بالإشارة أن وثائق جنيزة (geniza) مصر القديمة قد بلغت سبعة آلاف، اكتشفها سلامون شيشتر عام (١٨٦٤)، مودعة في جنيزة كنيس عزرا في الفسطاط، بني عام ٨٨٢م، وضعت بعناية وإجلال؛ لأنها تحتوي على عبارات مقدسة، وهي كنوز أدبية حقيقية ووثائق تاريخية ذات قيمة ثمينة، تتعلق بتاريخ اليهود في مصر وفي

(١) عبد العزيز الدوري : أوراق في التاريخ والحضارة ، الأعمال الكاملة ، ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٩، ج١٠/ ١١٤ ، المسيري : الموسوعة اليهودية ج٣/ ٢٦٢ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، النهضة المصرية نالقاهرة ، ١٩٥٥، ص٤٩٩

(٢)المسيري : الموسوعة ج٣/ ٢٦٢

(٣) رينان : ابن رشد والرشدية ص ١٦٤

فلسطين والهند وفي مجمل حوض البحر الأبيض المتوسط من الفتح العربي حتى عصر المماليك وهي فترة لم تكن معروفة، تعود أقدم وثيقة إلى القرن الثامن وأحدثها إلى الخامس عشر. وتوضح الوثائق أن اليهود قاموا بدور رئيسي في تجارة العبور، وقد تيسر لهم ذلك بفضل استثنائهم من الشروط التي فرضها الفاطميون على التجار.[١] كذلك توضح حقيقة الصراع الدائر بين اليهود والمسيحيين في مصر من أجل الفوز بوظائف الدولة في جهازها المالي، والمؤامرات التي يدبرها كل فريق في الخفاء تجاه الآخر[٢].

ومن الواضح اعتزاز اليهود بهذه الوثائق، وعدها كنزا تاريخيا يظهر دورهم في الأنشطة التجارية في كافة الدول التي حلوا بها.

أما وجهة النظر العربية فترى أن جل الوثائق هي؛ مراسلات التجار اليهود، من القرن (٥هـ/ ١١م) وتدل على سعة شبكة التجار اليهود في مصر والمغرب، وتعطي صورة رخاء واسع لهم في البلاد الإسلامية، ويلاحظ أن اليهود كانوا ظاهرين في تجارة الهند في التوابل والبخور والنباتات الطبية وتجارة النسيج والمعادن والصياغة، وكان للتجار وكلاء في المدن الهامة يمثلونهم أمام السلطان ويرعون مصالحهم وإليهم يرسل التجار بضائعهم ويخبرونهم عن الأسعار وقد يتولون شراء البضائع لهم[٣].

وقد زعم بانيث أن وثائق جنيزة التي كتبها بعض اليهود تمثل «اللغة الحية»؛ وهو زعم باطل وإدعاء سخيف، إذ إن هذه الوثائق كتبت بلغة ركيكة مليئة بالأخطاء اللغوية والنحوية الفاحشة وهذا أمر نلاحظه في كتابة بعض المستعربين أو الغرباء عن اللغة العربية أمثال بعض اليهود وكتاب النصارى في العصور الوسطي، فيما ذهب إليه عبد الرحمن بدوي.[٤]

---

(١) تاريخ يهود النيل ص٥٥/ ٥٦/ ٦٠

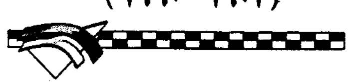
(٢)- قاسم عبده قاسم : اليهود في مصر ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٣/ ١٤

(٣) عبد العزيز الدوري : أوراق في التاريخ والحضارة ، ج١٠/ ١١٢

(٤) موسوعة المستشرقين ص ٧٤

١٤- روبرت برنشفج Robert brunshvig

(١٩٠١- ١٩٩٠)



أولا: نبذة عن حياته:

١- هذا مستشرق يهودي فرنسي ينحدر من أسرة أصلها ألماني، عانت في معسكرات الاعتقال التي أقامها الحزب النازي لليهود الألمان قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، حيث مات أبوه وأمه وأخته داخل المعسكرات، ثم نفي أفرادها إلى فرنسا، وفي مدينة بوردو ولد روبرت عام (١٩٠١).

لاشك أن هذه المأساة ترسبت آثارها في وجدان الطفل الصغير، وعاشت في اللاشعور تحرك بوصلة حياته وتحدد له مساراته وتبعده عن المناطق الخطرة وترشده إلى الطريق الآمن، لذلك انطوى على نفسه يقرأ ويدرس العلوم والآداب في هدوء وصمت بعيدا عن ضجيج الحياة ومآسيها التي لا تتوقف، انتهى من دراسته الثانوية بنجاح ملحوظ، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا في باريس، وجد في نفسه ميلا لدراسة الأدب الفرنسي بما يحمله من رومانسية كبيرة وتعاطف وجداني ورقة في التعبير، تخفف من وقع الآلام على النفس المرهقة، وترسم صورة مبهجة للحياة فيهرب الإنسان من الواقع المرهق ويعيش في الوهم الممتع، وحينما التحق بكلية الآداب (السربون) تخصص في دراسة الأدب الفرنسي، وحصل على الليسانس، ثم واصل دراسته فحصل على الأجريجاسيون في الآداب، ثم حصل على وظيفة مدرس للغة الفرنسية في مدرسة (ليسه كارنو) بتونس التي احتلتها فرنسا عام (١٨٨١)، ويبدو أنه شعر بقدر من الاستقرار والأمان، ومحبة من المحيط الاجتماعي، فطابت له الحياة في تونس، وكانت خيرا وبركة عليه، وأدت إلى تحول في حياته؛ إذ عكف على دراسة اللغة العربية وعزم على إتقانها، ووسع من دائرة معارفه فبدأ يدرس تاريخ تونس البلد الذي وجد فيه الراحة النفسية والأمان الداخلي، وفي الوقت نفسه تزوج وأنجب ولدين ومكث فيها ثماني سنوات (١٩٢٢- ١٩٣٠).

٢- في عام (١٩٣٠) سافر إلى فرنسا، ولا تفصح المصادر عن الأسباب الخفية للسفر المفاجئ؛ أ يتعلق «بالشعور الفندقي» الكامن في أعماق اليهود، يقلق حياتهم ويقض مضاجعهم فلا يثقون في أحد ولا يقر لهم قرار في مكان وأصبح هذا القلق مثل الصفات الوراثية التي يرثها الإنسان عن الأبوين؟أم أن هناك أغراضاً علمية أو أهدافاً مادية ذهب يبحث عنها؟

يبدو أن روبرت ذهب يبحث عن عمل لتحسين أوضاعه، فاشتغل بالتدريس في ليسيه مونتاني في باريس [1]، ولكن بعد مرور عام واحد، نبا به المضجع وعصف به القلق الداخلي، وفشل في الوصول إلى مبتغاه، فسافر إلى الجزائر، التي كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي منذ عام (١٨٣٠) وعين مدرسا في جامعتها، وعاد إلى بحوثه العلمية وبدأ يتوسع في الدراسات الإسلامية وتحول من التاريخ التونسي إلى الفقه الإسلامي.

طالت إقامته في الجزائر (١٩٣٢-١٩٤٦) وبعقلية اليهود التجارية التي تبحث عن الربح في كل مكان، استثمر مكوثه في القراءة والاطلاع على تاريخ بلاد المغرب العربي والدول الانفصالية التي قامت فيها، ونجح في إعداد رسالتيه اللتين حصل بهما على الدكتوراه، الكبرى بعنوان؛ «بلاد البربر الشرقية في أثناء حكم الدولة الحفصية منذ بدايتها حتى نهاية القرن الخامس عشر». والصغرى: رحلتان لم يسبق نشرهما في إفريقيا الشمالية في القرن الخامس عشر.

٣- كان ثمرة ذلك الكفاح المتواصل والجهاد العلمي أن عين أستاذا لتاريخ الحضارة الإسلامية في كلية الآداب بجامعة بوردو، أي في المدينة التي ولد فيها حيث الذكريات الحزينة والماضي المؤلم، ومكث فيها زمنا لا بأس به استمر ثماني سنوات (١٩٤٨- ١٩٥٥) ثم ولى وجهه إلى مدينة الجن والنور إذ استلم عمله الجديد في جامعة باريس، أستاذا للدراسات الإسلامية حتى عام (١٩٦٥) حينما استدعي إلى مقر الجامعة لتهنئته بتعيينه مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية التابع إلى الجامعة والذي يتمتع بقدر من الاستقلال، لكنه لم يستمر في هذا المنصب طويلا، لأن حقائق الحياة تداهمنا ونحن في غفلة منها،

---

(١) ميشيل دي مونتاني، فيلسوف فرنسي من أنصار مدرسة الشك، مات سنة (١٥٢٩).

فتحطم اللحظات الجميلة ولا تتركنا نهنأ بها، وتسرق منا السعادة التي اعتقدنا أننا جديرون بالاستمتاع بها في نهاية رحلة العمر الشاقة ،نعم، لم يمكث في عمله الجديد إلا ثلاث سنوات أحيل بعدها إلى المعاش عام (١٩٦٨).

٤- أوشكت الرحلة على النهاية، تقاعد الدكتور روبرت، وبدأ يبحث عن مكان هادئ يتمتع فيه بأيامه الأخيرة فأقام في مدينة بيارتز على المحيط الأطلسي قرب حدود أسبانيا، كأنه يريد أن يهرب بعيدا من شبح مخيف يطارده، مثل الشبح الذي كان يطارد مسار عيسى الدباغ في السمان الخريف!!

على أنه لم ينس باريس فكان يزورها لماما، وظل مقيما فيها حتى وفاة زوجته الثانية عام (١٩٨١) ثم راوده شيطان القلق الخفي، ونغص عليه حياته، وهيمنت عليه الحيرة الكامنة في الأعماق، أين المستقر وأين يجد الراحة الداخلية التي تدمر هاجس الخوف، وتنمحي كراهية المكوث في مكان واحد؟

هل شيطان ديكارت الماكر يطارد حياته؟ لم يجد بدا من العودة إلى منزله في باريس، ليمضي أيامه الأخيرة في هدوء، حتى صحبه ملك الموت إلى الرحلة الأبدية عام (١٩٩٠)، حيث يمضي ملايين البشر في سكون مطبق وصمت رهيب وهم ثقيل.[١]

ثانيا: جهوده العلمية:

الحقيقة إذا استبعدنا رسالته للدكتوراه، نعتقد أننا بصدد إنتاج هزيل لا يتناسب مع هذا العمر المديد الذي وصل إلى تسعين عاما، وبخاصة أن معظمه مقالات نشرت في المجلات العلمية، ويدور هذا المجهود العلمي حول ثلاثة محاور رئيسة، نلقي نظرة سريعة عليها.

أ- المحور الأول: التاريخ:

ويمثل ذلك رسالته للدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إذ تتكلم عن دور البربر في الدولة الحفصية في تونس وتتكون من جزأين، الأول طبع (١٩٤٠) في (٥٢٠ صفحة)

(١) موسوعة المستشرقين ص٩٢/ ٩٣، العقيقي : المستشرقون ج١/ ٣١٥

والثاني طبع (١٩٤٧) في (٥٠٤صفحة).

ب- المحور الثاني: الفقه الإسلامي:

جل الدراسات في هذا المحور، مقالات نشرت في المجلات العلمية، تتناول قضايا فقهية عامة يعالجها بموضوعية واقتدار، وإن لم يطرح فيها آراء جديدة أو وجهات نظر طريفة، وأهمها:

١- تأملات اجتماعية في الفقه الإسلامي القديم؛ يبحث في انعكاس الأحوال الاجتماعية، واختلاف العادات والتقاليد في الحجاز والعراق، على مذهب الإمام مالك (١٧٩هـ) والإمام أبي حنيفة (١٥٠هـ).

٢- تنويعات في موضوع الشك في الفقه؛ يبحث في أهمية مصطلحات الشك والظن واليقين، في تقرير القواعد الفقهية وتأصيلها.

٣- البرهان في الفقه الإسلامي؛ يدرس تأكيد القرآن على أهمية البرهان كدليل يقيني قاطع في مجادلاته مع أهل الكتاب، وكذلك يوضح أهمية البرهان في مجال الفقه، إذ يستند القاضي إليه في الحكم، وهي الأدلة القاطعة مثل؛ الشهادة والحَلِف والاعتراف.

٤- أصول الفقه عند الشيعة الإمامية في المرحلة الأقدم (في القرنين الرابع والخامس الهجريين) هذه الدراسة تركز على دور الشيعة الإمامية في تأصيل قواعد الفقه الإسلامي في مرحلة زمنية مبكرة، نهض بها علماء الشيعة الكبار أمثال؛ محمد بن يعقوب الكليني (ت٩٤٠م) ومحمد بن علي القمّي المشهور باسم الشيخ الصدوق ابن بابويه (ت٣٨١هـ / ٩٩١م)، والشيخ المفيد بن المعلم (ت١٠٢٢م) والشيخ علي بن الحسين الموسوي، المعروف باسم السيد المرتضي عَلم الهدي (ت١٠٤٤م)

٥- المنطق والفقه في الإسلام القديم؛ يدور هذا البحث حول طرق الاحتجاج عند الفقهاء ويحصرها في: القرآن والسنة - التمييز بين العام والخاص.

- التمثيل أي القياس الفقهي، قياس الفرع على الأصل، ولما كان القياس الفقهي شغل عقول الفقهاء في تأصيل قواعد الفقه، فقد قارن بين مواقف المعتزلة والمالكية والظاهرية والحنفية والشافعية.

٦- قيمة القياس بالتمثيل في الأمور الدينية والفقهية عند الغزالي؛ من الواضح أن هذا البحث يشرح رأي الإمام الغزالي في القياس التمثيلي.كما وضحه في كتابه «المستصفى».

٧- مجادلات في العصور الوسطى حول مذهب الإمام مالك؛ في مرحلة تأسيس المذاهب الفقهية نشبت حوارات واسعة بين الفقهاء ومجادلات طويلة تستند إلى الحجة والبرهان، ويظهر البحث طبيعة المجادلات التي دارت حول المذهب المالكي الذي اعتمد على العرف السائد عند أهل المدينة، ثم يتحدث عن انتصار القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩) للمذهب المالكي في كتابه المدارك.

ج- المحور الثالث: علم الكلام:

تتلخصْ جهوده في مجموعة مقالات تبحث في قضايا علم الكلام طرحتها الفرق الإسلامية للنقاش والجدل دون أن يكون له بحث مفصّل أو كتاب قائم بذاته، وسوف نلقي نظرة سريعة على أهم هذه البحوث الكلامية.

١- المعتزلة والأشاعرة في بغداد؛ يستعرض الأصول الخمسة عند المعتزلة؛ العدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشرح الفرق بين مدرسة البصرة التي تنسب إلى واصل بن عطاء (ت١٣١ هـ) وعمرو بن عبيد (ت١٤٣هـ) و مدرسة بغداد التي أسسها بشر بن المعتمر (ت٢١٠هـ) وكذلك الفرق بينهما والمذهب الأشعري الذي أسسه أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ).

ومن المعلوم أن هناك تباين في الرؤى بين المدرستين، سواء في المنهج أو في موقفهما من قضايا علم الكلام مثل؛ الصفات الإلهية وخلق القرآن ورؤية الله، وحرية الإرادة والحسن والقبح وقضية الإمامة.

٢- المعتزلة والقول بالأصلح؛ يشرح أبعاد الخلاف الذي وقع بين المعتزلة في قولهم بالأصلح وهي قضية تفرعت عن قولهم بالعدل، يقول أبو الهذيل (ت٢٣٥هـ) كل أفعال الله كمال، وهو يفعل لعباده ما هو أصلح لهم، إن ما يقدر عليه من اللطف له غاية وكل وجميع، وما فعله الله سبحانه أصلح منه ومع هذا فهو قادر على فعل مثله وعلى ما هو دونه لكنه لا يفعله. وكذلك رأي تلميذه النظام (٢٢١هـ) ويعول الباحث على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار (٤١٥هـ) الذي عرض القضية عرضا مسهبا ثم يستعرض رأي المعارضين لهم، ويحلل ردود عبد القاهر البغدادي الأشعري (ت ٤٢٨هـ) عليهم وكذلك ابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ).[١]

أما وجه الطرافة في البحث فهو المقارنة التي أقامها بين رؤية المعتزلة للطف الإلهي (وهو عون إلهي يمنحه الله لمن يشاء من عباده؛ فإذا صادف معصية سمي عصمة، وإذا صادف طاعة سمي توفيقا)، ومذهب مالبرانش (١٧١٥) في «المناسبة» الذي يقرر أن الله هو العلة الحقيقية، والسبب الفعال يخلق كل شيء، و كل ما في الوجود يتحقق بإرادته وما نسميه العلة الطبيعية ما هو إلا فرصة (مناسبة)التي يحدث الله فيها فعله، وكذلك مذهب ليبنتز (١٧١٦) التفاؤلي في قوله: بقانون التناسق الأزلي والاتساق المقدر إذ إن كل شيء في الوجود يسير وفق نظام يتسق مع غيره وهذا العالم هو أفضل عالم ممكن.[٢]

على أن المؤلف لا يقول بتأثر الفلاسفة الغربيين بالمذهب الاعتزالي، على الرغم من وجود أفكار مشتركة بين الاثنين.

٣- تحليل المعتزلة لمعنى الآلام:

هذا مبحث طريف تناولته الفرق الإسلامية بالدراسة والتحليل، وقد اعتمد المؤلف في دراسته على «المغني» للقاضي عبد الجبار الذي يري: أن الآلام شأنها شأن غيرها من

(١) مقالات الإسلاميين، تح، محي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، ١٩٦٩، ج٢/ ٢٤٩، محمد الزيني : أبو الهذيل العلاف وآراؤه الفلسفية والكلامية، ط صنعاء، ١٩٩٦، ص ١٠٢/ ١٠٣

(٢) ليبنتز : المونادولوجيا، ترجمة، عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٥٩، بدوي : الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ج٢/ ٤٣٢

الأفعال تقبح مرة وتحسن مرة أخرى؛ فإذا حسنت فلوجه متى وقع ذلك الوجه حسن، من أي فاعل كان، فلا يتوقف الأمر على الفاعل بل على الفعل نفسه، كذلك إذا قبحت، قبحت لذاتها لا لفاعلها «فكل عاقل يعلم بكمال عقله قبح كثير من الآلام كالظلم الصريح وغيره، وحسن كثير منها كذم المستحق للذم، وما يجري مجراه.»[١]، ويقارن المؤلف بين رأي المعتزلة في الألم، ورأي أفلاطون (٣٤٩ق.م) في اللذة كما عرضها في محاورة «تيماوس» «وفيلابوس» وكذلك رؤية محمد بن زكريا الرازي، كما بسطها في «رسائل فلسفية».

٤- احتجاج أحد المتكلمين المسلمين في القرن الرابع الهجري ضد اليهود؛ قام علماء الكلام بجهود عظيمة في بسط العقيدة الإسلامية وشرحها والدفاع عنها في مواجهة هجمة اليهود واللاهوت المسيحي على مبادئ الإسلام، ولعل أشهرها مجادلات القاضي أبي الطيب الباقلاني (ت٤٠٣ هـ)في كتابه «التمهيد»، وهو من أكابر الأشاعرة الذين قووا أركان المذهب، وقد دخل في حوار طويل مع أليهود ورد عليهم ردودا مطولة، مستندا إلى الدليل العقلي والدليل النقلي ومقارنة الأديان، وقد عقد المؤلف مقارنة صريحة بين هجوم الباقلاني على اليهود، ودفاع علماء اليهود عن ديانتهم، واستشهد بدفاع سعديا الفيومي في كتابه «الأمانات» والقرقساني في كتابه «الأنوار».

٥- مذهب المهدي ابن تومرت؛ عرض المؤلف مذهب ابن تومرت مهدي الموحدين.[٢]

٦- التأييد والمعارضة للمنطق اليوناني عند المتكلمين الفقهاء في الإسلام: ابن حزم والغزالي وابن تيمية؛ ذكرنا سابقا أن جولد تسيهر، تناول موقف أهل السنة من المنطق الأرسطي ومن الواضح أن هذا البحث يكمل ما بدأه أستاذه ويستعين بمزيد من المراجع ربما لم تكن موجودة آنذاك، ويشرح الصراع الذي دار بين المؤيدين لدخول المنطق العالم الإسلامي واستعماله في الجدل الفقهي وقضايا علم الكلام ومنهم الغزالي، والمعارضين له ومنهم ابن تيمية.

وقد جمع المؤلف هذه البحوث ونشرها في جزأين باسم «دراسات في الإسلاميات»[١]

---

(١) بدوي : مذاهب الإسلاميين ، ص ٤٦٩

(٢) قمنا بالتعريف بابن تومرت ، عند الحديث عن المستشرق اليهودي جولد تسيهر .

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- أول ما يسترعي انتباهنا من حياة برنشفج، هذا التنقل من مكان إلى مكان آخر وعدم الشعور بالطمأنينة والسكينة في دولة ما، شعور بالخوف يطارده، شبح يترصد خطواته، فلا يدعه يستقر في تونس إلا ويسافر إلى فرنسا ثم لا يشعر بالأمان فيرحل إلى الجزائر وهكذا إن «الشعور الفندقي» يسيطر عليه، والخوف الباطني يغشي حياته، ويسافر معه في كل مكان، وحينما أحيل علي المعاش، بحث عن مكان قصي يستقر فيه، فأقام في مدينة تقع على الحدود الأسبانية، كأنه يهرب من شيء يقتفي خطواته، لعلها ذكريات الطفولة الحزينة، والتجارب المؤلمة التي عاشها، ترسبت في وجدانه، لعلها «جرثومة» الخوف التي ورثها من طائفته منذ الزمن السحيق، حينما طاردهم فرعون مصر وقتل أبناءهم واستحيا نساءهم ولعلها هذه الأسباب كلها.

نستنتج مما سبق أنه يشترك مع بني طائفته في سمة «الخوف الباطني» وهاجس الخوف المتغلغل إلى أعمق الأعماق في نفوسهم.

٢- لم نر منه أي نقد لاحتلال فرنسا لدولتين عربيتين، أو استنكار لفعلها المشين ومسلكها المهين، وسياستها الوحشية، فكنا ننتظر منه كونه دارسا لتاريخ الأمم يعرف قيمة الاستقلال والحرية، وعانى من منطق الاستبداد، والنظرة الاستعلائية وخطورة الاستعمار على الدول، أن يعترض على تصرفات دولته الاستعمارية، ويطالب بحرية الدول المستضعفة مثل برتراند راسل (١٨٧٢-١٩٧٠) وجان بول سارتر(١٩٠٥-١٩٨٠) وبخاصة أنه عاصر حركة التحرر العربي ولمس بطولة الشعب التونسي والجزائري في كفاحهما في مواجهة وحشية الاستعمار الفرنسي.

٣- الناظر في مؤلفاته لا يجد له مؤلفا ذا قيمة علمية، أو بحثا يكشف عن جانب خفي من الحضارة العربية الإسلامية، إذا استثنينا رسالته للدكتوراه «عن بلاد البربر الشرقية».وإذا توقفنا أمامها بالنقد والتقييم، فأول ما يصدمنا هذا العنوان المنفر، الذي

(١) موسوعة المستشرقين ص ٩٣/ ٩٦ .قام العقيقي بحصر كافة الدراسات التي قام بها برنشفج ومكان وزمان نشرها : المستشرقون ج١/ ٣١٥/ ٣١٦

يشتم منه روح عنصرية بغيضة، إذ يركز علي جنس من الأجناس كان يعيش في أمان تحت جناحي الدولة العربية الإسلامية التي ضمت أجناسا متعددة، وكان شعارها أن جنسيتهم الإسلام، لا تُفرِق بين أسود وأحمر وبين عربي وغير عربي صهرتهم مبادئ الإسلام في بوتقة الإيمان، التي تدعو إلى المساواة بين البشر والأخوة الإنسانية، والتمايز يرجع إلى قيمة ما يقدمه الإنسان لدينه ووطنه وأمته، يقول جوستاف لوبون: نختم قولنا في نظم العرب الاجتماعية، بأن نذكر بأنهم يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقا لنظمهم السياسية، وأن مبدأ المساواة الذي أعلن في أوربا قولا لا فعلا، راسخ في طبائع الشرق رسوخا تاما.[١] هذه نقطة، والأخرى إشارته إلى تونس بكلمة «البلاد الشرقية» تعبير سخيف لا مبرر له وقد دأب عليه بعض المستشرقين الفرنسيين مثل «الفرد بل» (١٩٤٥)[٢] إبرازا لعنصرية بربرية في مقابل العروبة. على حد تعبير د.بدوي[٣]

ومن الإنصاف أن نقول: إن الكتاب يعد إضافة إلى المكتبة العربية فهو عمل علمي جيد بذل فيه صاحبه جهدا فائقا وتحليلا جيدا، زوده بمراجع عزيزة المنال جمعها من مظانها المختلفة، علاوة على أنه من الدراسات المبكرة والرائدة في تاريخ تونس.

يقول د.بدوي: «يمثل أوج إنتاجه في هذه المرحلة الأولى من حياته العلمية التي توفر فيها على دراسة تاريخ تونس»[٤]

٤- الدارس لجملة البحوث التي كتبها برنشفج يستطيع أن يستشف الآتي:

أ- لم نلحظ أي نوع من أنواع التعاطف مع الحركة الصهيونية وهي في قمة نشاطها، أو تأييد لدولة إسرائيل المغتصبة التي قامت على أشلاء الشعب الفلسطيني المقهور، و على جماجمنا، ورسخت جذورها في أرضنا العربية، بل وانتصرت على العرب في معارك متعددة، نحزن لمجرد ذكرها فضلا عن تذكرها فهذه الهزائم مثل السيف الذي يخترق

---

(١) حضارة العرب ص ٣٩١.

(٢) مستشرق فرنسي عاش في الجزائر ، اشتهر بكتابه تاريخ الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا ، نقله د.بدوي إلى العربية .ترجمته في : العقيقي: المستشرقون ج١/ ٢٤٦.

(٣) موسوعة المستشرقين ص ٩٣.

(٤) موسوعة المستشرقين ص٩٣.

قلوبنا.

ب- تخلو كتاباته من التعصب الديني ضد العرب، أو أي روح عدائية للإسلام، و في المقارنات التي عقدها بين علماء الإسلام واليهود، لا يسارع بالإدعاء أن المسلمين تأثروا بالفكر اليهودي، كما هو دأب كثير من طائفته أمثال جيجر وجولدتسيهر وكذلك يوسف شاخت، الذين يجردون الفكر العربي الإسلامي من أي أصالة أو ابتكار.وعموما لا ينهج نهجهم ولا يقتفي أثرهم المذموم.

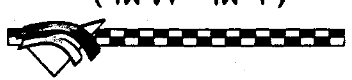
يعدد د.بدوي مميزات أعماله وهو بصدد تقييمها، فيقول: إن إنتاجه العلمي «يكشف عن علم وفير متعدد الجوانب، محكم المنهج، ولئن لم نعثر كثيرا على آراء فذة تبهر العقل، هذه نقطة، الثانية؛ البعد عن تلمس الأشباه والنظائر في الأديان الأخرى وخاصة اليهودية، كما أسرف في ذلك جولد تسيهر، الثالثة؛ لا تكشف أبحاثه عن أي تعصب ديني أو تحيز لتراث قومه، بل على العكس تماما نجد فيه موضوعية صريحة وإنصافا كبيرا للحضارة العربية الإسلامية.

موجز القول، كان برنشفج «واسع الأفق جم الأدب، نبيل الشخصية في سلوكه مع الآخرين»[1].

* * *

(١)- موسوعة المستشرقين ص٩٦

١٥- سلمونُ منك Salomon Munk
(١٨٠٣-١٨٦٧)



أولا: نبذة عن حياته:

١- أحد المستشرقين اليهود الذين كافحوا في الحياة وناضلوا الفقر والعوز والحرمان من أجل انتصار الذات و إثبات الوجود، ولد في(جروس جلوجاو) إحدى مقاطعات سيليزيا البروسية في ألمانيا(سنة ١٨٠٣)، في أسرة فقيرة كان عائلها يعمل عاملا في معبد يهودي يتقاضى الحد الأدنى الذي يسد رمقه، و قد اجتمع عليه مع مصيبة الفقر، كارثة اليتم، إذ فقد أباه في طفولته المبكرة فقامت أمه على تربيته، وأرسلته إلى مدرسة يهودية لتعليمه مبادئ اللغة العبرية والديانة اليهودية، وفي الوقت نفسه ذهب لبعض الربانيين ليتلقى دروساً في التلمود، ولما شب عوده توجه إلى برلين سنة (١٨٢٠) ليواصل الدراسة في ظروف قاسية، وأجواء من الفقر أثرت على نفسيته، لدرجة أنه سافر إلي برلين ماشيا، وبدأ يعتمد على نفسه في توفير مصروفات المدرسة ومطالب حياته، لذلك بدأ يعطي بعض الدروس الخصوصية، أتم سلمون دراسته الثانوية التي تعلم فيها اليونانية واللاتينية، ووجد نفسه يطرق باب جامعة برلين للاستزادة من العلم، وكان من حسن حظه أن يستمع إلى محاضرات هيجل (١٨٣٠) فيلسوف التاريخ، ثم توجه إلى جامعة بون يستمع إلى دروس بعض الأساتذة المرموقين الذين كانوا يؤمون هذه الجامعة العتيقة أمثال؛ فرايتاج الذي تعلم على يديه اللغة العربية، واشليجل وعزم أن يتخصص في اللغات الشرقية.

أنهى دراسته بتفوق وحمل شهادته بين يديه، وراح يطرق أبواب الجامعة لعله يجد موئلا يستقر فيه، لكن أوصدت أمامه أبواب الجامعات الألمانية، بسبب العداء المزمن لليهود، والكراهية المتأصلة في أعماق الشعب الألماني ولم يجد مفرا إلا أن يبحث عن عمل خارج القطر.

٢- توجه إلى فرنسا سنة (١٨٢٨) وفي باريس لم يظفر بعمل يدر عليه دخلا ثابتا، فعاد إلى ممارسة عمله القديم، أي إعطاء دروس خصوصية لمن يرغب، و كتابة بعض المقالات ونشرها في المجلات والصحف.

وفي الوقت نفسه بدأ يتوسع في الدراسة ويقوي أركان تكوينه العلمي، ويستزيد من المعارف، فذهب يتلقي دروس العربية علي يد شيخ المستشرقين سلفستر دي ساسي (١٧٥٨- ١٨٣٨)، واللغة السنسكريتية عند شيزي، والفارسية عند كاترمير (١٧٨٢- ١٨٥٧) محقق «مقدمة ابن خلدون»، و بعد صبر طويل وانتظار الفرج ابتسمت له الحياة، وفتحت له أبوابها الرحبة، إذ وجد وظيفة في المكتبة الوطنية بباريس (سنة ١٨٣٨)، حيث قام بدراسة كثير من المخطوطات وفهرستها وتصنيفها، و قد مر بنا براعة كثير من المستشرقين اليهود في هذا المجال.

وبعد سنتين ذهب في رحلة إلى مصر مع الوزير «أدولف كريميه» الذي كان مهتما بمساعدة يهود مصر، من خلال فتح مدارس لهم؛ وفي أثناء هذه الزيارة استطاع شراء مجموعة من المخطوطات للمكتبة الوطنية، وعاد بها إلي باريس، ليرأس المجمع المركزي لليهود، ويواصل العمل في المكتبة الوطنية.

٣- في سنة (١٨٤٧) حلت به مصيبة كبرى على المستوى الشخصي، إذ أصيب بالعمى، على أن هذه العاهة لم تفت في عضده، ولم تضعف من عزيمته، أو تثني إرادته عن المضي في طريق التأليف والإنتاج العلمي، ومع مرور الوقت استوعب الأمر وتكيف مع وضعيته المؤلمة الجديدة، واستأجر أحد المعاونين له يقرأ ويكتب ومن ثم استأنف مساره العلمي، وأنتج وهو ضرير أكثر مما أنتجه وهو مبصر، وشهدت هذه المرحلة التي استمرت عشرين عاما، أفضل مؤلفاته الرئيسية.وإذا كانت الأقدار أخذت منه نور البصر فقد منحته إشراقات البصيرة، وأعطته ما كان يحلم به، وتم تعيينه أستاذا لكرسي اللغة العبرية في الكوليج دي فرانس، هذه المدرسة العتيدة، ويقال أنه كان موضوعيا في شروحه للغة، والنصوص اليهودية التي تناولها بالتفسير، محايدا في عرضها، فيعرج إلى سرد كل الآراء ويترك للمستمع أن يختار ما يروق له.

وظل يعمل وينتج ويؤلف وينشر حتى أتاه داعي الرحيل واليقين، فرحل مع الراحلين إلى المصير المحتوم، وشرب كأس الموت مع الشاربين، بعد أن عاش أربعة وستين عاما في نضال مع الحياة؛ وتوفى عام (١٨٦٧) [1]

ثانيا: جهوده العلمية:

تنوع إنتاج مونك العلمي مابين المقالة وتأليف الكتب، وإن كان الغالب عليه المقالات، ويعد مجهوده الفكري قليلا، على الرغم من اعترافنا بأهمية البصر للإنسان لاسيما الباحثين في دروب العلم والذين يحملون مصباح ديوجانس الكلبي في بحثهم عن العلم والمعرفة، على أننا نرى في حياتنا من أصيب بهذه الآفة من العلماء ولم يقعده ذلك عن التأليف والإنتاج الغزير مثل؛ أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) قديما، وطه حسين (ت ١٩٧٣) حديثا، وكتاب «نكت الهميان في نُكت العميان» لصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ) دليل ساطع على ذلك.

ونستطيع أن نشير إلى أهم أعماله العلمية المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية.

أ- المقالات:

١- التأثير الكلداني والفارسي في الشعر العبري (١٨٣٤)، التأثير العربي في الشعر العبري (١٨٣٥).

٢- في الشعر العربي وخصوصا مقامات الحريري.(١٨٣٥)

٣- مقالة عن «كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز» لرفاعة الطهطاوي.

٣- العلاقات بين فلسفة اليونان وفلسفة الهنود.(١٨٣٨)

٤- «فرقة الدروز» تأليف سيلفستر دي ساسي.(١٨٣٨)

٥- كتب دراسة حول كتاب، البيروني «ما للهند من مقبولة في العقل أو مرذولة»

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٥٧١/ ٥٧٢ ، العقيقي : المستشرقون ج١/ ١٨١ ، يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ص ٢١١

ونشر في المجلة الآسيوية، وكان قد عثر على المخطوطة في أثناء زيارته إلى مصر.

٦- دراسة عن أبي الوليد مروان بن جناح القرطبي، وعن بعض النحويين اليهود في العالم الإسلامي من القرن الرابع الهجري.

٧- كتب في «دائرة المعارف الجديدة» مواد؛ الكندي، الفارابي، ابن سينا، الغزالي، ابن راشد.

ب- الكتب:

١- أمشاج من الفلسفة اليهودية والإسلامية.(باريس ١٨٥٩): يحتوي الكتاب على مجموعة المواد العلمية التي نشرها في دائرة المعارف الجديدة وتوسع فيها، وزاد عليها بعض مقالات عن بعض المفكرين اليهود مثل؛ ابن جبرول(سلمون بن يهوذا ابن جِبرُول (١٠٢١-١٠٧٠)، وليون العبري.

٢- فلسطين: يحتوي الكتاب على دراسة واسعة عن فلسطين من الناحية الجغرافية أي المكان وأهميته والتضاريس والمناخ، والناحية التاريخية؛ وفيه يستعرض الأقوام الذين حلوا فيها من الكلدانيين والعبرانيين مع يوشع بن نون، ثم دخول الرومان وتدميرهم هيكل سليمان في القدس عام (٧٢م)، والفتح الإسلامي ودخول فلسطين ضمن الحضارة الإسلامية مع تتبع تاريخها إلى الأربعينات من القرن التاسع عشر.

٣- تحقيق وترجمة كتاب «دلالة الحائرين» لموسي بن ميمون.(باريس ١٨٥٦)[1].

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- تعد بحوث مونك ودراساته متواضعة للغاية؛ سواء ما يتعلق بتاريخ اليهود وعلمائهم، أو ما يتصل بالحضارة العربية الإسلامية، علي الرغم من إتقانه لغات متعددة منها؛ اللغة الفرنسية والألمانية والعربية والعبرية والفارسية. ولا نستطيع أن نعلل ذلك بفقد البصر، فكما ذكرنا أن هناك العديد من العلماء مروا بهذه التجربة المرة، ومع ذلك

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٥٧٢/ ٥٧٣، العقيقي: المستشرقون ج١/ ١٨١/ ١٨٢، يوهان فوك: : تاريخ حركة الاستشراق ص ٢١٢

تركوا لنا إنتاجا مميزا من ناحية الكم والكيف.هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أغلب هذه الدراسات عبارة عن مقالات متفرقة لا يجمعها وحدة عضوية تضمها بين دفتيها فهي دراسات حول بعض فلاسفة الإسلام واليهود، وعلماء النحو من اليهود ومدى تأثرهم بالنحو العربي، وتعقيبات على ما كتبه بعض المستشرقين الكبار.

وللإنصاف فإن أهمية ما كتبه مُنك حول الفلسفة الإسلامية ترجع إلى أنها، تعد من أوائل البحوث، فهي رائدة في هذا المجال، ومهدت الطريق للباحثين أن يمضوا في دراساتهم، وقد أشار المستشرق «دي بور» في مقدمة كتابه «تاريخ الفلسفة في الإسلام» إلى جهد مونك، أما د، أبو ريدة مترجم الكتاب فقال: «قل أن يوجد في أبحاث المستشرقين كتب تشمل تاريخ الفلسفة الإسلامية في جملتها، فلا نعرف من ذلك إلا كتبا قليلة، أحدها بالفرنسية وهو كتاب الأستاذ «مونك»[1].

ومن المعلوم أن شهرة مونك عند دارسي الفلسفة الإسلامية ترجع إلى كتابه هذا.

٢- تظهر في سيرة مونك، قوة إرادته وعزيمته الصلبة وطموحه الواسع، وثباته أمام العقبات التي واجهها من الفقر المدقع والبؤس القاهر، والهجرة القسرية من وطنه ألمانيا، وحصوله على وظيفة بعد لأي وصراع طويل وجهاد متواصل.

ولا غرو أن نشيد بهذه الصفات الإنسانية، والشمائل المحبوبة والخصال الحميدة التي تحلى بها هذا الرجل، فهي قواسم مشتركة بين الناس جميعا، وقيم أخلاقية يسعى البشر إلى التحلي بها لأنها لا تنتمي لجنس ولا وطن.

٣- نبذة عن رفاعة رافع الطهطاوي(١٨٠١-١٨٧٣) من زعماء النهضة الحديث ومشاهير الشرق، ولد بطهطا في صعيد مصر، تعلم في الكتاب وحفظ القرآن، تلقي بعض العلوم الدينية على يد أخواله ثم التحق بالأزهر وهناك ظهر نبوغه على أقرأنه وتفوقه، فعين مدرسا بالأزهر، اختاره الشيخ حسن العطار (١٧٧٦-١٨٣٥) إماما للبعثة المصرية التي سافرت إلي فرنسا وهناك تعلم اللغة الفرنسية واستوعب الأفكار التحررية، نفاه

(١) دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة ، أبو ريدة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١، من المقدمة .

عباس الأول (٤٨-١٨٥٤)إلى السودان أربع سنوات، ثم عاد إلى مصر وعين ناظرا للمدرسة الحربية، وقلم الترجمة، وحينما أغلقت المدرسة أسند إليه الإشراف على ديوان المدارس، و صحيفة روضة المدارس التي أسسها علي مبارك(١٨٢٣-١٨٩٣) بذل جهودا طيبة إلى أن نجح في إنشاء مدرسة للترجمة، وهي التي عرفت باسم مدرسة الألسن، ألف وترجم كثيراً من الكتب أهمها؛ مباهج الألباب المصرية في المناهج العصرية، المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، ونهاية الإيجاز في السيرة النبوية، وعرب القانون المدني الفرنسي.[١]

٤- كتاب تخليص الإبريز في أخبار باريز:

يدور الكتاب حول مشاهداته في باريس وانطباعاته التي ترسبت في نفسه، وتكلم فيه عما رآه من تقدم المجتمع هناك مع وصف شامل للنظم السياسية الشورية والاجتماعية وأخلاق الناس وعلومهم وعاداتهم وتقاليدهم ومقارنة ذلك بما يجري في مصر وبخاصة فيما يتعلق بنظم التعليم وحقوق المرأة ومكانتها وحريتها وتعليمها وعملها.

٥- فرقة الدروز:

فرقة إسماعيلية باطنية اتسمت بالسرية والكتمان، ظهروا في العهد الفاطمي في مصر، وتنتسب إلى إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين ويقال إنها تؤلّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، ثم انتقل المذهب إلى الشام وفلسطين. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار الفلاسفة؛ فهم ينكرون الأنبياء والرسل والجنة والنار، ويعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة وأن ديانتهم نسخت كافة الديانات ويؤمنون بالتناسخ، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.[٢]

---

(١) مشاهير الشرق ج٢/ ٢٨- ٣٤، الأعلام ج٣/ ٢٩ ، حقق د.محمد عمارة أعماله ونشرها بعنوان ، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي . الأنصاري : تحولات في الفكر والسياسة ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٠ ،

(٢) بدوي : مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٩٦ ص ٧٨٩، الموسوعة الميسرة ، الرياض ١٩٨٩، ص ٢٢١

٦- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة:

يعد من الكتب النادرة التي تقدم معلومات ضافية وغزيرة عن حضارة الهند ومن المصادر الأساسية في التعرف على علومها ومذاهبها ودياناتها وعاداتها.

قسم البيروني كتابه إلى ثمانين بابا في ذكر أحوال الهند، إذ يتحدث عن معتقدات الهنود وشرائعهم وخرافاتهم وأوهامهم، وأحكام الفروض والعبادات عندهم؛ كالمواريث والصيام والقرابين والكفاءات والحج والصدقات والأعياد والعقوبات والمباح من المطاعم والمشارب والمحظور منها، ونظام الطبقات في مجتمعهم ومكانة كل طبقة في السلم الاجتماعي، ويعرفنا بتراثهم في النحو والشعر وسائر العلوم، ويصف لنا بلادهم ومعالمهم الجغرافية، ومدى تقدم علم الفلك عندهم مع مقارنته بالأمم الأخرى، ويبسط نظرية التناسخ بسطا مطولا وكيف انتقلت إلى بعض صوفية الإسلام، ويعرج إلى الحديث عن معنى التصوف ونشأته في الإسلام، ويفصل الحديث عن مكانة المرأة في المجتمع وعاداتهم في الزواج والمواريث.(١)

خلاصة القول يعطي الكتاب صورة للقارئ واضحة ومتكاملة عن كل ما يتعلق بتاريخ الهند وجغرافيتها وعلومها وآدابها وفلسفتها وفنونها وعاداتها وتقاليدها.

٧- دراسته عن فلسطين لها دلالة لا تخطئها العين، وإشارة صريحة تنبئ بأننا، أمام شخصية لم تنس لحظة واحدة أنها يهودية، وتحمل في عقلها أساطير التاريخ وتعيش في ذاكرتها تعاليم ترسبت منذ الطفولة وأحلام تتعلق بالوطن الذي عاش فيه اليهود سنوات معدودة، وكتابه فيه تفصيل طويل عن تاريخ العبرانيين وقيادة يوشع لهم ودخوله بهم أريحا، والمصائب التي حلت بهم من نبوخذ نصر وهدمه الهيكل وهو التدمير الأول، وأخذهم أسري إلى بابل، وكذلك الرومان وهدم الامبراطور تيطس للهيكل، فهو يستدر عطف القارئ ويشرح له بالدليل التاريخي أحقية اليهود في فلسطين، وكيف أنهم عاشوا في ربوعها أزمانا.

---

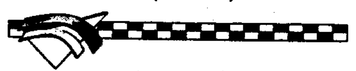
(١) أحمد الساداتي : تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة ، ص ١٣٠/ ١٣٩ (ضمن مجلة تراث الإنسانية، المجلد الثالث ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة).

نستنتج من ذلك أن مونك يعد من اليهود المتعصبين، والدعاة الأوائل لأسطورة العودة، وربما يعد من أنصار «حركة سبتاي زيفي (١٦٢٦-١٦٧٦) الذي ادعى أنه مسيح اليهود المخلص فأخذ اليهود في ظله يستعدون للعودة إلى فلسطين ولكن مخلصهم مات، ولذلك يروج منك لفكرة العودة ويساعد في بعثها ونشرها.

***

١٦- شالوم جويتاين Shlomo Goitein

(١٩٠٠)



أولا: نبذة عن حياته:

هذا مستشرق مغامر، يمثل بني طائفته أفضل تمثيل ينحدر من أسرة أصلها من المجر، ولد عام (١٩٠٠) بمقاطعة بورجكونشتات بنواحي بافاريا.نبا به المقام في بلده، وسيطرت عليه أحلام الثراء وخلبت لبه أساطير قومه، وأصغى لدعوات الحركة الصهيونية الباطلة التي نشطت في شراء الأراضي الفلسطينية وإقامة المستوطنات عليها، فخلف وطنه وراءه بكل ما فيه من ذكريات محببة إلى النفس ووشائج القرابات وصلة الأرحام، وهاجر إلى فلسطين عام (١٩٢٣) حينما كانت الهجرة اليهودية تأتي في الخفاء بمساعدة الانتداب البريطاني، وتحت مسميات مختلفة، ووجد الوظيفة جاهزة تنتظره فاشتغل بالتدريس في مدرسة حيفا، ومكث فيها أربع سنوات، وكأنه يقتفي خطوات زميله مارتن بلسنر، فبعد هذه الخبرة التربوية في مجال التعليم، والتعرف على أبناء اليهود القادمون من فجاج الأرض وأصقاع الدنيا لاحتلال أرضنا، وفي عام (١٩٢٨) نقل إلى معهد الدراسات الشرقية التابع للجامعة العبرية في القدس، واستمر في عمله يقوم بالتدريس ويعد البحوث العلمية المتصلة بالحضارة العربية الإسلامية، وركز جهوده على تاريخ اليمن ومصر إلى أن ظفر بدرجة الأستاذية عام (١٩٤٧).

في عام(١٩٤٨) شهد الوطن العربي أكبر مأساة في تاريخه المعاصر أو بالأحرى أكبر نكبة بإعلان قيام الكيان الإسرائيلي، وهب العرب يدافعون عن أرضهم بعد فوات الأوان، إذ جاء هذا الإعلان بعد أن استكمل هذا الكيان مقومات الدولة العدوانية، وبنى جيشا قويا شارك في حروب أوربا المتعددة ومنها الحرب العالمية الثانية، وأقام باقي مؤسسات الدولة من مصانع ومزارع ومدارس وجامعات، لقد رسخ هذا الكيان جذوره في أرضنا وغرس سيفه في لحمنا وكرامتنا، وعلى الرغم من هذه الأحداث المأساوية

والمعارك الحامية، استمر «جويتاين» في الجامعة العبرية عشر سنوات حتى حلول عام (١٩٥٧) إلى أن هاجر إلى أمريكا وعين أستاذا في جامعة بنسلفانيا بولاية فلاديفيا، وعاش في أمان ملحوظ، يكتب ويؤلف بعيدا عن صراعات الشرق الأوسط وعدوان إسرائيل الذي لم يتوقف على العرب يوماً واحدا.

وهنا سؤال مشروع نطرحه، لماذا هاجر إلى أمريكا في عام(١٩٥٧)؟

لا تتكلم المصادر الموجودة لدينا عن سبب ذلك، ولا تفصح عن أي إجابة، نستطيع أن نحلل الأحداث ونقرأ ما وراء السطور ونجتهد فنقول: لما كان جويتاين عاش تجربة حرب (١٩٤٨) ورأى بعينية ما تحدثه من خراب ودمار، وإزهاق أرواح الآلاف من الجنود والمدنيين، علاوة على الجرحى والمعوقين والأرامل، ولمس روح العداء العربية الشديدة والكراهية العنيفة التي تحيط بدولته المعتدية؛

ثم رأى مرة أخرى قيام إسرائيل العدوانية النازية بالتآمر مع فرنسا وبريطانيا واشتراكها معهم في العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦)، ثم انتهي ذلك بهزيمة المعتدين وانسحابهم من سيناء في ٢٣ ديسمبر عام(١٩٥٦).

لذلك عانى معاناة نفسية من جراء ذلك ودفع ثمن ذلك من طمأنينته وراحة باله، وأدرك ببصيرته النافذة وحسه الصادق وتجربته المرة، أنه يعيش في دولة عدوانية عنصرية، وأن حياته وحياة أولاده في تهديد كامل و خطر مستمر وقلق نفسي داهم، ومن ثم اتخذ قرارا بالهجرة لكي ينجو من تأنيب الضمير والإحساس بالعار الذي يطارده من جراء انتسابه لدولة فاشية، ويؤمن حياته وحياة أسرته.عاش يدرس في الجامعة واستمر في عمله حتى عام (١٩٧٠)[١]

ثانيا : جهوده العلمية :

الدارس لإنتاج جويتاين يدرك أنه إنتاج ضعيف، ولا يتناسب مع حياته العريضة، وسني حياته، و لا مع عمله في الجامعة التي توفر ظروفا مواتية للبحث العلمي والدراسة

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٢١١

المنظمة، وسوف نستعرض أهم مؤلفاته:

١- حقق الجزء الخامس من كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، ونشره (عام ١٩٣٦)(باقتراح من جوزيف هورفتز)

٢- كتاب «يمنيات» ويضم مجموعة كبيرة من الأمثال العامية الجارية على ألسنة اليمنيين، ونشر عام (١٩٣٤)

٣- من بلاد سبأ، عام (١٩٤٧)

٤- الإشراف على نشر كتاب حاييم حبشوش عن اكتشافاته في اليمن، وقد نشر النص العربي عام (١٩٤١)

٥- عكف جويتاين على دراسة النصوص المكتشفة في «جنيزة مصر القديمة»، لمعرفة تاريخ الطوائف اليهودية التي كانت تعيش في مصر والشام، وقد أنتج في هذا المجال كتابين:

أ- مجتمع البحر المتوسط، عام (١٩٦٧)

ب – اليهود والعرب، الاتصالات بينهم خلال العصور.عام (١٩٦٧)[١]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١ – هذا مستشرق مغامر يعيش مع طائفته أوهام التاريخ ويشاركهم أساطير الكهان، فينتقل من دولة إلى أخرى لكي يستقر في بلد الأحلام، ثم يعيش تجربة الحرب المؤلمة، ويعاني معاناة شديدة من جراء عدوانية الكيان الذي ينتمي إليه، ويكتشف زيف أكذوبة الوطن المنشود، فيهاجر إلى أمريكا ويستقر بها تاركا وراءه أساطير الأقدمين، غير عابئ بأحلام المجانين وأطماع المعتدين. مخلفا الماضي خلفه، الماضي بما أحدث من ألم وما خيب من رجاء، وهو هنا مثل أحمد عاكف في خان الخليلي لنجيب محفوظ حينما غادر الخان وذهب إلى حي الحسين.

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٢١١.

لقد صدق مونتاجو الوزير اليهودي البريطاني في مذكرة إلى مجلس الوزراء حينما قال: لقد بدت الصهيونية لي عقيدة سياسية لا يمكن أن يؤمن بها أي مواطن مخلص للمملكة المتحدة، إن اليهودي الإنجليزي الذي يتطلع إلى جبل الزيتون ويتوق إلى اليوم الذي يستطيع فيه أن ينفض عن حذائه التراب البريطاني ويعود إلى نشاطه الزراعي في فلسطين، إنما يعترف بأنه لا يصلح للاشتراك في الحياة العامة في بريطانيا، بل ولا يصلح أن يعامل كمواطن إنجليزي.[١]

٢- يلاحظ أن إنتاجه العلمي يصب في اتجاه خدمة الكيان الإسرائيلي، فإذا تجاوزنا تحقيقه لكتاب الأنساب للبلاذري، نجد أن كافة مؤلفاته تخدم طائفته وتروج لها، فيذهب إلى أعماق التاريخ يبحث في اللغة والعادات والنقوش لكي يظهر إسهاماتهم في خدمة الحضارة العربية الإسلامية، وفي ضوء ذلك نتفهم كتاباته عن بلاد اليمن.

وفي كتابه عن البحر المتوسط يروج لفكرة وحدة شعوبه في الشمال والجنوب، ويرى أنها منطقة واحدة تجمعها وحدة الجوار والروابط السياسية، ولاشك أنه يهاجم من طرفي خفي قضية وحدة الشعوب العربية القائمة على اللغة العربية والدين الواحد ووحدة الأهداف والآمال والتاريخ المشترك والمصير الواحد، وقد أشار أحد الباحثين إلى ترويج جويتاين لهذه النزعة الانفصالية التجزيئية.[٢]

أما بحثه عن «نصوص جنيزة مصر القديمة» فقد أشرنا إليها سابقا، ورأينا أنها تتضمن مراسلات متبادلة بين التجار اليهود في مصر والشام وفي البحر المتوسط قد كتبت بلغة ركيكة ومليئة بالأخطاء.

ومن الملاحظ أن مؤرخي اليهود يعتنون بهذه الوثائق عناية واسعة، ويشيدون بها وبأهميتها في كشف أقسام من التاريخ اليهودي في هذه المنطقة، ورفعت الستار عن معلومات غزيرة، وقد استعان شالوم بجزء كبير منها في أعماله العلمية إذ نشر بعضها على

---

(١) أحمد سوسة : أبحاث في اليهودية ص ١٨٧.

(٢) فاروق فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص ١٦٩.

هيئة مقالات وأخرى في أربعة كتب.[١]

إن قصده من دراسات جنيزة، أن يظهر دور اليهود في مصر ومشاركتهم في الحياة العامة بخاصة، مع أن حقائق التاريخ تؤكد أنهم عاشوا منعزلين منطويين على أنفسهم، في حارات مغلقة، يقاومون سبل الاندماج في المجتمع، ودواعي الانصهار، ويعيشون في وهم أنهم شعب الله المختار[٢]، يبحثون عن مصالحهم الضيقة، محاولين بكل السبل السيطرة على عصب الاقتصاد والبنوك والإعلام، وفي الوقت نفسه متعاونين دوما مع العدو كلما سنحت لهم الفرصة وواتت المناسبة.[٣]

وللإنصاف فإن صاحب كتاب «تاريخ يهود النيل» دافع عن موقف اليهود في مصر وأظهر أنهم أحبوا مصر حبا عظيما ومازالوا يحملون لها أجمل الذكريات وأروع المواقف، ويحنون لأحيائها وأزقتها وشوارعها وفولها وعدسها وضحكات شعبها وروحهم المرحة المتفائلة ونكاتهم التي لا تنقطع ودعاباتهم اللطيفة الساخرة، ولكن مشاعر اليهود كانت ممزقة بين مصر الوطن الأم، والكيان الإسرائيلي المعتدي وأن منهم الوطنيون الذين شاركوا في الحركة الوطنية المصرية في مواجهة الاحتلال الإنجليزي، ومنهم من تقاعس وتعاون معه ومع الحركة الصهيونية.[٤]

---

(١) تاريخ يهود النيل ص ٥٦

(٢) هذه النعرة تظهر في مجتمع مصاب بعقدة النقص والضعة، مع تخلف فكري وجمود روحي، فبسبب العزلة والانطوائية عند اليهود، ورفض الأخذ والعطاء مع المجتمعات القوية المحيطة بهم، اخترعوا لأنفسهم نسبا محددا، يزعم أنه لم يختلط بغيره، معللين ذلك بقوة غيبية رشحتهم لهذا الدور، ومع الزمن تراكم الأساطير والحكايات وجداول للأنساب، ويصدق السذج والجهال، ويقوم حول ذلك بناء خرافي من الفكر العنصري الانعزالي. (أبحاث في الفكر اليهودي ص ١٠١)

(٣) كان من وقاحة مناحم بيجن وهو يزور الأهرام مع السادات، أن قال موجها كلامه له ولمرافقيه: إن أجدادي اليهود شاركوا في بناء الأهرام، ومن المؤسف أن السادات أطلق ضحكة في الهواء بدلا أن يوجه له لكمه قوية على أنفه ويصفعه على خده الصفيق الخال من الحياء، ويركله برجله في مؤخرته. وقد وصف إدوارد لين انطباعات المصريين عن اليهود في مصر، بقوله: «تسمع العربي يسئ معاملة حماره المنهوك، فيكيل له النعوت المحقرة ويخلص مضفيا على حماره صفة اليهودي.»(عادات المصريين المحدثين ص ٥٧٠)

(٤) جاك حاسون: تاريخ يهود مصر ص٢٠/ ٢٤ وفي صفحات متعددة من الكتاب.

٣- نبذة عن البلاذري (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

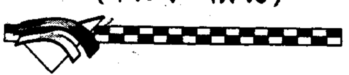
- أبو جعفر أحمد بن يحيي البلاذري، من المؤرخين الثقات، نشأ في بغداد حاضرة العالم الإسلامي، تقرب من الخليفة المتوكل والمستعين والمعتز الذي أوكل إليه الإشراف على تربية ابنه عبد الله الشاعر والخليفة المقتول الذي لم يتهن بالخلافة، أصابه مرض الوسواس في أواخر حياته، من أهم مؤلفاته «فتوح البلدان» و «أنساب الأشراف»، وقد طبع جويتاين الجزء الخامس في القدس عام (١٩٣٦)[١]

* * *

(١)- معجم الأدباء، ج٣/ ٨٩-١٠٢ تاريخ آداب اللغة العربية ج٣/ ٤٣، ٤٤

١٧- ليفي بروفنسال Levi Provencal

(١٨٩٤- ١٩٥٦)



أولا: نبذة عن حياته:

١- هذا مستشرق يهودي ولد وعاش على الأرض العربية، فقد ولد في مدينة الجزائر (عام ١٨٩٤) التي احتلها الفرنسيون منذ عام (١٨٣٠) وتلقى تعليمه في مدرسة قسنطينة وبعد أن أكمل تعليمه المتوسط، واستوعب من علوم العربية ما استوعب، رغب في الاستزادة وتحصيل العلوم، سارع إلى الالتحاق بجامعة الجزائر، وتتلمذ على رينيه باسيه، وجيروم كركوبينو الشهير بأبحاثه في التاريخ الروماني.

وبعد أن أنهى دراسته الجامعية عزم على استكمال دراساته العليا، إلا أن نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) حالت بين طموحاته الواسعة وآماله العريضة، ولما كان بروفنسال يعد مواطنا فرنسيا، ويحمل جنسيتها، تم تجنيده مع آلاف الفرنسيين الذين دفعوا إلى أتون الحرب ليلاقوا مصيرهم المجهول؛ من أجل إشباع أطماع القادة والعسكر في السيطرة والاستعلاء والغرور الكاذب، فالحرب هي أم الجرائم كما يقول فولتير.

حشر الشاب مع ملايين الشباب الفرنسي، و دفع إلى جحيم الحرب وانضم إلى الفيلق الفرنسي في الشرق، وشارك في «معركة الدردنيل» و جرح في المعركة فأرسل إلى الإسكندرية للعلاج، ولما شفي رأت القيادة أن تستفيد منه في موقع آخر أقل أهمية، فعهد إليه بقيادة موقع في وادي «ورجلة» بالقرب من حدود الريف المغربي، وكما يقولون لكل نقمة نعمة ولكل محنة منحة، إذ كان وجوده في البلاد العربية ومكوثه هذه الفترة الطويلة يتنقل بين الجزائر والمغرب، أن ساعده في تحديد التخصص الذي يتفق مع مزاجه العلمي ودوافعه الشخصية، فقد كان مترددا في اختيار التخصص الذي يحدد مساره العلمي مابين الدراسات الإسلامية والرومانية.

٢- وضعت الحرب أوزارها وانتهت بمآسيها التي لا تعد ولا تحصي، وخرج بروفنسال إلى معركة الحياة الحقيقية ليشهد التدافع الحقيقي لإثبات الذات، وتحقيق الكينونة وتعميق الوجود، واستطاع أن يعين أستاذا في «معهد الدراسات العليا المراكشية» بالرباط (سنة ١٩٢٠) واستأنف عمله العلمي، وعكف على الدراسة والقراءة، وبدأ يستعد لإعداد الدكتوراه، ويبدو أنه كان شابا طلعة، وصاحب عزيمة قوية؛ ففي عامين استطاع أن يظفر بدرجة الدكتوراه (١٩٢٢) في الدراسات الإسلامية المتعلقة بتاريخ مراكش.

ولما كان تاريخ مراكش مرتبطا ارتباطا عضويا بتاريخ الأندلس، ونظرا للعلاقات الوثيقة بين الدولتين، رأي بروفنسال أن يتوسع في تاريخ الأندلس ويعمق دراساته في هذا المجال، ويركز جهوده في هذا الميدان، لاسيما فيما يخص الواقع الاجتماعي بنظمه وعاداته وعرفه والتركيبة الطبقية، من منطلق أن الحياة الاجتماعية انعكاس حقيقي للواقع السياسي.

٣- كانت مؤهلات بروفنسال ترشحه إلى وضعية علمية أفضل علاوة على بحوثه المعمقة في تاريخ المغرب والأندلس بخاصة والتاريخ الإسلامي بعامة، ولاشك أنه كان يرغب في ذلك إن لم يكن يسعى إليه سعيا حثيثا، لذلك انتقل إلى الجزائر (عام ١٩٢٨) وعين أستاذا للتاريخ الإسلامي في كلية الآداب، جامعة الجزائر.

ولم يكد يلتقط أنفاسه و يستقر في حياته ويواصل الدراسة ويستمتع بأجواء الجزائر الجميلة ومناظرها الخلابة وجبالها المزينة بالبساط الأخضر، حتى وصلته دعوة من مصر فتوجه (عام ١٩٣٨) إلى زيارتها ملبيا دعوة من جامعة القاهرة أستاذا زائرا، وفي الوقت نفسه عين في اللجنة العلمية التي نهضت بتحقيق كتاب «الذخيرة» لا بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) [١] ومكث فيها عاما استغله في الاطلاع والاستيعاب والدراسة الجادة، هذا الاتجاه لدراسة التاريخ الأندلسي، والرحلة العلمية ومواصلة البحث والاستقصاء، كان

---

(١) قام د.إحسان عباس : بتحقيق آخر لكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، وطبع في ثمان مجلدات ، دار الثقافة ، بيروت (١٩٧٩).

له مردوده العلمي الغزير، ظهر في إنتاجه العلمي وإبداعه في تاريخ المغرب والأندلس

٤- نشبت الحرب العالمية الثانية، وهزمت فرنسا هزيمة منكرة أمام ألمانيا (١٩٤٠) تعالت الصيحات في فرنسا بتوجيه أصابع الاتهام للمكر اليهودي والمطالبة بفصلهم من أعمالهم وطردهم خارج الحدود، إذ من المعلوم أن المواطن الأوربي كان يتشاءم من وجود اليهود بين ظهرانيه ويعتقد أنهم سبب البلاء والأمراض والشرور التي تحل بهم، وعلة غضب الرب وسخطه عليهم.

ومن ثم صدرت قوانين بذلك، لكنه تمكن بفضل علاقاته مع بعض أصدقائه، أن يستثنى من تطبيق القوانين، وعين أستاذا في كلية الآداب بجامعة تولوز وعاد سيرته الأولى؛ يواصل البحث والتنقيب؛ يعكف على القراءة والإنتاج العلمي، ثم تغيرت مسيرة حياته إذ كلفته حكومة فرنسا من (٤٣ - ١٩٤٤) بمهام خطيرة بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق، ثم بعد تحرير باريس (١٩٤٤) سافر إليها، وجاءت خاتمة المطاف طيبة ومثمرة، ففي هذا العام عين أستاذا للعربية والدراسات الإسلامية في السربون، وظل يمارس نشاطه العلمي إلى نهاية حياته.

وفي عام (١٩٥٤)أسس مجلة «العربي» التي أصبحت أهم مجلة فرنسية متخصصة في دراسة الحضارة العربية الإسلامية وعلومها، وظل يواصل عمله العلمي بكل جد ونشاط، وتميز وإخلاص، حتى جاءه نذير الموت فذهب به إلى باطن الأرض حيث تنام البشرية نومتها الهادئة، ثم تبعث لكي يحاسبها رب العالمين عما قدمته من خير أو شر، ومات الرجل (عام ١٩٥٦)[1]

ثانيا: جهوده العلمية:

يتميز بروفنسال بالإنتاج العلمي الغزير والكم الكبير، والتأليف الموسوعي، وتعدد مؤلفاته؛ مابين المقال والبحث الرصين والتأليف الأكاديمي والتحقيق الدقيق للمخطوطات الإسلامية، وسوف نشير إلى بعضها وبخاصة ما يتعلق بالحضارة العربية

(١) موسوعة المستشرقين ص ٥٢٠، العقيقي: المستشرقون ج١/ ٢٩٣

الإسلامية، ومن يروم الحصر والإحاطة فعليه بمراجعة كتاب العقيقي الذي سرد إنتاجه العلمي في حدود سبع صفحات.[١]

أ- الكتب:

١- مؤرخو الشرفاء: بحث في كتب التاريخ والسير في مراكش من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر. (باريس ١٩٢٢) الدكتوراه الأولى.

٢- «نصوص عربية من ورجلة: لهجة جالا، في شمالي مراكش».(باريس ١٩٢٢) الدكتوراه الثانية.

٣- أسبانيا الإسلامية في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) (١٩٣٢)

٤- تاريخ أسبانيا الإسلامية.(القاهرة ١٩٤٤)وهذا يعد أهم أعماله وأكبرها، (القاهرة ١٩٤٤) ويتكون من ثلاث مجلدات:

أ- المجلد الأول: من الفتح الأول حتى سقوط خلافة قرطبة، من (سنة ٧١٠-١٠٣١م).(القاهرة ١٩٤٤)

ب - المجلد الثاني الخلافة الأموية في قرطبة، من (٩٢٢-١٠٣١م) (باريس ١٩٥٠)

ج - المجلد الثالث: قرن خلافة قرطبة. (باريس ١٩٥٣)

ب - البحوث والتحقيقات:

١- وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين.(باريس ١٩٢٨)

٢- المخطوطات العربية في الأسكوريال.(باريس ١٩٢٨)

٣- كتاب البيان المُغرِب لابن عذاري المراكشي، الجزء الثالث، (باريس ١٩٣٠) (الجزء الأول والثاني؛ من الفتح الإسلامي حتى القرن الحادي عشر الميلادي، بالتعاون مع كولان.(ليدن، بريل ١٩٤٨-١٩٥١)

---

(١) - المستشرقون ج١/ ٢٩٣-٣٠٠

٤- رسالة في الحسبة لأبي عبد الله محمد السقطي المالقي، بالتعاون مع جورج كولان، (باريس ١٩٣١)

٥- دوزي: تاريخ المسلمين في أسبانيا.طبعة جديدة قدم لها وعلق عليها (بريل ١٩٣٢)

٦- أسبانيا الإسلامية في القرن العاشر الميلادي: النظم والحياة الاجتماعية.(باريس)

٧- كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب؛ تاريخ أسبانيا الإسلامية.القسم الأول (الرباط ١٩٣٤، بيروت ١٩٥٦)

٨- مذكرات عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة. (مدريد ١٩٣٦، ١٩٤٠)(القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٦)

٩- صلة الصلة لابن الزبير؛ تراجم أندلسية من القرن الثالث عشر الميلادي، (الرباط ١٩٣٨)

١٠- شبه جزيرة إيبريا في العصر الوسيط، بحسب كتاب الروض المعطار، لابن عبد المنعم الحميري، (ليدن بريل ١٩٣٨) (طبع النص العربي للروض المعطار في مصر)

١١- الحضارة العربية في أسبانيا.(القاهرة ١٩٣٨)

١٢- سبع وثلاثون رسالة رسمية للموحدين.(الرباط ١٩٤١)

١٣- إشبيلية الإسلامية في بداية القرن الثاني عشر الميلادي؛ رسالة ابن عبدون عن حياة هذه المدينة.(باريس ١٩٤٧)

١٤- تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا للنباهي.(القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٨)

١٥- الإسلام في الغرب؛ دراسات في تاريخ العصر الوسيط.مجموعة مقالات سبق نشرها متفرقة.(باريس ١٩٤٨)

١٦- كتاب نَسَب قريش لمصعب ابن الزبير (دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣)

١٧- ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة؛ وثائق عربية تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.(مطبوعات المعهد الفرنسي، القاهرة ١٩٥٥)

١٨- جمهرة أنساب العرب لابن حزم.(دار المعارف، القاهرة)[١]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- نحن أمام مستشرق فذ، وشخصية فريدة تمثل وجه الاستشراق المشرق، وصفحته البيضاء الناصعة في خدمة الحضارة العربية الإسلامية وتراثها العظيم ومجدها الغابر، وجهوده العلمية تناظر جهود سانتلانا وجولدتسيهر وكراوس وماكس مايرهوف من حيث الكم، وإن كانت تنحو منحا أكاديميا فقد تخصص الرجل في تاريخ المغرب العربي والأندلس كما نرى من خلال مؤلفاته.

ولعل اهتمامه بحضارة الأندلس يرجع إلى التهضة الثقافية والعمرانية التي وصلت إليها إذ كانت قرطبة واشبيلية وغرناطة تمثل قلاعا للعلوم والفنون والصناعة والتجارة، وتعد عواصم تضاهي عواصم أوربا آنذاك، هذا أولا [٢]. وثانيا أنها اتسمت بسعة الأفق وفضيلة التسامح وانضواء كافة الأديان تحت جناحها، وسعة صدرها لكل التيارات الفكرية وبخاصة أن اليهود تمتعوا في ظلها بحرية واسعة في العيش والعمل والتجارة والمشاركة الثقافية وحماية النظام السياسي لهم، فضلا عن قيامهم بترجمة التراث العربي الإسلامي إلى أوربا.

يقول رينان: ولم يظهر قط فاتحون ساروا بالتسامح والاعتدال نحو المغلوبين إلى مدى أبعد مما سار عرب الأندلس، وعدت لغة العرب منذ القرن العاشر اللسان المشترك للمسلمين واليهود والنصارى[٣].

---

(١) - موسوعة المستشرقين ص ٥٢١، العقيقي: ج١/ ٢٩٣

(٢) جوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٢٧٤

(٣) ابن رشد والرشدية ص ١٦٣، وأيضا لوبون: حضارة العرب ص ٢٧٧

ومن ثم حصر كافة جهوده في هذا الميدان، وهو جهد عظيم يستحق الثناء والمدح، ويدعونا إلى الإشادة به واقتفاء خطواته المنهجية في البحث والتحقيق، وبذل الجهد المكثف في التأليف العلمي، وتحري الدقة في اختيار موضوعات حيوية تخدم تراثنا وواقعنا المعيش وتواكب متغيرات العصر؛ وتجمع بين الأصالة والمعاصرة، على حد تعبير زكي نجيب محمود.

٢- جهوده في تحقيق المخطوطات العربية المتعلقة بتاريخ المغرب والأندلس، تعد خطوة إيجابية، وعمل مشكور تحسب له في صفحة أعماله العلمية، وتحثنا على بذل الجهد والعرق في البحث عن مخطوطاتنا، والتنقيب عنها في الشرق والغرب واسترداد ما خرج من خزائننا، والقيام بدراسته دراسة علمية دقيقه ممحصة، وتحقيقه حسب الأصول المتبعة في المنهج العلمي ونشره في ثوب قشيب، فهو هويتنا التي نتمسك بها وجذورنا الممتدة في أرض التاريخ، وهو صورة مشرقة للحضارة العربية الإسلامية، ومنه نستمد العون لمواصلة الطريق، والدافع لأن نعيد أمجادنا ثانية ونتبوأ المكانة التي تليق بنا في عالم لا يحترم إلا الأقوياء.

٣- الدارس في سيرة الرجل لا يشتم منها مساعدة للحركة الصهيونية، ولا توجد إشارات لذلك، على الرغم من أنه عاصر مشوار الحركة الصهيونية؛ قيامها ونجاحها في تأسيس إسرائيل وترهيبها للدول العربية وحربها في السويس (١٩٥٦) والذين أرخوا لحياته وذكروا مسيرته العملية والعلمية ونوهوا بأعماله؛ لم يشيروا لميول صهيونية لهذا الرجل، صحيح أن الرجل حارب في الحرب العالمية الأولى والثانية، لكنه حارب بصفته مواطنا فرنسيا ينتمي لهذا الوطن وعليه أن يدفع الضريبة الوطنية.ثم إنه عمل في جامعاتها، عاش في فرنسا وتنقل في ربوعها ومات ودفن في أرضها.

أما الإشارة التي جاءت عن قيامه بمهام «خطيرة بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق» في حدود سنة (١٩٤٥) فلم تفصح المصادر عن طبيعة المهام وحقيقتها، و لا أحد يستطيع أن ينكر أن الرجل في نهاية الأمر «يهودي» ويهمه المصالح الحيوية للجماعات اليهودية، وعنده عواطف لمناصرة بني قومه والدفاع عنها، فهذه الرغبات الشخصية

والمشاعر الإنسانية لا تخفى على أحد.

وربما القضية تحتاج إلى قدر من البحث والتنقيب عن مصادر أخرى لتحري الحقيقة، وكشف اللثام عما غمض علينا، والتدقيق في موقف الرجل من الحركة الصهيونية وإسرائيل العدوانية.

٤- أبو العباس أحمد ابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ) من أهم كتبه، «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب».وهو تاريخ عام للمغرب والأندلس، يرصد فيه تاريخه منذ الفتح العربي الإسلامي حتى بداية عصر بني مرين.ويتكون من عدة أجزاء:

الجزء الأول: يعرض أخبار إفريقيا والأندلس من الفتح الإسلامي إلى ابتداء دولة المرابطين.الثاني: أخبار الأندلس من الفتح الإسلامي إلى دخول المرابطين في سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، نشرهما دوزي سنة ١٨٥٠، ثم قام ليفي بروفنسال وكولان بإعادة نشرهما (عام ١٩٣٠)مع الجزء الثالث الذي تضمن عصر الطوائف وأخبار المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وكذلك بني هود وبني نصر، وتاريخ الحفصيين في إفريقيا، ثم قام المستشرق الأسباني أويتي ميراندا وإبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت بنشر الجزء الرابع عن تاريخ دولة الموحدين وبداية عصر بني مرين، وأخيرا قام ميرندا بتحقيق الجزء المتعلق بتاريخ دولة المرابطين، ونشره في مجلة هيسبرس (١٩٦١)[١].والكتاب ذو قيمة تاريخية كبرى إذ يحوي فقرات هامة من مؤلفات تاريخية أخرى عبثت بها يد الزمان.[٢]

٥- دوزي: تاريخ المسلمين في أسبانيا.

- رينهرت دوزي (١٨٢٠-١٨٨٣): مستشرق هولندي، من المستشرقين الكبار الذين اتسموا بالحياد والموضوعية في كتاباتهم التاريخية عن الحضارة العربية الإسلامية؛ ولد في مدينة ليدن وتعلم في جامعتها، تفوق في اللغات؛ أتقن الفرنسية والإنجليزية

---

(١) أحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ، الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ص ٣٥٥

(٢) - تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٤٩

والألمانية والإيطالية والعربية، فاز بجائزة المعهد الملكي الهولندي، عن بحث قدمه عن «الملابس العربية لكلا الجنسين» وفي الجامعة ظهرت ميوله لدراسة التاريخ الإسلامي، وحصل على الدكتوراه عن كتاب «أخبار بني عباد عند الكتاب العرب» ومن ثم تخصص في التاريخ الأندلسي، عمل أستاذا للعربية في جامعة ليدن سافر إلى ألمانيا وإنجلترا للبحث عن المخطوطات الأندلسية واكتشف؛ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (٥٤٣هـ)، البيان المغرب لابن عذاري (٧١٢هـ - تقريبا)، الحلة السيراء لابن الآبار (٦٥٨هـ)، ونفح الطيب للمقري(١٠٤١هـ)، وكافة أعماله وتحقيقاته دارت حول التاريخ الأندلسي، التي قام بتحقيقها ونشرها نشرة علمية دقيقة، وقد اشتهر بكتابه تاريخ المسلمين في أسبانيا[1].

٦- مذكرات الأمير عبد الله بن زيري الصنهاجي ملك غرناطة (١٠٧٣-١٠٩٠هـ).

يعد آخر ملوك غرناطة في عصر ما سمي بملوك الطوائف في الأندلس، سقط حكمه على يد المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، ويقال أنه نجا من القتل بسبب انتمائه لقبيلة صنهاجة التي انحدر منها المرابطون، وكان يجب أن يقتل بسبب تعاونه مع الأعداء الأسبان وتخاذله عن تأييد جيوش المرابطين الزاحفة، وقد نفي إلى مدينة أغمات في جنوب المغرب، ومعه المعتمد ابن عباد ملك أشبيلية.

وفي حين ظل المعتمد بن عباد في منفاه ينسج شعرا يجتر فيه الذكريات الأليمة الحزينة ويرسل دمعا مدرارا شاكيا باكيا، وينفث أنات حزينة على ما جنت يداه الأثيمة في حق نفسه وأهله والإسلام والمسلمين.

عكف عبد الله بن زيري على كتابة مذكراته الخاصة، قدم فيها معلومات تاريخية سخية ووافرة عن عصر ملوك الطوائف؛ حكمهم وضعفهم ومؤامراتهم.وقد أشار إلى أهميتها الوزير الغرناطي ابن الخطيب حينما اطلع عليها.ثم قام بروفنسال بنشرها في كتاب

(١) موسوعة المستشرقين ص ٢٥٩-٢٦٣.، العقيقي : ج٢/ ٣٠٨.

مستقل بالقاهرة.[١]

(١) العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٥٠ / ٣٥١.

٧- نبذة عن حياة عبد المنعم الحميري.(ت ٨٦٦ هـ/ ١٤٦١):

محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي الحميّري، يلقب بالشيخ العمدة، ولد بمدينة سبتة الأندلسية، وتعلم على يد جهابذة علمائها، ظهرت ميوله العلمية مبكرا، فبرع في علوم التاريخ والجغرافيا، ثم اشتغل ردحا من الزمن في توثيق العقود، تميز بلين الجانب واللطف في المعاملة وبلاغة الحديث، اشتهر بلعبة الشطرنج وهي من الفنون التي تحتاج قدرا كبيرا من التأمل والتفكير، وسعة الحيلة وحسن التصرف، وبالجملة الذكاء النظري، يعد من كبار المفكرين في علم الجغرافيا الوصفية.[1]

- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار:

يعد الكتاب من أهم الكتب في علم الجغرافيا، وبخاصة في التعرف على جغرافية الأندلس، وقد تناول فيه ذكر المواضع المشهورة عند الناس والأصقاع في العربية والعجمية، وإيراد الأقطار والجهات وما اشتملت عليه من الأوصاف، والتنويه بالأخبار والوقائع المتعلقة بها، مشيرا لآثار الأمم وأحداثها ونبذ من أخبارها بما «يلذ سماعه من خبر ظريف أو وصف يستغرب أو يستملح» وقد رتب الكتاب على حروف المعجم، فبدأ بحرف الألف وينتهي بحرف الياء، هكذا «آمد»؛ مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل. «ثم يستطرد في شرح تاريخ المنطقة ومن الذي فتحها من المسلمين وقوادها ومواقفهم، ثم يتناول البعد الجغرافي المتعلق بالتضاريس والمناخ والأنهار والعجائب التي بها والشعر الذي قيل فيها وبعض الوقائع والأحداث التي وقعت بالمدينة وذكر أهم علماء المدينة وبعض مؤلفاتهم.وعلى هذا النمط يسير الكتاب».

أشاد بالنثيا المستشرق الأسباني (١٨٨٩-١٩٤٩) [2] بالكتاب وصاحبه وقال عنه: يعني الحميري بإيراد معظم الأعلام الجغرافية وما اتصل بها من الحوادث التاريخية على

(١) علي عبد الله الدفاع : رواد علم الجغرافية، مكتبة التوبة ، الرياض ، ١٩٩٣، ص ٢٢٧/ ٢٢٨

(٢) - ترجمته في موسوعة المستشرقين ص ٧٢

«نحو فريد وفي أسلوب عربي رصين، مما يجعل لهذا الكتاب أهمية كبرى للمؤرخ والجغرافي على السواء»[(١)]

من الجدير بالذكر أن تقي الدين المقريزي(ت٨٥٢هـ)، له كتاب «جني الأزهار من الروض المعطار» لخص فيه كتاب الحميري،[(٢)]

ومن المؤسف أن الباحثين من علماء الأمة العربية الإسلامية في مجال علمي التاريخ والجغرافية لا يعرفون شيئا يذكر عن الحميري قبل اكتشاف المستشرق بروفنسال مخطوط كتاب «الروض المعطار» فله الشكر علي إبراز مكانته.[(٣)]

٨- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب:

- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٣٨٤- ٤٥٦ / ٩٩٤ -١٠٦٤)

- ابن حزم عقلية فذة وعبقرية إسلامية، عالم موسوعي في الفقه و الكلام وعلم الأديان والأنساب، ولد بقرطبة، عرضت عليه الوزارة فرفضها، كان ناقدا فحلا عنيفا في نقده لأغلب الفرق والمذاهب الإسلامية، أسس مذهبا جديدا هو المذهب الظاهري وقال المؤرخون: إن لسان ابن حزم أمضى من سيف الحجاج، ترك مؤلفات بلغت المئات؛ أهمها الفصل، والمحلى، التقريب لحد المنطق، الإحكام لأصول الأحكام.[(٤)]

- كتاب أنساب جمهرة العرب:

- ذكرنا أن العرب يعتزون اعتزازا كبيرا بأنسابهم ويتعصبون لذلك لاسيما في الجاهلية، ولا شك أن الإسلام هذب هذه العنصرية الواضحة في التفاخر بالأنساب، لكنه لم ينكر الاعتزاز بالنسب، ولذلك حرص كثير من المؤرخين بإفراد كتب خاصة لسرد الأنساب وتتبع سلسلة النسب، ولا يخرج ابن حزم عن هذا الإطار؛ فهو يستشهد

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣١١/ ٣١٢.
(٢) تاريخ آداب اللغة ج٣/ ١٩٣.
(٣) الدفاع : رواد علم الجغرافية ، ص ٢٣٠.
(٤) - معجم الأدباء ج١٢/ ٢٣٥ ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢١٣، تاريخ آداب اللغة ج٣/ ١٠٤، الأعلام ج٤/ ٢٥٤.

بأحاديث للرسول ﷺ يتحدث فيها عن أكرم الناس، وهو أتقاهم، وحثهم على أن يتعلموا أنسابهم؛ ويستعرض ابن حزم أنساب العرب من أيام سيدنا إبراهيم، ونسل ابنه إسماعيل حتى يصل إلى الرسول ﷺ وقبيلته بني هاشم وهكذا يستعرض أنساب العرب جميعا، ومن كافة القبائل التي انبثقت عنها والتي ملأت الساحة الإسلامية في الشرق والغرب، ولا ينسي أن يشير إلى بيوتات البربر والأندلس، ونسب بني إسرائيل وقطعة من نسب الفرس.وعلى الجملة الكتاب «عظيم الفائدة لمن يدرسون تاريخ الإسلام في المشرق والأندلس»(١).

٩- نستنتج من الترجمة التي أوردها د. بدوي عدم إيفاء الرجل حقه وغضه الطرف عن بعض جوانب حياته مثل تكريمه من المجامع العلمية واحتفاء علماء الاستشراق به وتكريمهم لذكراه، واجتزئ مؤلفاته وأشار إلى بعضها وصمت عن الباقي، وتجاهل تقييمه سواء أكان هذا التقييم إيجابا أو سلبا، وهذا ليس دأبه لاسيما إذا كان مستشرقا له حضور بهذه القوة وإنتاجا غزيرا بهذا المقدار.!!

ترى ما الدافع عند أستاذنا لهذا الموقف المريب؟

لا أقتنع إذا قال أحد إن هذا يرجع إلى ديانته اليهودية، فالدكتور بدوي كان صديقا شخصيا لأمثال باول كراوس وماكس مايرهوف وكثير من علماء المستشرقين يهود أو غير يهود، داخل مصر أو خارجها، وهو رجل حر التفكير، ذو أفق واسع، عقله مثل عقل إخوان الصفا وقلب ابن عربي (٦٣٨هـ)، وكتاباته تتسم بالرؤية الإنسانية مثل الجاحظ (ت٢٥٥هـ) وأبي حيان التوحيدي (ت٤٠٣هـ)، ونظراته تتجاوز هذا النطاق الديني الضيق.

نجتهد فنقول إن شخصية د.بدوي شخصية استعلائية نتشوية، عنده تضخم في الأنا وإحساس عظيم بالذات، ومن الواضح أن شعوره ممتلئاً تجاه بروفنسال بقدر لا يستهان به من التعالي، والغيرة مكبوتة في عقله اللاشعوري تؤثر في مسلكه وتوجه قلمه حيث تمضي

(١) تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٢٠.

عواطفه الثائرة[١].

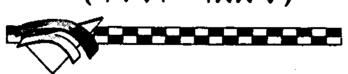
١٠- كوفئ بروفنسال على بلائه في الحرب، وجهوده الواسعة في الاستشراق، وعد المرجع الأول في تاريخ المغرب والأندلس، ومنح أوسمة رفيعة وعضوية شرفية لجمعيات علمية متعددة؛ منها المجمع الإسباني والجمعية الآسيوية البريطانية، وأهديت له منوعات باسمه لتكريمه[٢].

***

(١) هذه قضية متروكة للباحثين يبدون فيها وجهة نظرهم.
(٢) العقيقي: الاستشراق ج١/ ٢٩٣.

١٨- ليفي دلافيدا. Livi Della Vida

(١٨٨٦-١٩٦٧)



أولا : نبذة عن حياته :

١ - ينحدر دلافيدا من أسرة يهودية حطت رحالها في إيطاليا واستقرت على أرضها، ولد في سنة (١٨٨٦) أمضى دراسته الثانوية في مدينة جنوة، وحينها انتقل والده للعمل في بنك إيطاليا، انتقل معه إلى روما والتحق بكلية الآداب جامعة روما، وفي أثناء الدراسة سافر إلى القاهرة بصحبة ميكل انجلو جويدي، الذي كان أبوه يعمل أستاذا في الجامعة المصرية آنذاك، وهناك تعرف على كارلو ألفونسو نللينو (١٨٧٢-١٩٣٨)[١] الذي كان يقوم بالتدريس أيضا في الجامعة المصرية ضمن مجموعة كبيرة من الأجانب الذين نهضوا بهذه الرسالة الفكرية حينها انتدبتهم الجامعة للمشاركة في الارتقاء بمستواها.[٢]

عاد إلى روما واستأنف دراسته حتى حصل علي الليسانس (١٩٠٩)، ويبدو أن التكوين العلمي لدلافيدا كان متميزا، ومحصوله من الدراسات الإسلامية لا بأس به، واطلاعه علي التاريخ الإسلامي فتح أمامه أبواب المشاركة الإيجابية في الدراسات المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية؛ فأولا دعاه ليون كايتاني (١٨٦٩-١٩٣٥)[٣] إلى المساهمة في كتابه «حوليات الإسلام»[٤] دون أن يتضح حجم هذه المساعدة التى قام بها.

وثانيا اشتغل بتدريس اللغة العربية في المعهد الشرقي بنابولي لمدة عامين دراسيين (١٤-١٩١٦)، ولم يتوقف طموحه عند هذا الحد، فقد كانت همته تساعده علي تجاوز

---

(١) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص ٥٨٣.
(٢) الأجانب في الجامعة المصرية ص ص٢٣٩.
(٣) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص ٤٩٣.
(٤) أشار د.بدوي أن مساهمة ليفي في كتاب حوليات الإسلام يحيطها الغموض إذ إن كيتاني لم يشر في كتبه إلى هذا الأمر ، ولم يستطع أن يعرف حقيقة هذه المساعدة (موسوعة المستشرقين ص٢٤٦).

الصعاب، ونشاطه الدائب يدفعه إلى التحرك في كل مكان، ومن ثم بحث عن عمل أكثر فعالية يضعه في قلب النشاط العلمي، وكما يقولون من قرع ولج، وفعلا في سنة (١٩١٧) فاز في مسابقة بجامعة تورينو لشغل وظيفة أستاذ كرسي اللغة العبرية واللغات السامية، وبعد عام من التدريس فتح له الباب علي مصراعيه للولوج إلى جامعة روما ليحل محل أستاذه اجنتسيو جويدي (١٨٤٤-١٩٣٥) [1] في تدريس اللغات السامية، ولاشك أن هذا العمل المرموق في جامعة عريقة أتاح فرصة التواصل مع العلماء الإيطاليين والاحتكاك بجمهرة المسترقين، وفتحت أمامه كنوز المصادر الأصيلة والمراجع النادرة، فمضي في دروب الحياة يمارس العمل الذي يعشقه، ويمارس حياته كما يهواها؛ يقرأ ويكتب وينتج وينشر في مجلات المستشرقين في إيطاليا ومدريد واستمر في هذا الجهاد العلمي أكثر من عشر سنوات (١٩٢٠-١٩٣١) يسعد ببحوثه المعمقة، ويهنأ بحياته العملية إذ تزوج من امرأة مسيحية لم تتخل عن ديانتها.

٢- وكما هو دأب الحياة ولياليها الحبالى بالأحداث، وتصريف الدهر وتقلباته، يأتيك بما تكره من حيث لا تحتسب، فالحياة لا تسير على حسب ما نهوي، و لا تمنحنا كل ما نأمل فيه ونسعى لتحقيقه، فلها قوانين مغايرة لقوانيننا، ومسار مختلف عن مسارنا، وما تهبه لنا من يدها السخية في سنوات مديدة بعد تقطع أنفاسنا قد تأخذه في دقائق معدودة، ومن لا يوطن نفسه على تقبل حوادث الأيام ومصائب الدهر فهو غر أحمق، ولا يلومن إلا نفسه.

كانت الأيام تدخر لليفي مفاجأة غير سارة، وضربة قاضية تودي بكل آماله أدراج الرياح وتذهب مع الأعاصير التي تلم بحياة الناس دون سابق إنذار، ولا يجدون لها دفعا أو صدا.

وتحرير المسألة؛ صعود نجم موسوليني وسيطرته على الحكم، واستيلاء الفاشية على مفاصل الدولة في إيطاليا، وهذا أدي إلي تطهير الجامعة من أعضاء هيئة التدريس اليهود، وفي لحظة واحدة وجد ليفي نفسه سنة (١٩٣١) وحيدا خارج أسوار الجامعة يمضغ الحصرم ويلعق الحنظل بلا عمل وبلا هوية، مطاردا من الوطن الذي استظل بظله واستقر

---

(١) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص٢١٢.

في رحابه الفسيحة وعاشت فيه أسرته.

ولم يستكن لهذه اللطمة القوية، ولم يترك فرصة للحزن على ما جرى، ولكنه عزم أن يقاوم وأن يثبت للناس ولنفسه أنه جدير بأن يظفر بما يستحق وما يتناسب مع مواهبه ومحصوله العلمي وعمره الذي أنفقه في البحث والتنقيب في بطون الكتب، ومن حقه أن يجد له مكانا مرموقا في هذا الكون الفسيح.

توجه ليفي إلى مكتبة الفاتيكان للحصول على عمل، وتحقق رجاؤه ووجد فرصة ثمينة للعمل في فهرسة المخطوطات التي أبدعتها قرائح علماء الحضارة العربية الإسلامية ووجدت طريقها- بطريقة أو بأخرى - إلى رفوف مكتبة الفاتيكان وغير مكتبة الفاتيكان، وكان حصاد هذا العمل طيبا ومثمرا، نوه بجهوده المتميزة في هذا المضمار وأثبت قدرته على الجلد والصبر والمثابرة، ومهارته فيما يسند إليه من عمل.

٣- كان ليفي يعمل في مكتبة الفاتيكان وفي قرارة نفسه أن هذه محطة عابرة عليه أن يتجاوزها، وأن الإنسان لا يستطيع أن يحقق ما يصبو إليه بوثبة واحدة، أو بضربة قاضية كما نراها في حلبة الملاكمة، كان يدرك أن بناء المجد الشخصي يحتاج إلى تخطيط وصبر واجتهاد وأن الحياة في جميع الأحوال تؤخذ بالعزيمة القوية والإرادة الصلبة؛ كما يقول أحمد شوقي (ت ١٩٣٢):

وما نيل المطالب بالتمني...ولكن تؤخذ الدنيا غلابا.

لذلك كان يبحث عن عمل آخر يتناسب مع مؤهلاته وطموحاته، ولا يجد بديلا من تبوأ مكانا داخل الجامعة، وفكر في ترك وطنه الأصلي، والسعي إلى الذهاب إلى أمريكا هذه القارة الجديدة الواعدة التي يتوافد عليها الملايين من كافة فجاج الأرض يحلمون بالنجاح والمجد والمال، سافر ليفي سنة (١٩٣٩) قبل اندلاع الحرب ووجد في جامعة فيلادفيا وظيفة أستاذ اللغات السامية، وهو ذاته العمل الذي كان يمارسه سابقا، وعكف على عمله بجد واجتهاد، وهدأت نفسه واستقر إلى حد ما، حتى وضعت الحرب أوزارها وانتصر الحلفاء علي دول المحور وشنق موسوليني، وتغيرت القوانين، فقفل راجعا إلى جامعة روما مثواه الأول سنة (١٩٤٧) ليشغل كرسي اللغات السامية التي أجاد فيها

وأفاض، وأنتج وأبدع، ثم أسندت إليه الجامعة تدريس التاريخ الإسلامي، واستمر يزاول عمله المحبب إلى نفسه، إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة (١٩٦١) ثم استقبل الموت كما يستقبله ملايين البشر الذين يمضون إلى رب العالمين، وكما ذهب الأوائل يمضي الأواخر، وهكذا الحياة رحلة خلال سلسلة من وفيات، صار ليفي حيث صاروا، وطواه الموت في جوفه الفسيح سنة (١٩٦٧).[1]

ثانيا : جهوده العلمية :

تنوعت جهود ليفي العلمية، وتعددت ميادين بحوثه، واتسعت أمامه آفاق الإنتاج المثمر في مجال تصنيف المخطوطات وتحقيقها ودراسة الأدب العربي والتاريخ الإسلامي وشخصياته النافذة المؤثرة في حركة المجتمع سلبا أو إيجابا، و من الممكن حصرها في ثلاثة ميادين، علاوة علي عمله الواسع في فهرسة المخطوطات؛

- الكتابة في علوم الحضارة العربية الإسلامية.
- اللغات السامية؛ العبرية والسريانية.
- النقوش البونية (الفينيقية) الحديثة.

وسوف نشير إلى جهوده العلمية في مجال الدراسات العربية الإسلامية، وخدماته التي قدمها للحضارة الإسلامية:

١- فهرس المخطوطات العربية الإسلامية في مكتبة الفاتيكان، في مجلدين الأول نشر في (الفاتيكان ١٩٣٥) والثاني (الفاتيكان ١٩٦٥).

٢- أبحاث حول أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان.

٣- دراسة حول «قطع من القرآن بحروف كوفية» (الفاتيكان ١٩٤٧)

٤- مخطوطات عربية من أصل أسباني في مكتبة الفاتيكان.(الفاتيكان ١٩٦٢)

٥- دراسة عن الرسولﷺ وأصل الإسلام (١٩٢٣)

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٢٤٦/ ٢٤٧، العقيقي، ج١/ ٤٤٠.

٦- «خلافة الإمام عليّ، من خلال القراءة في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري.(١٩١٥)

٧- ترجم القسم الخاص بمعاوية الوارد في كتاب أنساب الأشراف بعنوان «خلافة معاوية الأول وفقا لكتاب أنساب الأشراف» (روما ١٩٣٨).

٨- استخلص جداول الأنساب العربية من كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي بعد أن أخفق في تحقيقه كاملا لسوء النسخة الوحيدة المودعة في الأسكوريال.

٩- تحقيق نصين قصيرين يدرسان حقيقة الخيول عند العرب، وأصحابها وأسمائها الشهيرة ومشاركتها في الحروب وصورتها في الشعر العربي، النص الأول لهشام الكلبي، والآخر لمحمد بن الأعرابي، (ليدن سنة ١٩٣٨)

١٠- دراسة حول «طبقات الشعراء» لمحمد بن سلام.والبحث نقد دقيق لنشرة يوسف هل (١٨٧٥-١٩٥٠)[(١)] لكتاب ابن سلام (١٩٢٠)

١١- «بعض أبيات من الشعر للخليفة يزيد بن معاوية» (١٩٢٦)

١٢- «السموأل» (١٩٦٣)

١٣- شارك في «دائرة المعارف الإسلامية» بمواد عن؛ الرسول ﷺ، الخوارج، عمر بن عبد العزيز، عثمان بن عفان، الأمويين، الأنساب العربية، بعد أن برع في هذا الميدان الذي درسه دراسة مستوعبة. كذلك أسهم في تحرير «دائرة المعارف الإيطالية» بمواد عن؛ العباسيين، بغداد، قرطاجة، تاريخ مصر الإسلامية، تدمر، البتراء.[(٢)]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- هذا مستشرق عاش عيشة الإنسان بكل ما تحمله الكلمة من معاني نبيلة وأخلاق سامية، تمسك بتراب وطنه إيطاليا الذي ولد على أرضه، ولم يرض بغيره بديلا، وحينما

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٦١١.

(٢) موسوعة المستشرقين ص٢٤٦/ ٢٤٨، العقيقي ج١/ ٤٤٠/ ٤٤١.

ساقته عوامل السياسة وقهر الفاشستية ونوائب الزمان خارج بلده، عاد إليها مع أول فرصة لاحت له، وشارك في بناء نظامه التعليمي، والارتقاء بمستواه العلمي، فضلا عن خدمة التراث العربي الإسلامي، من خلال بحوثه الرصينة والتحقيقات الدقيقة، و دراساته حول اللغة العبرية، وتراجم علماء اليهود لاسيما بعض المستشرقين المعاصرين له؛ أمثال دافيد سنتلانا، وليفي بروفنسال.

٢- لا يوجد في تاريخ ليفي أي حديث عن الحركة الصهيونية، أو مشاركة فيها أو ميل إليها، فقد عاش حياته بعيدا عن السياسة عاكفا على البحث العلمي، على الرغم من أنه عاصر انتصار الحركة الصهيونية وتأسيس دولتها النازية الإرهابية على أنقاض جثث الشعب الفلسطيني والعربي، ولم يرد في سيرته أنه زار إسرائيل أو تعاطف معها.

وهذا ما يدعونا إلى تقدير موقفه واحترام شخصيته والإشادة بمواقفه؛ لأنه لم يساعد الظلمة في ظلمهم، ولم يشارك المجرمين في جريمتهم؛ جريمة القرن العشرين التي مازلنا نعاني من آثارها حتى الآن،، ولم يشايع هذه الدعوات العنصرية التي أفضت في نهاية المطاف إلى اقتلاع شعب من جذوره وإحلال الجماعات اليهودية التي توافدت من الشتات وبقاع الأرض تنهش الفريسة وتقتسم الغنيمة.

٣- من الإنصاف أن نشيد بجهود ليفي في مجال تصنيف المخطوطات وفهرستها، إذ يقوم بوصف المخطوطة من حيث الشكل؛ عدد الصفحات والمسطرة والحبر وقلم الكاتب وتاريخ كتابتها، ثم من حيث الموضوع، أي الفن الذي تنتمي إليه؛ فلسفة أو تاريخ أو فقه، وينوه بموضوعها ثم يرقمها، وهذا جهد كبير لا يستهان به لاسيما إذا علمنا أن المجلد الأول يحتوي على ألف ومائتين مخطوط، والثاني مائتين وسبعين، ولاشك أن هذه خدمة جليلة للباحثين الذين يرتادون مكتبة الفاتيكان، إذ توفر عليهم جهودهم في البحث والتنقيب، وتسهل عليهم الحصول على المخطوط المراد دراسته أو تحقيقه في أسرع وقت، وتيسر لهم الاطلاع عليه.

٤- يلاحظ علي بحوث ليفي دقة التناول، والبحث في جزئيات الموضوعات والغوص علي المسائل الفرعية ومناقشة التفاصيل الدقيقة، والوقوف أمامها لمناقشتها

وتحليلها؛ كما نرى في دراسته حول آيات من القرآن الكريم كتبت بخط كوفي، و استخلاصه سيرة سيدنا عليّ من كتاب البلاذري، وكذلك سيرة معاوية بن أبي سفيان، ودراسته حول بعض أشعار يزيد بن معاوية.فمنهجه يغلب عليه النظرة التحليلية التجزيئية المتفحصة، أكثر من النظرة الكلية الشاملة.

وقد أشار د.بدوي لهذا الملحظ بقوله: «كان دلافيدا مولعا بالتحقيقات الدقيقة حول المسائل الصغيرة»[(١)].

٥- نبذة عن ابن الكلبي (ت٢٠٤هـ):

أبو المنذر، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، من علماء الكوفة، كان أبوه محمد بن السائب (ت١٤٦هـ) عالما بالتفسير والأنساب، ويعد هشاما من أعلم الناس بعلم الأنساب ومن الحفاظ المشهورين، واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم، له تصانيف غزيرة منها؛ حلف فضول، حلف بن عبد المطلب وخزاعة، بيوتات قريش، الموؤودات،، كتاب الخيل، الأصنام، وكذلك كتاب «جمهرة النسب»، وهو من محاسن الكتب في هذا الفن.[(٢)]

- كتاب جمهرة النسب:

اهتم العرب اهتماما كبيرا بتوثيق أنسابهم، إذ كانوا يفتخرون بالبطن التي انحدروا منها والفخذ الذي انسلوا منه والقبيلة التي يتتسبون إليها، وكان الشعراء بمثابة أجهزة الإعلام المعاصرة الذين يشيدون بفضائل القبيلة ويذكرون مكارمها مثل؛ نجدة الملهوف وإكرام الضيف ونصرة المظلوم، لذلك تخصص بعض علمائهم، في ذكر الأنساب وتوضيح خريطة كل قبيلة ونسبها وذكر جدودها وصفاتها وفروعها وامتدادها في التاريخ، وكتاب ابن الكلبي، يمضي في هذا الميدان، إذ يضم أنساب العدنانيين والقحطانيين، ويشير إلى كافة القبائل التي انحدرت منها مع ذكر الجدود الذكور والإناث، ويتوقف طويلا أمام

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٢٤٨.

(٢) معجم الأدباء، ج ١٩ / ٢٨٧-٢٩٢ ، تاريخ آداب اللغة ج٢/ ١٥٢، الأعلام ج٤/ ٨٨.

نسب الرسول ﷺ وبني هاشم ويوفيه حقه بطبيعة الحال.

٦- محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (١٥٠-٢٣١ هـ / ٧٦٧-٨٤٤م):

ابن الأعرابي من موالي بني هاشم، ولد بالكوفة، كان أبوه عبدا سنديا، من جهابذة اللغة ورواة الشعر، عالما بالأنساب، ربيب المفضل الضبي تربي في حجره، أخذ الأدب عنه وعن أئمة اللغة في عصره ومنهم؛ أبي معاوية الضرير والكسائي وثعلب، حتى صار إماما في اللغة، كان له مجلس علم يجتمع فيه جمهرة العلماء ومحبي اللغة وأشعارها يتدارسون ويتناقشون، وهو يشرح ويحكم في القضايا اللغوية بداهة، له مؤلفات كثيرة منها؛ كتاب معاني الشعر، تاريخ القبائل، كتاب النوادر، صفة النخل، وكتاب الخيل.[1]

٧- نبذة عن محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م):

أبو عبد الله محمد بن سلام، مولى قدامة بن مظعون، ولد في البصرة، قدم بغداد، نهل علوم العربية من علمائها وأمضي حياته فيها، كان عالما بالشعر والأخبار، من مصنفاته؛ طبقات الشعراء الجاهليين، طبقات الشعراء الإسلاميين، توفي (٢٣١هـ).[2]

- اشتُهر كتاب طبقات الشعراء الذي ترجم فيه ابن سلام لفحول الشعراء العرب وقسم كتابه بطريقة منهجية؛ راعى فيه التسلسل التاريخي إذ وضعهم في طبقات، ثم يشير إلى نبذ من سيرتهم وشمائلهم ونوادرهم ونماذج من أشعارهم والمناسبة التي قيل فيها، فبدأ بفحول شعراء الجاهلية، وصنفهم في عشر طبقات، وثنى بطبقة شعراء المراثي وشعراء مكة والطائف والبحرين واليهود، ثم توقف طويلا أمام شعراء الإسلام وقسمهم أيضا عشر طبقات، والكتاب يعد من المصادر الأصيلة، وله شهرة عند مؤرخي الأدب العربي، ودارسي الشعر الجاهلي والإسلامي. حققه المستشرق الألماني يوسف هل (١٩١٣)[3] وبذل فيه مجهودا طيبا، كذلك حققه الشيخ العلامة محمود شاكر، تحقيقا علميا متميزا،

---

(١) وفيات الأعيان ج٦/ ، تاريخ آداب اللغة ج٣/ ١٠٨ بروكلمان ج٢/ ٢٠٣، بدوي : الفلسفة والفلاسفة ص ١٦١ .

(٢) بروكلمان ج٢/ ١٥٢.

(٣) ترجمته في ، موسوعة المستشرقين ص ٦١١.

استدرك فيه على أخطاء «يوسف هل»، كتب له مقدمة تعريفية ضافية دقيقة، بأسلوبه العربي الفصيح، وشرح ألفاظه الغامضة ومعانيه العويصة، نشرته دار المعارف المصرية.

٨- السموأل (ت٥٦٠م):

- السموأل بن غريض بن عاديا الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، من شعراء اليهود الكبار، من سكان خيبر، وصاحب حصن الأبلق بتيماء، يضرب به المثل بالوفاء والكرم، وقصته مشهورة مع امرئ القيس حينما أودعه سلاحه، وكان حصنه يستقبل الذين يطرقونه ليلا وينزلون به نهارا ويكرمهم غاية الكرم.[١]

٩- من حقنا أن نقارن بين موقف العرب من اليهود في كل العصور وموقف أوربا؛ ففي حين تمتع اليهود بكافة حقوقهم في أرجاء الدولة العربية الإسلامية على طول اتساعها، وتملكوا البنوك والشركات والمصانع والمحلات الكبرى والأطيان الشاسعة؛ ومصر أنموذجا، نجد أن جميع مواطني دول أوربا كرهوهم كراهية عنيفة، وتشاءموا من وجودهم، وكان إذا ظهر مرض من الأمراض في إحدى الدول أرجعوا سببه إلى وجود اليهود، لذلك قيدوا حركتهم ومنعوهم من الانتقال من مقاطعة إلى أخرى إلا بتصريح من عمدة البلد، فضلا عن الألقاب التي خلعوها عليهم؛ مثل اليهودي المرابي، البخيل القذر...وهكذا ساموهم أشد العذاب ونكلوا بهم جراء مسلكهم المريب، وشيطنتهم التي لم تتوقف عبر الزمان.

هذا الموقف نفسه وقفه العرب منهم، قبل بداية الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها كانوا يعاملونهم كمواطنين عرب لهم جميع الحقوق التي تمنح لأي مواطن مصري أو عراقي أو يمني أو مغربي، وفتحوا لهم صدورهم ودورهم، فتملكوا العقارات والمزارع والمصانع وأنشئوا الصحف والمجلات، ليس هذا فحسب بل إن الجامعة المصرية - كما رأينا سابقا - فتحت لهم أبوابها واستقدمتهم ومنحتهم رواتب مجزية، في حين أن السلطة السياسية في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا طاردوهم في كل مكان، وفصلوهم من وظائفهم وترصدوا لهم كل مرصد، وتتبعوهم ينزلون بهم سوء العذاب وضروب الهوان.

---

(١) تاريخ الآداب العربية ج١/ ١٤٤، ، تاريخ الأدب العربي ج١/ ١٢٢ ، الأعلام ج٣/ ١٤٠.

وكان جزاء هذا العرفان والتسامح؛ أن تآمرت أوربا مع زعماء اليهود، وصدروا المشكلة إلينا فساعدوهم بالغدر والخيانة، وأمدوهم بأسباب القوة لإنشاء دولة لهم على جثث شعوبنا، وهذا جزاء سنمار كما يقول المثل العربي.

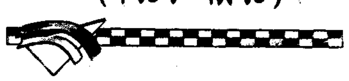
١٠- وقف د.بدوي منه موقفا إيجابيا، وبخاصة أنه تعرف عليه في إيطاليا وتعامل معه مباشرة، وقد تبادلا الكتب، و عقب كل منهما على ما كتب صاحبه وأظهر رؤيته في منهجه، أضف إلى ذلك مدح أخلاقه، وقرظ كتبه، وهذا أمر نادر أن ينال أحدا كائنا من كان رضي د.بدوي وإعجابه، يقول: «كان ليفي إنسانا رفيع الأخلاق دمث الطباع، عرفناه في روما وجرت بيننا مراسلات بمناسبة ما أهدى إليه أو يهدي هو إليّ من مؤلفات.... وكان أسلوبه جميل يمتاز بالحركة والرشاقة وطلاوة العبارة.»[(١)]

***

(١) موسوعة المستشرقين ص٢٤٩.

١٩- ليو أري ماير Leo Ary Mayer

(١٨٩٥- ١٩٥٩)



أولا: نبذة عن حياته:

ولد في استانسلان (بولندة النمساوية)في سنة (١٨٩٥)، تلقي معظم تعليمه في بولندا، وأكمل تعليمه الجامعي في جامعة فيينا، تشبع بالأفكار الصهيونية، اقتنع بالباطل وصدق الأساطير، وآمن بحق إنشاء دولة لليهود في فلسطين، وفي سنة (١٩٢١) هاجر مع آلاف البولنديين الذين كانت تساعدهم الوكالة اليهودية العالمية على الانتقال إلى فلسطين، وإنشاء المستوطنات لاستقبالهم، وتوفير مقومات الحياة؛ من مصانع ومزارع ومؤسسات تعليمية، و استقر في فلسطين ورتب حياته على هذا الاستقرار، واستأنف حياته في وكر الشيطان.

في سنة (١٩٢٥) بدأ خطواته العملية فعمل مدرسا في معهد الدراسات الشرقية، التابع للجامعة العبرية في القدس.وأثبت كفاءة في عمله ونشاطا ملحوظا فرقي أستاذا في سنة (١٩٣٢) واستمر يعمل أستاذا فترة طويلة حتى سنة (١٩٥٨)، وفي أثناء ذلك أصدر مجلة متخصصة عن الآثار والفنون الإسلامية بعدة لغات، ثم انتقل من العمل الأكاديمي إلى المناصب الإدارية؛ فعمل عميدا لمعهد الدراسات الشرقية، فعميدا لكلية الآداب، وختم حياته الأكاديمية بتعيينه مديرا للجامعة العبرية سنة (١٩٤٣- ١٩٤٥) ثم انتقل لرئاسة بعض الجمعيات؛ ومنها رئيسا لجمعية الاستكشاف الإسرائيلية (١٩٤٠- ١٩٥٩) ورئيسا للجمعية الشرقية الإسرائيلية.

عاش ماير بقية حياته في فلسطين السليبة، يساعد هذا الكيان المغتصب على تبرير مواقفه العنصرية وتسويغ سياسته الاستيطانية، وتثبيت أركانه وتشجيع عدوانه على العرب، وإطالة عمره في أرض المسلمين والمسيحيين، ومات فيها سنة (١٩٥٩) [١].

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٥٣٩ ،العقيقي ج٢/ ٢٨٦.

ثانيا: جهوده العلمية:

تركزت جهوده في البحث عن الآثار الإسلامية، وقام بحفائر مع مساعد له يدعى سوكنك، حول السور الثالث لمدينة القدس.

واشتهر بدراساته العلمية حول الملابس والنقود والنقوش في الحضارة العربية الإسلامية؛ ومن هذه البحوث:

١- تحقيق ونشر مخطوط «الذيل لكتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» لمجير الدين العليمي الحنبلي. (سنة ١٩٣١).

٢- نقود الفاطميين.(سنة ١٩٣٢).

٣- الرنوك والنقود والمنحوتات الإسلامية.(سنة ١٩٣٣).

٤- وقفية قايتباي.(لندن ١٩٣٨).

٥- الملابس في عصر المماليك. (سنة ١٩٥٢)

٦- المهندسون المعماريون المسلمون وأعمالهم.(سنة ١٩٥٦)

٧- كثير من البحوث الأخرى تدور حول الآثار الفلسطينية العربية الإسلامية. نشرها في مجلات متفرقة وسنوات متتالية.[1]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- هذا مستشرق صهيوني في الصميم، يعلن ذلك بلا مواربة ويشارك بجهده وعلمه في إنشاء هذا الكيان المغتصب؛ عِش الشياطين وموئل الأبالسة، وقد سافر إلى فلسطين في فترة نشاط الحركة الصهيونية التي وضعت خطة واسعة لشراء الأراضي الفلسطينية بالقوة والإغراء والخداع، وجلب اليهود من الخارج وزرعهم في فلسطين، وتقديم كافة الإغراءات لهم؛ وكان ماير ضمن هذه الأفواج الانتهازية التي تدفقت من شرق أوربا، ومنها الهجرات البولندية، التي أصبح من أفرادها زعماء لإسرائيل وقوادا كبارا، وكان منهم هذا الرجل الذي تركز عمله في إعداد جيل من الشباب اليهودي المتعصب، وبناء أفكاره وإعطائه شحنة أيديولوجية وجرعة معرفية، هذا الجيل هو الذي

(١) العقيقي ج٢/ ٢٨٦-٢٨٧.

حارب بعد ذلك في حروب إسرائيل التي خاضتها مع دول الوطن العربي ظلما وعدوانا.

٢- من مميزات الاستشراق؛ التخصص العلمي الدقيق في مجال من مجالات العلوم، وهذا ما نراه عند ماير بشكل واضح، إذ تخصص في دراسة الآثار الإسلامية بعامة والآثار الفلسطينية بخاصة، بالنسبة للشق الأول؛ دراسة الآثار الإسلامية لا غبار عليه ولا أحد يعترض على ذلك، ليس هذا فحسب بل أمر نشجعه ونقدره لأن التراث الإسلامي نتاج العقل وإبداعه، وهو ملك للبشرية، ومن حقها أن تنهل منه في حياتها وتستفيد منه في مسارها.

أما الشق الثاني المتعلق ببحوثه وحفرياته في فلسطين، فلم تكن من أجل البحث العلمي ودعم التاريخ الفلسطيني، ولكن من المؤسف أنها كانت لخدمة المشروع الصهيوني، ومساعدة الجماعات اليهودية التي تعيش في الشتات وإغرائها للقدوم إلى فلسطين واقتلاع شعبا يعيش من آلاف السنين في هذا الوطن، ومن ثم فماير شارك في تنفيذ الجريمة، وسوف يحاسبه تاريخ البحث العلمي، بأنه وظف علمه لخدمة حركة عنصرية استيطانية نازية.

٣- مجير الدين العليمي (٨٦٠- ٩٢٨هـ/ ١٤٥٦- ١٥٢٢م)

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن؛ مؤرخ باحث، من أهل القدس، كان قاضي قضاة القدس، مولده ووفاته فيها، من أهم مؤلفاته؛ «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل».

يتحدث المؤلف عن المدينتين حديث المحب لوطنه من خلال المعايشة اليومية، و يلقي نظرة تاريخية وصفية تحليلية علي المدينتين، وما جاء في أخبارهما والآثار الإسلامية الموجودة فيهما، وأهم المعارك الحربية التي دارت حولها وأشهر القواد الذين قادوا هذه المعارك، والأحاديث النبوية الواردة في القدس ومكانتها عند المسلمين، والكتاب في مجلدين، طبع في مصر (١٢٨٣هـ)، وله أيضا «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد».[١]

(١) تاريخ آداب اللغة ج٣/ ١٩٨، الأعلام ج٣/ ٣٣١

دلالة نشر الكتاب لا تخفى على الحصيف؛ فماير يريد أن يظهر البعد التاريخي للمدينتين، ويشير بطريقة أو أخرى أن اليهود كانوا يعيشون هنا ثم توالت عليهم المحن والمصائب من الفرس والروم والعرب، لكن جذورهم موجودة، وهذا يعطيهم الحق التاريخي للعودة إليها مرة أخرى، لذلك يحتفل الإسرائيليون في (١٥ مايو) من كل عام بما يسمى عيد الاستقلال (عام النكبة عند العرب).

٤- وقفية الأشرف قايتباي (٨١٥-٩٠١ هـ/ ١٤١٢-١٤٩٦).

قايتباي المحمودي الأشرفي، سلطان الديار المصرية، كان من المماليك الجراكسة اشتراه الأشرف برسباي بمصر، وصار إلى الظاهر جمقمق بالشراء، فأعتقه واستخدمه في جيشه، فانتهى أمره إلى أن كان «أتابك» العساكر في عهد الظاهر تمربغا (سنة ٨٧٢هـ) وقد اشتهر المماليك بالمؤامرات، وقتل قوادهم، كلما نصبوا سلطانا عليهم نكلوا به واغتالوه واختاروا بديلا عنه، لذلك خلع المماليك تمر بغا في السنة نفسها، وبايعوا قايتباي بالسلطنة، وكانت سنوات حكمه حافلة بالعظائم والحروب، إذ صد العثمانيون حينما حاولوا أن يحتلوا حلب، لكن في الوقت نفسه لم يستطع أن يعاون صاحب غرناطة حينما استغاثه لإعانته لصد الفرنجة، فسقطت غرناطة.

ويقال إنه كان محبا للعلم، زاهدا متصوفا، فارسا شجاعا، استمر في حكمه إلى أن توفي بالقاهرة.[1]

-الأوقاف: اشتهر المماليك بمظالمهم للشعب المصري، وكتب التاريخ حافلة بذلك، ولإحساسهم الداخلي بالإثم والجور على فئات الشعب المغلوبة على أمرها، كانوا يحاولون أن يتطهروا من هذا الإثم وطلب الغفران من الله وتقربا إليه عن طريق الأوقاف، أي بناء المساجد والخانقاه (بيوت للصوفية)ومدارس العلم والأسبلة، والأراضي الزراعية والمكتبات والمصاحف والمخطوطات، ويوقفون عليها الأموال العظيمة للإنفاق عليها، وجعلها صدقة جارية في أبواب البر والخير.

(١) الأعلام ج٥/ ١٨٨.

وقد قام قايتباي؛ بعمارة مسجد الخيف بِمنى، وحفر صهريجا، وعمر بركة خليص وأجرى العين إليها، وعمر عين عرفه، وعمر سقاية العباس، وأصلح بئر زمزم والمقام، وكان يرسل الكسوة الشريفة للكعبة، علاوة على بناء المساجد والمدارس والرباطات للفقراء وإنشاء المكتبات، من أجل الإحسان لأبناء وطنه.(١)

٤- الملابس في عصر المماليك:

هذا كتاب طريف في موضوعه، وغير مطروق من طرف المؤرخين، جاء الحديث عنه متناثرا في كتب مثل؛ المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا (ت ٧٣٢هـ) والبداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ، و صبح الأعشى للقلقشندي (ت٨٢١هـ) والخطط للمقريزي (ت ٨٤٥هـ) والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) وغيرها من كتب التاريخ التي تناولت الجانب الحضاري من التاريخ الإسلامي فتعرضوا إلى هذه المسألة بشكل عرضي حينما يذكروا أخبار العوام والأدباء والشعراء و الأمراء والخلفاء، ثم يتطرقوا إلى وصف مأكلهم و ملبسهم ومسكنهم.

جاء هذا الباحث يجمع هذه الشذرات و الملتقطات ويكون منها موضوعا متكاملا، وبحثا مترابطا يتناول قضية واحدة هي ملابس النساء و ملابس الخلفاء في عصر المماليك.

٥- المهندسون المعماريون المسلمون:

- يعد كتابه عن المهندسين المسلمين أهم كتبه، و هو جديد في فنه، وطريف في بابه، ولم يفرد أحد من المؤرخين القدامى كتابا مستقلا لشرح دور المهندسين المسلمين وفنونهم المعمارية؛ ففي حين أشار الجاحظ للأطباء المسلمين والنصارى، أفرد بعض المؤرخين كتبا عن الحكماء والفلاسفة مثل؛ إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (ت ٦٤٦هـ) و عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ) علاوة على ذلك هناك كتب طبقات الشعراء، ومعجم الأدباء، وطبقات الحفاظ وطبقات المعتزلة وهكذا، وكل هذه الكتب تترجم لأعلام فئة معينة كما هو مفهوم من عنوانها هذا من جهة، ومن جهة أخرى

(١) العيدروسي : النور السافر ص١١.

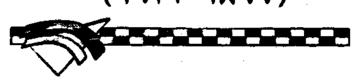
أن من يريد أن يبحث عن دور المهندسين في الحضارة العربية عليه أن يرجع إلى كتب الطبقات وتراجم العلماء التي تتعرض لتراجم كافة العلماء بشكل عام دون تخصيص؛ مثل وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) إذ يقدم تراجم شاملة للأدباء والعلماء والأمراء والخلفاء والفلاسفة والأطباء والمهندسون دون تمييز، ثم يقوم بجمع المواد العلمية الخاصة بالمهندسين وسيرة حياتهم وأعلامهم، وتركيب موضوع متكامل مترابط البنيان، تسري فيه الوحدة الفكرية والعضوية.

ومن جهة ثالثة قام ماير بهذا الدور وجمع المادة العلمية من مظانها المختلفة ومن بطون المراجع وصنف منها كتابا متميزا، الذي يعد من بواكير الكتب الحديثة التي تناولت هذا الجانب الحضاري المتعلق بالفن المعماري عند المسلمين، وقد كتب كثير من المؤرخين العرب والأوربيين عن تأثر الفن المعماري الأوربي، الذي اقتبسه من العمارة الأندلسية بعد الاحتكاك الواسع بين العرب وأوربا.

***

٢٠- ليو اشتراوس Leo Strauss

(١٨٩٩-١٩٧٣)



أولا: نبذة عن حياته:

فيلسوف وعالم سياسي ألماني أمريكي يهودي، اهتم اهتماما واسعا بالفلسفة السياسية، وانصبت جهوده علي فلسفة الفارابي (ت٣٣٩هـ) من المسلمين، ومن بني جلدته موسي بن ميمون.

ولد في ألمانيا عام (١٨٩٩) والتحق بأكاديمية الأبحاث اليهودية في برلين (١٩٢٥) وحينما سيطرت النازية علي الحكم، وكانت تكره اليهود كراهية عنيفة لأعمالهم المشئومة ومؤامراتهم المستمرة وتخريبهم اقتصاد ألمانيا، لم يجد اشتراوس مفرا إلا أن ينجو بنفسه، فولي وجهه شطر أمريكا ووجد صدرا رحبا، وملاذا آمنا وبلدا مناصرا لأطماع الحركة الصهيونية، فاستقر فيها ووجد عملا يساعده علي تثبيت جذوره في هذه الأرض الجديدة الواعدة، فعمل بالتدريس في المدرسة الجديدة للأبحاث الاجتماعية في نيويورك، واستمر فيه إلي عام ١٩٤٩، إذ ظفر بوظيفة مرموقة في جامعة شيكاغو أستاذا للعلوم السياسية، وظل يمارس التدريس إلي أن أحيل إلي التقاعد عام (١٩٦٨) وتوفي عام ١٩٧٣.[١]

ثانيا: جهوده العلمية:

- محور دراسات اشتراوس تتناول الفكر السياسي الغربي بالنقد والتحليل، ويركز على قضية الخلاف بين فكر القدماء وفكر المحدثين، علاوة على قضية العلاقة بين الفلسفة والدين؛ وهذا دفعه إلى دراسة وتحليل النصوص عند القدماء اليهود والمسلمين وكيفية استيعابهم خلال العصور الوسطى للفلسفة اليونانية.وتجلى نموذج ذلك في دراسة موقف اسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) من الدين ونقده للكتاب المقدس.

(١) موسوعة المستشرقين ص ٣٣

ونستطيع أن نرصد أهم كتبه في علم السياسة:

- الفلسفة والشريعة، صدر في عام (١٩٣٥)وفيه عقد مقارنة مطولة بين الفكر السياسي عند الفارابي وموسي بن ميمون.

- في الطغيان، (عام ١٩٤٨، ١٩٦٣).

- الحق الطبيعي والتاريخ (عام ١٩٥٣)

- آراء في ميكيافلي (عام ١٩٥٨)

- ما الفلسفة السياسية؟(عام ١٩٥٩)[(١)]

- **فن الكتابة:**

يتناول فكرة طريفة، في فكر موسي بن ميمون، وهاليفي، وسبينوزا، إذ يري أن عصور الاضطهاد التي مر بها هؤلاء المفكرون اليهود، وما عانوه من صعاب، وما لاقوه من إيذاء من الدول التي رحلوا إليها أو استقروا فيها دفعهم إلي أن يستعملوا أسلوبا خاصا يغلب عليه التلميح دون التصريح، ويتسم بالتورية والغموض، والإشارة السريعة دون الإفصاح عما في ضمائرهم خوفا من البطش والعقاب، ولهذا يري اشتراوس أن الواجب إعادة دراسة فكر هؤلاء العلماء قراءة معمقة تقرأ مابين السطور وتغوص في باطن النفس تستجلي الحقيقة وتستبطن المضمر في الأعماق.

ويري د. عبد الرحمن بدوي أن اشتراوس قد بالغ مبالغة واسعة في الأمر، وأفرط في تأويل النصوص وحملها ما لا تحتمل، وتجاهل التفسيرات المعهودة عند الناس، ولاشك أن هذا منهج خطر يجافي قواعد المنهج العلمي.[(٢)]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- لا ضير أن نعيد التأكيد بأن معظم اليهود، لا يشعرون بالانتماء إلى الأوطان التي ولدوا فيها، وأنهم مستعدون للفرار منها أو مغادرتها مع أول ظهور لبوادر الخطر، فهم

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٣٣،

(٢) بدوي : موسوعة المستشرقين ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ٢٠٠٣، ص ٣٣

يعتنقون فلسفة «المنفعة» كما نراها عند بنتام (ت ١٨٣٢)، تدور معهم وجودا وعدما، فهم يحطون في المكان الذي يحقق لهم أكبر قدر من المصالح الذاتية والمنافع المادية مثل الطائرات المروحية.

أما الأوطان فليس لها اعتبار في حساباتهم، أو تهز وجدانهم أو تحرك عواطفهم عندما يتركونها، وهذا المنطق ذاته ينطبق على اشتراوس الذي غادر وطنه دون أن يبالي، تركه مهاجرا إلى حيث يحقق منفعته الذاتية.

٢- يُلاحَظ أن إشتراوس مفكر سياسي محافظ، وهو أمر نادر بين المفكرين من أعضاء الجماعات اليهودية، إذ يُلاحَظ أن معظم المفكرين السياسيين الغربيين من أصل يهودي ينتمون إلى التقاليد الثورية أو الليبرالية.

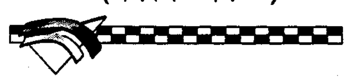
ومع هذا، يُلاحَظ أن هناك تحولاً واضحاً منذ السبعينيات في هذا النمط إذ بدأ مفكرون كثيرون من أصل يهودي في تبنِّي الفلسفة المحافظة واتخاذ مواقف رجعية.[(١)]

* * *

(١) المسيري: الموسوعة اليهودية ج٣/ ٢٦٧

٢١- مارتن بلسنر Martin Plessner

(١٩٠٠-١٩٧٣)



أولا: نبذة عن حياته:

مستشرق يهودي ولد عام (١٩٠٠) في برسلاو شرق ألمانيا (تتبع الآن بولندا)، تلقى دراسته المتوسطة والعليا في مدارس ألمانيا وجامعتها، واشتغل فترة من الوقت محاضرا في معهد العلوم الشرقية بجامعة فرانكفورت، ثم حاول أن يقترب من دائرة المستشرقين ويعيش في كنفهم ويستفيد من خبراتهم ويقتبس منهجهم، لذلك سعي إلى الاقتراب من دائرتهم، فعمل مساعدا للمستشرق الكبير هلموت رتر (١٨٩٢- ١٩٧١)[١] الذي اشتهر بتحقيقاته الواسعة للمخطوطات العربية، وبخاصة مقالات الإسلاميين، والوافي بالوفيات، في جامعة همبورج، للعمل في مجال المخطوطات، ثم انتقل للعمل في معهد برلين لتاريخ العلوم في الفترة من (١٩٢٧- ١٩٢٩) مع المستشرق الألماني روسكا (١٨٦٧- ١٩٤٩) وهو من كبار الباحثين في تاريخ العلوم في الإسلام.[٢]

مع صعود الحزب النازي للحكم، وبداية الاضطهاد لليهود في ألمانيا، يعود بلسنر لذاكرته الباطنية، ويجتر الأساطير القديمة، وتظهر جرثومة الخوف تطارده، والقلق النفسي يغطي على عقله، ولا يرى في ألمانيا التي ولد على أرضها وتعلم في مدارسها وتشرب علومها واستفاد من خبرات علمائها، واستمتع بخيراتها، إلا «فندق» يقيم فيه فترة ثم يحمل حقيبته ويرحل؛ مثل البدو الرحل الذين يبحثون عن الكلأ لأغنامهم في الصحراء، لا يحمل لوطنه أي إحساس بالمحبة أو شعور بالانتماء وأنه جزء منه وهو جزء منه أو عواطف إنسانية تشده لكل ذرة فيه، هناك خواء في العواطف وفراغ في الوجدان وموت في الضمير.

---

(١) ترجمته في : موسوعة المستشرقين ص ٢٧٧

(٢)- ترجمته في : موسوعة المستشرقين ص ٢٨٩

هاجر بلسنر إلى فلسطين عام (١٩٣٣) بعد أن نحى الضمير الوطني إذا كان هناك ضمير من أصله، والعواطف الإنسانية، وقلع نفسه مثل الفسيلة دون أدني شعور بالإثم أو تأنيب الضمير للوطن الذي تركه خلفه، في الوقت الذي بلغت فيه الحركة الصهيونية أوج نشاطها وأصبحت الأسطورة حقيقة على الأرض أو كادت، ولم يجد إلا وظيفة مدرس للغة العربية في مدرسة ثانوية في مدينة حيفا، واستطاع أن يكتب بعض الكتب التعليمية، وكان هذا من أوائل الكتب العبرية الحديثة لتعلم العربية.

ومع التوسع الاستيطاني في فلسطين وامتداد هذا الإخطبوط إلى قلب فلسطين واشتداد ساعد الحركة الصهيونية، امتد أيضا إلى قلب مدينة القدس، وبدأ إنشاء المدارس فيها، في وسط هذا الصراع المحموم و الفوضى الصاخبة، انتقل بلسنر إلى التدريس في إحدى مدارس القدس عام (١٩٤٥)، ومع قيام الكيان الصهيوني عام (١٩٤٨)، توسع في بناء المؤسسات لاستيعاب الهجرات التي وفدت كالجراد الصحراوي القاتل أنشأت وظائف متعددة لاستيعاب الهجرة اليهودية، في هذا المناخ الحزين، وجد بلسنر عملا أفضل، فصار أمينا لمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية بالقدس، ثم عين مدرسا فيها عام (١٩٥٢- ١٩٥٥) وظل يمارس عمله حتى داهمه داعي الموت فاستسلم له بلا مقاومة، كما استسلم سعيد مهران في اللص والكلاب بعد أن أحاطت به الشرطة والكلاب من كل جانب فلم يجد جدوى من المقاومة، وتوفي بلسنر عام ١٩٧٣.[1]

ثانيا: جهوده العلمية:

يقرر علماء النفس أن هناك فروقا فردية بين البشر، إذ تتفاوت قدراتهم العقلية والجسمية مابين القوة والضعف، والذكاء والغباء، والنشاط والخمول، وتتداخل عوامل البيئة والوراثة في تكوين قدراتهم العقلية وملكاتهم النفسية و تشكيل شخصيتهم الإنسانية، ومن الواضح أن قدرات بلسنر العقلية متوسطة، ويخلو من المواهب الفذة عاطل عن الملكات، ضعيف الهمة، متدن في مستوى الطموح، هذه المقدمات المحبطة لا

---

(١) موسوعة المستشرقين ص١٣١، العقيقي: المستشرقون ج٢/ ٤٥٧.
(٢) موسوعة المستشرقين ص ١٣١.

تعطينا إلا نتائج سلبية؛ وهذا ما نراه في إنتاجه العلمي فأغلبه مجموعة من المقالات، والبحوث المختصرة التي نشرها في مجلات المستشرقين، وسوف ننوه بأهمها لاسيما ما يتعلق بالحضارة العربية الإسلامية.

١- دراسة عن ابن وحشية.(١٩٢٨).

٢- كتب في الطبعة الثانية لدائرة المعارف الإسلامية بعض المواد العلمية منها؛ قرقوب (مدينة في خوزستان) - كوتا (مدينة في العراق)كهربا - حجر هرمس)

اقتصر د.بدوي على الإشارة إلى هذه البحوث، على أن د. العقيقي يضيف لمؤلفاته مايلي:

١- مباحث في أسس الكيمياء العربية وتأثرها بنظريات فلاسفة اليونان.(١٩٣٠)
٢- ترجمة مقالة في الشعر لأرسطو إلى العربية.(١٩٣١)
٣- كشاف بالمخطوطات العربية للطب والعلوم (١٩٥٦)
٤- جابر بن حيان (١٩٦٥)[١]

- ذكر ماكس مايرهوف بأن مارتن بلسنر على وشك إخراج بحث كبير عن أبي سليمان المنطقي (٣٩١هـ) ومدرسته، ولكن بعد البحث وتحري هذا الخبر ثبت أنه لم يف بوعده.[٢]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- ذكرنا أننا بصدد باحث متواضع القدرات العقلية، هزيل الإنتاج العلمي، لا تتسم بحوثه بالعمق المعهود عند جمهرة المستشرقين، أو الموضوعات الطريفة التي يعكف المستشرق على البحث فيها وإنتاجها ثم تقديمها للقراء بفخر واعتزاز، ورأينا أنها بحوث

(١) العقيقي : المستشرقون ج٢/ ٤٥٨

(٢) من الإسكندرية إلى بغداد ص ٨٨٦ (التراث اليوناني ترجمة د.بدوي ، القاهرة ، ١٩٤٠)،ولكن لم يصدر الكتاب ، ولم نسمع من مصدر آخر أنه ألفه ، وكنت قد تحريت الأمر في أثناء تأليفي لكتابي أبو سليمان السجستاني وآراؤه الفلسفية ، وانتهيت منه ، طبع في دار القلم ، دبي ، الإمارات، ٢٠٠٧.

متفرقة ليس بينها وحدة عضوية، ومعظمها اقتصر على تصنيف المخطوطات بمكتبات ألمانيا وفهرستها وتبويبها قبل هجرته إلى فلسطين المحتلة، «وبالجملة إن إنتاجه العلمي ضئيل تافه ولولا الرغبة في الإحاطة لأضربنا عن ذكره.» [(١)] على حد تعبير عبد الرحمن بدوي

٢- نعتقد أن هجرته إلى فلسطين المحتلة ليست بدافع الوطنية ولا الإيمان بالأساطير اليهودية، ولا تلبية نداء الحركة الصهيونية لليهود الذين يعيشون في العالم، ولا يدخل تحت أي مشاعر عاطفية أو دوافع وطنية تتعلق بأرض الميعاد أو لواعج الحب المشبوب بالوطن المزعوم؛ لاشيء من هذا كله.

نعتقد أن سبب ذلك يرجع إلى العامل المادي والفرص المتاحة لتأمين سبل العيش!!، فالرجل فشل في إثبات جدارته في وطنه الأم ألمانيا، ولم يستطع أن يحقق مكانة علمية تذكر، أو وظيفة مرموقة في السلم الاجتماعي، أو ينشر بحوثا ذات مستوي علمي محترم، ومن ثم حينما سمع نداء البوم ونذير الشؤم الآتي من الحركة الصهيونية وإغراءاتها المالية، ووعودها في أرض اللبن والعسل، ولما كان يفتقد الحس الوطني، ولا توجد لديه مشاعر الحب أو الانتماء تجاه ألمانيا وبيته فيها أوهى من بيت العنكبوت، لذلك حمل حقيبته وسافر يبحث عن فرصة للعمل، ووجد الفرصة متاحة واستلم الوظيفة التي تؤمن له حياته واستقر في فلسطين المحتلة مع آلاف من المغامرين الأفاقين أمثاله الذين احتلوا أرضنا بقوة السلاح وتآمر الدول الكبرى، وضعفَنا المخزي وقلة حيلتنا وهواننا على أنفسنا وعلى العالم أجمع.

ودليلنا على ذلك أن معظم المستشرقين اليهود الكبار وأصحاب المؤلفات المتميزة، والمكانة المرموقة، والذين شغلوا في دولهم مراكز علمية يشار إليها بالبنان لاسيما في الجامعات ومراكز البحوث، لم يضحوا بذلك ويهرعوا للهجرة إلى فلسطين والأمثلة كثيرة منهم؛ جول أويرمن(ت١٩٥٦) ليفي دلافيدا (ت١٩٦٧) ليفي اشتراوس (١٩٧٣) ابراهام جيجر (ت١٩٧٤) برنشفج (ت ١٩٩٠) وغيرهم كثير.

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ١٣١.

٣- من حقنا أن نعود فنؤكد، ونكرر أن من سمات هذه الجماعات اليهودية التي لمسناها لمس اليد، أنها لا تشعر بأي انتماء للأوطان التي تعيش فيها، ولا تربطهم أي روابط وجدانية، أو عواطف إنسانية، ومن ثم فهم على أتم استعداد للرحيل مع أي ظرف طارئ مهما كان واهيا. وهذا أيضا ما رأيناه عند مارتن بلسنر.

٤- يلاحظ تهافت المادة العلمية التي كتبها بلسنر في دائرة المعارف الإسلامية، بل وضعفها وغرابتها، فالمدن التي كتب عنها ليس لها شهرة معمارية أو علمية أو حربية، وحديثه عن هرمس سبقه إليه د.بدوي في كتابه «الإنسانية والوجودية في الفكر العربي» وبسط الموضوع بسطا كاملا موسوعيا كدأبه في تناول القضايا.

- خلاصة عن هرمس في الفكر العربي:

كانت مصر القديمة مهد الحضارة، ولم تنقطع رحلات علماء اليونان وفلاسفتهم إليها، وقد أطلقوا اسم «هرمس» على الإله المصري «تحوت»، ومن صفات هذا الإله عند المصريين، أنه يحسب عدد السنين والزمان، ويحدد لكل إنسان عمره المضروب له، وهو الذي اخترع الكتابة وكافة العلوم التي انبثقت منها مثل السحر والطب والفلك والتنجيم، وبمرور الزمن رفعته الكهنة إلى مصاف الآلهة فصار إلها عظيما يصدر عنه الخير، وعد بمثابة قلب رع وسيد الزمان وهو قديم.

وصورة هرمس عند اليونان تقارب «صورة تحوت»؛ فهو طبيب يعرف ألوان السحر ويشفي من كل الأمراض وهو أيضا رسول الآلهة، والمعبر عن الكلمة الإلهية، وقريب من ذلك صورته عند الرواقيين فهرمس هو «الكلمة» أي اللوغوس، ثم يصبح هو اللغة ذاتها لأنه الرسول، واللغة هي الرسول بين العقول.

هذه الصورة تنتقل إلى الفكر العربي بواسطة الإسرائيليات، إذ وجد المفكرون العرب أوجه شبه بين هرمس والنبي إدريس، إذ صوره القرآن؛ بأنه ورع صالح وأن الله رفعه إليه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ولا يشير القرآن إلى عمره كما في التوراة التي أشارت أنه عاش ٣٦٥سنة على الأرض.

ورسم له المؤرخون صورة قريبة مما سبق فقد أقام بمصر يدعو الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلمه الله النظر في علم النجوم و الحساب وسر الفلك واجتماع الكواكب وأفهمه عدد السنين والحساب.[١]

أما المقالة التي كتبها عن جابر بن حيان، فقد أوفّى كراوس هذا الموضوع وتعمق فيه كثيرا، وكان له فضل السبق، ثم إن جمهرة العلماء العرب غطوا جوانب هذا الموضوع تغطية كاملة، لاسيما ما كتبه د.زكي نجيب محمود.مما دفع د.بدوي أن يقول عنها: أنها مواد تافهة.

٥- نبذة عن حياة ابن وحشية النبطي:

أبو بكر محمد (أو أحمد)بن علي بن وَحشيّة، من أسرة آرامية بالعراق، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، عنده نزعة شعوبية، إذ يؤمن بتفوق الفرس على العرب، شغف بدراسة الكيمياء والزراعة والفلك، يعد كتابه «الفلاحة النبطية» من أفضل كتب النبات والزراعة، وقد حوى كثيرا من معلومات قدماء الكلدانيين الخاصة بأصول الزراعة، وأنواع المحاصيل التي كانوا يزرعونها وكيفية خزنها، وطرق الانتفاع بها والمحافظة عليها من الآفات، وكيفية استنباط الماء وغرس الأشجار وعلاجها والإشارة إلى بعض الحاصلات كالفول والعدس.

يقال أنه أملاه سنة ٣١٨ هـ وجعله في خمسة أجزاء، وله نسخ في دار الكتب المصرية وليدن وباريس وبرلين والجزائر.

ولعل قضية الشعوبية التي تبناها ابن وحشية وتعرض لها في كتابه هي التي أعجبت «بلسنر» ووجدت هوى في نفسه فعزم على نشرها وإشهارها في أوساط المثقفين، لكي يظهر المشكلات الفكرية والقلاقل الاجتماعية التي تفجرت في الحضارة العربية الإسلامية، ومن ثم تناول الكتاب بالتحقيق والدراسة والنشر.

٥- مباحث في أسس الكيمياء العربية:

مقالة مختصرة في حدود أربعين صفحة، تتحدث عن طبيعة العلوم عند العرب،

---

(١) بدوي : الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ، ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٢، ص ١٦٣/ ١٦٦.

وبداية عملية الترجمة التي قام بها خالد بن يزيد بن معاوية، ودور حركة الترجمة التي نهضت بها مدرسة جند يسابور والرها ونصيبين وحنين بن إسحاق، والكتب المنحولة التي نسبت إلى أرسطو، ثم يستعرض علماء المسلمين الموسوعيين مثل زكريا الرازي وابن سينا والبيروني وجهودهم العلمية؛ كتبهم وتجاربهم وأثرهم في أوربا، ثم يتطرق إلى مفهوم العلية: السحر والتنجيم والسيمياء، ويشير إلى أهم المنجمين الذي كان لهم أهمية فكرية وثقافية كبيرة مثل أبي معشر جعفر البلخي (٢٧٢هـ)، وكذلك المنجمين في أوربا، وينتقل للحديث عن الكيمياء عند العرب ويشير إلى كتب جابر بن حيان وجهوده في إرساء قواعد المنهج التجريبي، وفي نهاية مقالته يتحدث عن علم الطب والعقاقير، ويذكر فضل جرانفيل براون وماكس مايرهوف اللذان عالجا هذا الموضوع معالجة منهجية، وينوه بفضل أطباء العرب المسلمين مثل علي بن الطبري(٢٣٦هـ) والرازي وابن سينا، وابن رشد وابن النفيس (ت٦٨٧هـ) وعلي بن عيسى وأعمالهم العلمية وارتقائهم بعلم الطب والصيدلة وانتقال ذلك إلى أوربا، ثم يختم حديثه بالإشارة إلى علم النبات عند العرب والحيوان والفلاحة والجغرافية الوصفية، ويشير إلى كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية، ويؤكد أن معظم مؤلفات أرسطو في علم الحيوان كانت معرفة لعلماء المسلمين، ثم يذكر أهم الكتب الموسوعية عن علماء المسلمين؛ مثل عيون الأخبار لابن قتيبة، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد القزويني (ت٦٨٢هـ)، الذي أدخل في كتابه العديد من الخرافات التي انتقلت إلى مؤلفات النصارى واليهود، أما عن الجغرافيا الوصفية فكان للعرب باع طويل في ذلك سواء في رحلاتهم وكتبهم المشهورة مثل نزهة الآفاق، أو سم الخرائط والإحاطة بعلوم البحار ودور أحمد بن ماجد الذي وضع دليلا للملاحين في المحيط الهندي، مشهور وقد ساعد فاسكودا جاما في رحلته.

نشر البحث في كتاب تراث الإسلام، الجزء الثالث (٧٩- ١٤٩)تحت عنوان «العلوم الطبيعية والطب»، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، عالم المعرفة (العدد ١٢) الكويت، ديسمبر ١٩٧٨.

الحقيقة أن دراسة بلسنر هي نوع من الاجترار لجهود علماء المسلمين، وتكرار لما قام

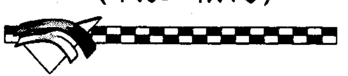
به جرانفيل براون (١٨٦٢- ١٩٢٦) [1] المستشرق الانجليزي المعروف في كتابه الشهير «تاريخ الأدب الفارسي» وبحوث ماكس مايرهوف التي أسهبنا في ذكرها - كما سيأتي -، أما جورج سارتون سيد مؤرخي العلم وكتابه «تاريخ العلم» فقد أوفى على المطلوب، وأشاد بفضل جهود علماء الحضارة العربية الإسلامية ودورهم في خدمة الإنسانية، علاوة على ذلك كتابات علماء العرب في هذا المجال، مثل مصطفى نظيف، عبد الحليم منتصر، زكي نجيب محمود، قدري طوقان، علي عبد الله الدفاع وغيرهم كثير.

* * *

(١) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص٧٩

٢٢- ماكس مايرهوف.Max Meyerhof

(١٨٧٤-١٩٤٥)



أولا: نبذة عن حياته:

١- ولد في مدينة هيلشتايم في شمال ألمانيا سنة (١٨٧٤) من أسرة يهودية ألمانية عريقة نبغ فيها كثير من العلماء، استقرت في هذه المدينة منذ (١٧٢٠).تعلم في مدارس هانوفر، وبعد أن أتم دراسته الثانوية، التحق بجامعات هيدلبرج وبرلين واشتراسبورج وفيها درس الطب وتخصص في طب العيون، وبعد أن حصل على الدكتوراه في الطب (١٨٩٧) و تم تأهيله ونبغ نبوغا ملحوظا في دراسته، خرج إلى الحياة العملية وعمل طبيبا مساعدا في عيادات برلين وبرسلاو وبرومبرج.

ونظرا لشغفه الشديد بطب العيون تخصص في دراسة مرض التراكوما أي الرمد الحبيبي، وفي (١٩٠٠) انتوى أن يفتح عيادة في مدينة هانوفر ويستقر فيها ويمارس المهنة التي أحبها. لكن الأقدار كانت تدخر له مستقبلا آخر، ففي هذا العام اصطحبه ابن عمه الدكتور أوتو مايرهوف الطبيب العالم والحاصل على جائزة نوبل في الطب، في رحلة إلى أرض الفراعنة لاستكشاف أحوالها، ويبدو أن مصر جذبته بآثارها وتاريخها و تركت طيبة الناس البسطاء في نفسه أثرا لا يمحى، حتى أنه قام بدراسة أمراض العيون التي كانت متفشية في مصر، وحينما عاد إلى ألمانيا كانت صورة مصر تطارده وتأخذ بلبه، وذكريات الرحلة الساحرة تشده إلى النيل ويتمنى أن تكتحل عيناه برؤيته ثانية، وفعلا اتخذ قرارا بالعودة.

٢- عاد مايرهوف إلى مصر عام (١٩٠٣) وعمل طبيبا للعيون بالقاهرة، وبدأ في دراسة اللغة العربية باللهجة المصرية علاوة على دراسته للغات الأوربية؛ وأهمها الإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية، التي كانت منتشرة بين الأجانب المقيمين في

مصر وهم كثر بعد احتلال انجلترا لها. وسرعان ما أثبت جدارته في علاج أمراض العيون، ومهارته في الشفاء وبدا فيض علمه يفيض على الجميع، فضلا عن لطف معاملته للمرضي وسمو أخلاقه وكريم صفاته، ومن ذلك أنه لم يرد عن بابه فقيرا أو محتاجا إلى معونته، فقد كان يعالج بعض المرضي دون أتعاب؛ فذاعت شهرته بين المصريين والأجانب، وتدفق المرضى على عيادته، واتسعت صلاته بوجهاء المجتمع وعلية القوم ورجال الفكر والأدب والسياسة؛ وكان منهم الشيخ مصطفي عبد الرازق وأعضاء المعهد المصري، وتعرف عليه د.بدوي وكان مازال طالبا في كلية الآداب وزاره في عيادته بوسط القاهرة.

واصل مايرهوف نجاحاته في مجال طب العيون وانتصاراته في مجال البحوث الطبية، فانتخب في سنة (١٩٠٩) رئيسا لجمعية أطباء الرمد المصرية، ثم توالت عليه ألقاب التكريم بسبب نبوغه العلمي، وإخلاصه في عمله المهني؛ فاختير نائبا لرئيس المعهد العلمي المصري بالقاهرة، ونائبا لرئيس الجمعية الملكية للطب في مصر وعضوا شرفيا في الكلية الدولية للجراحين.وفي عام (١٩٢٨) منحته جامعة بون الدكتوراه الفخرية.

٣- كان مايرهوف يقضي أجازته السنوية في وطنه ألمانيا، وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) تعذر عليه العودة إلى القاهرة، فعمل في المستشفى العسكري في هانوفر لعلاج الجرحى، وبعد انتهاء الحرب كان أول العائدين من الألمان إلى مصر في (١٩٢٢)، واستأنف نشاطه في عيادته الطبية، ودراساته الموسعة في مجال الطب والصيدلة والبحث في تاريخ العلوم العربية، لكن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة، ولا تتركنا نحقق ما نحب أو تسير على هوانا ورغباتنا أو تمضي حسب ما نخطط ونحلم، فقد تردد في العالم نبأ صعود الحزب النازي في ألمانيا إلى الحكم ومعه اضطهاد اليهود، وفهم مايرهوف أن عودته إلى ألمانيا أصبحت شبه مستحيلة.

مكث مايرهوف يستعرض تاريخه الطويل في مصر ونجاحاته التي حققها وشهرته في الأوساط المصرية والعالمية،، وتعرفه على شعبها الطيب ونيلها الخالد وآثارها المذهلة ورضي الجميع عن أدائه، فضلا عن مكانته العلمية التي تبوأها داخل المجتمع وبين طبقته

الاجتماعية المستنيرة والتي تقود المجتمع فكريا وسياسيا ودينيا. ولمعت في عقله فكرة مثل الومضة الخاطفة؛ لماذا لا يتجنس بالجنسية المصرية؟

فكر طويلا وأصبح الخاطر العابر والشاردة العقلية الطارئة سهاد يلح عليه، وفكرة تسيطر على عقله، وموضوع يستحق الدراسة والمراجعة!

أصبح ممزقا بين وطنه الأصلي الذي ينتمي إليه، والذي حالت الحوائل دون العودة إليه، والوطن الذي عاش فيه وحقق نجاحاته وشهرته الطبية والعلمية، وفكر وقدر، ثم اتخذ قرار التجنس وسعى لدي أصحاب الأمر والنهي، و وقف بجانبه الشيخ مصطفي عبد الرازق، وكان رصيده العلمي وخدماته الطبية وصفاته الخلقية وحسن سمعته وعدم ارتباطه بأي نشاط سياسي معاد للدولة، رصيداً كبيراً يزكيه لذلك، وبالفعل حصل علي الجنسية المصرية عام (١٩٣٥) وقرت نفسه وهدأت خواطره واستراح ضميره واستأنف نشاطه الطبي في عيادته الأثيرة، وعاش بالقاهرة إنسانا وطبيبا وعالما، حتى داهمه مرض السكر في عام (١٩٣٩) وعانى منه معاناة استمرت سنوات أدت إلى بتر ساقه، وتحمل ذلك بصبر وشجاعة حتى وافاه الأجل وتوفى عام (١٩٤٥) ودفن بمقابر اليهود في مصر القديمة وكتب على قبره «للعميان أعطى النور، وللباحثين أضاءت حكمته.»[1]

ثانيا: جهوده العلمية:

تميز مايرهوف بإنتاجه الغزير، وبحوثه المعمقة، ودراساته الموسعة و انصبت جهوده العلمية في ميدان الطب والصيدلة بعامة وميدان أمراض العيون بخاصة، ووجد في مجال دراسته مواد غنية من كتب الأطباء العرب في أثناء القرون الوسطى، كما مكنته خبراته العلمية ودراساته اللغوية من تقديم معلومات هامة للأطباء الذين يهتمون بتأريخ الطب في بلاد الشرق وكذلك للمستشرقين المهتمين بالطب العربي وتأريخه.

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٥٤٠/ ٥٤٢، جيزلا كيرشر: تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان ص١٤٤ (ضمن المستشرقون الألمان، دراسات جمعها صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨.)العقيقي: المستشرقون ج٢/ ٤٣٣، الأجانب في الجامعة المصرية ص٢١٧.

وسوف نتوقف بالإشارة والتحليل لأهم مؤلفاته وبحوثه الطبية:

أ- في مجال التأليف:

١- تاريخ الشمشم، وهو دواء للعيون عند المصريين، (ليدن ١٩١٤).

٢- سوق العقاقير والعطور في القاهرة، (فيمار١٩١٨).

٣- بعض الأطباء اليهود المصريين الذين اشتهروا في العصر العربي، (بروج ١٩٢٩).

٤- الإنتاج الطبي لموسي بن ميمون، (روما ١٩٢٩).

٥- من الإسكندرية إلى بغداد، بحث ظهر في محاضر جلسات الأكاديمية البروسية للعلوم (١٩٣٠).

٦- الصيدلة والنبات عند الإدريسي الجغرافي العربي.(ليبتزج ١٩٣٠).

٧- الصيدلة والنبات عند أحمد الغافقي، (ليبتزج ١٩٣٠).

٨- فردوس الحكمة علي الطبري، واحد من أقدم المختصرات العربية في الطب، (بروج ١٩٣١).

٩- مقدمة كتاب الصيدلة للبيروني، (برلين ١٩٣٢).

١٠- كتاب الحشائش لديوسقوريدس عند العرب، بحث نشر في (برلين ١٩٣٣).

١١- كتاب في الطب مجهول لموسى بن ميمون، رسائل المعهد الفرنسي للآثار، (القاهرة ١٩٣٤).

١٢- مخطط تاريخ الصيدلة والنبات عند المسلمين في أسبانيا (مدريد ١٩٣٥).

١٣- معجم في العقار العربي، تأليف موسى بن ميمون، المعهد المصري، (القاهرة ١٩٣٥).

١٤- موسى بن ميمون يعارض جالينوس في الفلسفة وعلم الكون، بالاشتراك مع يوسف شاخت، مجلة كلية الآداب، (ا لقاهرة ١٩٣٩).

١٥- موسي بن ميمون طبيبا، بحث نشر في (نيويورك ١٩٤٠).

١٦- العلم والطب، فصل في كتاب «تراث الإسلام».

ب - في مجال تحقيق المخطوطات:

١- عشر مقالات في العين، تأليف حنين بن اسحق، (القاهرة ١٩٢٨).

٢- خمس رسائل لابن بطلان البغدادي ولابن رضوان المصري، وتراجم المؤلفين، بالاشتراك مع يوسف شاخت، كلية الآداب (القاهرة ١٩٣٧).

٣- مختصر كتاب الأدوية المفردة لأحمد بن محمد الغافقي.اختصار غريغوريوس أبو الفرج (ابن العبري) بالاشتراك مع جورج صبحي، كلية الطب، (القاهرة ١٩٣٢، ١٩٣٣).

٤- شرح أسماء العُقار: تأليف أبي عمران موسى بن عبيد الله الإسرائيلي القرطبي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة ١٩٤٠).[(١)]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- نحن أمام شخصية نبيلة، تميزت بالأخلاق الفاضلة، اتسمت بحب الخير للآخرين واتسع قلبه للتعاطف مع البشر وأدرك ضميره قيمة الوفاء للأوطان ومعنى الانتماء إليه، وفي كتاباته قدر كبير من الإنصاف لعلماء المسلمين، والاعتراف بقيمة ما قدمته الحضارة العربية الإسلامية للإنسانية.ولذلك لا نعتقد أن المستشرقين اليهود كانوا أقل نزاهة وإنصافا للحضارة الإسلامية من المستشرقين المسيحيين أو الملحدين[(٢)]؛ فمنهم المنصف الذي كتب باعتدال وعدل وإنصاف مثل؛ باول كراوس واشتينشنيدر، وبروفنسال، ومنهم من كان متعصبا مهاجما مسفها لأفكار الدين مهاجما للرسول كما نرى عند جولد تسيهر وابراهام جيجر وهرتفج هرشفلد.

ومن خلال سيرة مايرهوف الطيبة نستطيع أن نحدد بعض ملامحها:

أ- حبه لوطنه ألمانيا الذي ولد تحت سمائه ونشأ فيه ودرج على أرضه وتعلم في مدارسه وجامعاته، وجذوره تمتد إلى ثراه وتاريخه، لاسيما وقد استقرت أسرته فيه منذ

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٥٤٢/ ٥٤٣ ، جيزلا كيرشر: تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان ص ١٤٤ -- العقيقي : المستشرقون ج٢/ ٤٣٤.

(٢) ذهب إلى هذا الرأي د.علي النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية ، الرياض ، ١٩٩٣ص ٩٠.

قرنين من الزمان، أي أنها اختارت الإقامة فيه وآثرته على باقي الأوطان، ولم يترك هذا الوطن إلا بعد أن تقطعت به الأسباب، واستحال العودة إليه. و بدأت موجة الاضطهاد للجاليات اليهودية في ألمانيا، ومازلنا عند قناعتنا بأن ما أنزله النازي بهم جزاء وفاقا لمسلكهم المعوج، و خبثهم المعهود ونقضهم للعهود وفسادهم في الأرض.

ب- وفاؤه لمصر التي اختارها أن تكون وطنا ثانيا له، بعد أن تعذر عليه العودة إلى وطنه الأصلي، وإخلاصه للشعب الذي آواه وأحبه وعطف عليه مثل باقي الغرباء، وفتح له صدره ومنحه الأمان والشهرة والثروة، فبادله حبا بحب، يعبر عن حبه لمصر بعد أن زارها للمرة الأولى ثم غادرها بقوله: «تغيب مصر عن النظر، ويستغرقني حزن وشوق عميق؛ عيشي يا أرض العجائب الجميلة الكثيرة الألوان! إلى اللقاء.» [١]

ويسبب إخلاصه في عمله وتقديرا لخدماته منحه الملك فؤاد (١٩١٧-١٩٣٦) قلادة النيل وهي أعلى وسام في مصر آنذاك تقديرا لخدماته الطبية [٢].

ج- تميز بعقلية ناضجة وذكاء حاد وقدرات متعددة وآمال عريضة وأفق واسع واتزان نفسي ويقظة ضمير وحب للخير، أضف إلى ذلك، همة قوية ونشاط جم، و جهد كثيف وجلد في العمل وصبر لا يقوى عليه إلا أصحاب العزائم القوية والهمم العالية؛ تجلى في عمله المتواصل في عيادته الطبية ثم في عكوفه على البحوث العلمية وتحقيقه للمخطوطات.

٢- ما يحمد لهذا الرجل، أنه لم يتعاطف مع الحركة الصهيونية، ولا يوجد في تاريخه ما يشير إلى أنه تبرع لها فضلا عن أن نقول أنه تعاون معها، ولا أي إشارة تدل على خيانته لمصر، وكل الذين أرخوا لحياته وأبرزهم د.بدوي الذي عرفه عن قرب وترجم له ترجمة موسعة لم يشر من قريب أو بعيد لأي تعامل مع الحركة الصهيونية أو زعمائها في مصر وبخاصة الذين كانوا ينشطون لجمع تبرعات لليهود لمساعدتهم للهجرة إلى فلسطين. وتقول الروايات أنه كان إنسانا عطوفا على الفقراء والمحتاجين مسلمين ويهود، وكان

---

(١) جيزلا كيرشر: تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان ص ١٤٤.
(٢) الأجانب في الجامعة المصرية ص٢١٨.

يعالجهم بالمجان إذا تعذر على المريض أن يدفع أجر الكشف.

والذي يظهر لنا أن مايرهوف كان ضمن الفريق اليهودي الذي يدعو إلى توطين اليهود في البلاد التي يعيشون فيها، مثله مثل إبراهام جيجر، وكان يؤمن بذلك؛ والدليل على ذلك أن أسرته استقرت في ألمانيا أكثر من قرنين وعاشت فيها ونبغت على ربوعها ولم تهاجر إلا بعد الاضطهاد الذي أصابها، هذا من جهة ومن جهة أخرى، كان بإمكانه أن يهاجر إلى فلسطين والطريق كان مفتوحا أمامه وقد سبقه بعض زملائه أمثال بلسنر وجويتاين علاوة على أن الجامعة العبرية التي أنشئت في القدس (١٩٣٣) كانت مستعدة أن تستقبله وتقلده أفضل المناصب، ليس هذا فحسب بل طلبته جامعة ليبزج (١٩٣٠) أستاذا لتاريخ الطب، لكنه آثر القاهرة على باقي الجامعات.

وتقول المصادر التاريخية: إن بعض يهود مصر كانوا متعاطفين مع فكرة هجرة اليهود إلى فلسطين، وبعضهم الآخر وقف في مواجهة المشروع الصهيوني وعارضوه معارضة شديدة، إذ كانوا يحبون حياتهم في مصر ولا يريدون استبدالها بأي حياة أخرى ولا حتى في الوطن الموعود.

ولعل شأنهم في ذلك شأن أغلبية يهود أوربا مهتمون بمساعدة المهاجرين من اليهود، لكن هذه الطائفة لا تريد أن تلحق بهم في أي مكان بل تفضل الحياة حيث تقيم.[١]

وإذا كان المنطق يقول إذا صدقت القضية الكلية صدقت القضية الجزئية، لكننا لا نملك دليلا على مساعدته ليهود فلسطين ولا نملك إشارات توحي بتعاطفه مع الحركة الصهيونية، وكل الوثائق تؤكد أنه كان بعيدا عن السياسة وكرس كل جهده في عمله الطبي وبحوثه في الصيدلة والطب والنبات، وعاش في مصر المحروسة في أمان وسلام، ومات فيها معززا مكرما ودفن في ترابها الطاهر مأسوفا على علمه.

٣- الناظر في بحوثه العلمية يلاحظ أن الطابع الغالب عليها هو دراسة الطب والصيدلة، والبحث في ثنايا التاريخ عن جمهرة الأطباء والصيادلة وأبحاثهم المتنوعة في

---

(١) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ص ١٦٠، جاك حاسون: تاريخ يهود النيل ص١٦.

هذين المجالين؛ على أنه من الإنصاف القول أن مايرهوف ظل يهوديا في باطنه وظاهره ومتمسكا بدينه، وهذه قضية لا نلومه عليها فهذا حقه كإنسان أن يختار الديانة التي تروق له، المهم أن لا يظلم أحدا ولا يخون الدولة التي آوته وأحبته، ودليلنا على ذلك؛ أن بحوثه التي أربت ستة عشر بحثا، فاز منها اليهود بسبعة أبحاث؛ ستة بحوث تدور حول أعمال موسى بن ميمون في مجال الطب،

وواحد منها عن «الأطباء اليهود المصريين» وهنا ملحظ طريف نحب أن نشير إليه، وهو أنه وصف اليهود بالمصرية ونسب انتمائهم إلى مصر، أي أنه يتكلم عن الأطباء المصريين ثم نبه على أن ديانتهم يهودية، ولم يقل «اليهود في مصر» أي أنهم يهود يعيشون في مصر.

وخمسة بحوث تدور حول إنتاج الأطباء المسلمين في مجال الطب والصيدلة والعقاقير والنبات.

٥- كتب مايرهوف بحثا طريفا عن «الشمشم» وهو كحل كان يستعمله المصريون لعلاج أمراض العيون، وتكتحل به النساء لبريقه في العين؛ وقد ظل مستعملا طوال الأربعينات والخمسينات في مصر، ويتكون من؛ حجر طبيعي وجنزبيل وفلفل أبيض ومكونات أخرى من عند العطار.[(١)]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إحاطته بعادات المصريين الطبية، وخبرته الواسعة بأحوال المجتمع وتغلغله في أعماقه، كذلك بحثه عن «سوق العقاقير والعطور في القاهرة» ينبئ عن نظرة فاحصة دقيقة تتبع الجزئيات وتبحث في دلالتها الخفية، ونفس طلعة تدقق فيما حولها وتندهش لكل ما تراه وتبحث في كنهه ومراميه، وهذا يؤكد أننا بصدد فيلسوف عميق الرؤية، مندهش أمام وقائع الحياة ومجرياتها.

٦- أما بخصوص تحقيق المخطوطات، فتوزعت مابين، تحقيق مخطوطة لموسي بن ميمون اليهودي وحنين بن اسحق، وابن بطلان البغدادي المسِيحيّين وابن رضوان

(١) مازلت أذكر أن الوالدة- رحمها الله - كانت تضعه لنا في عيوننا ونحن أطفال.

المصري المُسلم.وهذا المجهود يعطي أنموذجا للعلماء وقدوة طيبة و يجدر بهم وبالباحثين أن يتأملوا أسلوبه في التفتيش عن المراجع والمتون الهامة.[١]

أ- نبذة عن حياة موسي بن ميمون(٦٥٠/ ١١٣٥ - ١٢٠٥):

موسي بن ميمون بن يوسف بن اسحق أبو عمران القرطبي، طبيب وفيلسوف إسلامي، ولد (عام ١١٣٥) قرطبة لأسرة من القضاة والعلماء اليهود، وتعلم فيها عاش في ظل الحضارة العربية الإسلامية وتشرب ثقافتها وعلومها واستفاد منها، إذ تلقى العلم من أحد تلاميذ أبي بكر الصائغ (٥٢١هـ) وقرأ مؤلفات أرسطو وشراحه من المسلمين؛ الفارابي وابن سينا وابن رشد (٥٩٥هـ)، تأثر بفلسفته بخاصة والثقافة الإسلامية بعامة، كما درس الطب في كتب أبقراط وجالينوس ومحمد بن زكريا الرازي، فهو فيلسوف إسلامي نشأ في هذا المناخ الفكري وتشبع بثقافته ونهل من ينابيعه الثرية، إذ إن «المشتغلين في ظل الإسلام بذلك اللون الخاص من ألوان البحث النظري مسلمين وغير مسلمين يسمون منذ أزمان فلاسفة الإسلام؛ وتسمى فلسفتهم فلسفة إسلامية بمعنى أنها نبتت في بلاد الإسلام وفي ظل دولته.»[٢]

هاجر من الأندلس بسبب سياسة دولة الموحدين مع الأقليات إلى فلسطين، ولم يهنأ بالعيش فيها بسبب الحروب الدائرة بين صلاح الدين والصليبيين، فانتقل إلى الإسكندرية ومكث فيها بعض الوقت، ومنها انتقل إلى الفسطاط وأقام فيها سبعة وثلاثين عاما، عمل طبيبا يعالج المرضى حتى ذاع صيته فارتقى إلى البلاط الأيوبي، يقال أنه تظاهر بالإسلام ثم عاد إلى دينه، مات في الفسطاط (عام ٦٥٠/ ١٢٠٤)ودفن فيها، ثم نقلت رفاته إلى طبرية بعد ذلك.

تنقسم مؤلفاته إلى: فلسفية، وأخرى خاصة بالشريعة اليهودية، وثالثة بالطب.[٣]

---

(١) جيزلا كيرشر: تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان، ص ١٤٢، (المستشرقون الألمان، دراسات جمعها صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨).

(٢) موسى بن ميمون، من مقدمة الشيخ مصطفى عبد الرازق (ص ز)، تاريخ الفكر الأندلسي ص ٥٠٢.

(٣) إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط،، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥، تقديم الشيخ مصطفي عبد الرازق .بدوي: الموسوعة الفلسفية ج٢/ ٤٩٧/ ٤٩٨، رينان: ابن رشد والرشدية ص ١٦٦

من كتبه في الطب؛ اختصار الكتب الست عشر لجالينوس، مقالة في السموم، شرح فصول أبقراط؛ ومقالة في تدبير الصحة، ورسالة في البواسير، والربو، ورسائل أخرى وشرح أسماء العُقار، وهو الذي نشره ماكس مايرهوف وقدم له بمقدمة ممتازة.(١)

ب - نبذة عن حياة الشريف الإدريسي: (ت عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٦م)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الصقلي من سلالة العلويين؛ ولد سنة (٤٩٣هـ) تعلم في قرطبة، طاف البلاد ونزل على روجار الثاني صاحب صقلية، فاستقبله أحسن استقبال، لسعة علمه وغزارة معارفه وحبه للفلك، ألف له كتابه المشهور «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وقد قام دوزي ودي جويه بنشر الجزء الخاص بإفريقية والأندلس منه. أضف إلى ذلك كان عالما بقوى الأدوية المفردة ومنافعها ومنابتها، وله كتاب «الجامع لصفات أشتات النبات»؛ وصف فيه النباتات وطرق التداوي بها وقد عالج فيه ما أهمله ديوسقوريدس في مادته الطبية، وأورد أسماء النباتات.ويبلغ عدد النباتات التي أوردها في الجزأين حوالي ٦٦٠نباتا».(٢)

ويعد الإدريسي أشهر جغرافيي العرب، وأكبرجغلاافي أنجبته العصور الوسطى، ولقب «بإسطرابون العرب ومن كتبه التي ترجمت إلى اللاتينية تعلمت أوربا علم الجغرافيا في القرون الوسطى.(٣)

جـ- نبذة عن حياة أحمد الغافقي (ت ٥٦٠هـ) .

أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر بن الصفار الغافقي الأندلسي، تلميذ مسلمة المجريطي، ذكره ابن البيطار أكثر من مائتي مرة في كتبه، أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة وخواصها ومنافعها ومعرفة أسمائها باللغات المختلفة، له كتاب الأدوية المفردة أوجز فيه ما ذكره ديوسقوريدس وجالينوس، وتناول فيه النباتات من نواحيها الطبية، انتقل من قرطبة إلى دانية.له رسالة الأسطرلاب والأسماء الواقعة فيها، ومجموعة رسائل

(١) بدوي : الفلسفة والفلاسفة ص ٩٠ ، الموسوعة الفلسفية ج٢/ ٤٩٨، تاريخ يهود النيل ص ٧١
(٢) تاريخ آداب اللغة ج٣/ ٩٢ ، بدوي : الفلسفة والفلاسفة ص ١٧٤
(٣) لوبون : حضارة العرب ٤٧٠ ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣١٢/ ٣١٤

في الصيدلة والنبات.[١] ذكر مايرهوف أن الغافقي: «أعلم اطباء المسلمين في العصور الوسطى بالأدوية والأعشاب».[٢]

د- نبذة عن حياة علي بن ربن الطبري(ت٢٤٠هـ/ ٨٦١م):

أبو سهل الحسن علي بن سهل ربن الطبري، ولد بمرو في حدود (١٩٢هـ/ ٨٠٨م) وكان أبوه عالما، انتقل مع أبيه إلى طبرستان وعمل في خدمة أميرها، ثم رحل إلى سامراء، أسلم على يد المعتصم، قربه المتوكل وجعله من ندمائه، وفي سامراء كتب كتابه الرد على النصارى، و «فردوس الحكمة» ويعد من أقدم المختصرات العربية في الطب، نشره محمد زبير الصديق في برلين(١٩٢٨) ومايرهوف.[٣]

هـ- نبذة عن حياة أبي ريحان البيروني: (٤٤٠هـ):

يعد محمد بن أحمد البيروني من أشهر علماء الإسلام في الفلك والرياضيات، ينتسب إلى بيرون بلد في السند، امتلك ثقافة علمية واسعة عبر سياحته في الهند وخوارزم تجلت في كتابه «الآثار الباقية»، صحب محمود الغزنوي في فتوحاته إلى الهند وتمكن من تعلم اللغة السنسكريتية، وكان جل اهتمامه مرتبط بالرياضيات والتاريخ والجغرافيا والفلك؛ ومن أشهر مؤلفاته؛ تاريخ الهند، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، القانون المسعودي في الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي، ومنها «كتاب الصيدلة» الذي كتب له مايرهوف مقدمة طويلة.[٤]

و- التعريف بحنين ابن اسحق: (١٩٤- ٢٦٠ / ٨٠٩- ٨٧٣)

يعد حنين بن إسحاق العبادي من أشهر المترجمين للتراث اليوناني وأدقهم في هذا

---

(١) بدوي : الفلسفة والفلاسفة ص ١٧٤، تاريخ الأدب العربي ج٤/ ٢٢٧

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٤٧٢، (وذكر بالنثيا أن اسمه أباجعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقي، ص ٤٧٢)

(٣) تاريخ الأدب العربي ج٤/ ٢٦١، الأعلام ج٤/ ٢٨٨

(٤) معجم الأدباء ج١٧ / ٢٨١-٣٢٧، تاريخ آداب اللغة ج٢/ ٣٤٥، بدوي : الفلسفة والفلاسفة ص٨٣/ ١٦٨

الميدان، ولد في الحيرة من أب عالم بالصيدلة، درس في البصرة كتاب العين على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٠/ ٧١٨-٧٨٦)، وفي بغداد درس الطب بإشراف الطبيب المشهور يوحنا بن ماسويه (ت ٢٣٤/ ٨٥٧) قام برحلة إلى آسيا الصغرى لإتقان اليونانية، ثم استقر في بغداد، اتخذه المتوكل طبيبا له كعادة خلفاء المسلمين الذين كانوا يستخدمون الأطباء المسيحيين لتطبيبهم، ألف كتبا كثيرة في الطب والفلسفة، لكن الميدان الذي اشتهر به في الحضارة العربية الإسلامية هو ميدان الترجمة ومراجعة الكتب التي تمت ترجمتها، وعاونه في ذلك ابنه إسحاق(ت٢٩٨/ ٩١٠)، وابن أخته حبيش بن الأعسم (ت ٢٩٩/ ٩١١)، توفي سنة (٢٦٠/ ٨٧٣)[١]

و- ابن بطلان (ت٤٥٥هـ):

اسمه أبو الحسن المختار؛ طبيب من الأطباء المسيحيين الذين عاشوا في ظل الحضارة العربية الإسلامية في أمان وطمأنينة، تنقل في ربوعها مابين بغداد حيث نشأ ومصر التي كانت تمثل كعبة العلماء الذين يتوجهون إليها للتعرف على حضارتها والاستزادة من علوم علمائها، فضلا عن أنها حلقة الوصل بين الشرق الإسلامي وبلاد المغرب والأندلس الزاهرة، زار مصر ووصل الفسطاط سنة (٤٤١هـ) في زمن المستنصر بالله الفاطمي، وقعت بينه وبين ابن رضوان المصري الطبيب والفيلسوف مناظرات ومجادلات على عادة التنافس بين أصحاب الفن الواحد، ثم زار الإسكندرية ومنها ارتحل إلى إنطاكية ومات فيها(٤٥٥هـ).[٢]

ز- علي بن رضوان بن علي جعفر (ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م):

أبو الحسن علي بن رضوان من أشهر الأطباء المصريين جمع بين الطب والفلسفة والرياضيات، ولد في الجيزة وعاش في القاهرة، اشتغل في مقتبل حياته بالتنجيم ثم تحول إلى دراسة الطب، دخل في مناظرات مع ابن بطلان الذي زار مصر وأقام فيها ثلاث سنوات، وكان أرسخ قدما منه في الطب والفلسفة، في حين أن ابن بطلان كان أعذب ألفاظا وأكثر ظرفا.

---

(١) تاريخ الأدب العربي ج٤/ ١٠٣، بدوي : الفلسفة والفلاسفة ص ١٦٦.
(٢) تاريخ آداب اللغة ج٣/ ١١٥.

من أهم مؤلفاته؛ كفاية الطبيب، كتاب الأصول في الطب، دفع مضار الأبدان بأرض مصر، التوسط بين أرسطو وخصومه.(١)

حـ- عرف العرب كتاب «الحشائش لديسقوريدس» إذ قام الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن خورشيد الطبري الناتلي، بترجمة الكتاب(٣٨٠/ ٩٩٩) للأمير أبي علي السامجّوري.

٤- يرى د.بدوي أن بحثه؛ «من الإسكندرية إلى بغداد» أفضل ما كتب في مجاله، إذ يعطي القارئ نظرة عامة إلى سبل انتقال التراث اليوناني الطبي إلى الحضارة الإسلامية ويتناول التعريف بأشهر المترجمين والعلماء العرب حتى القرن الرابع الهجري.

من المعلوم أن د.بدوي ترجم هذا البحث ونشره ضمن كتابه الشهير التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.

نود أن ننبه أن منهج أستاذنا د.بدوي لا يعرف الوسطية، فهو مزاجي في تعبيره، عاطفي في أحكامه، فإذا أعجب بفيلسوف أو مستشرق رفعه إلى عنان السماء، وإذا كانت الأخرى فالويل له، إذ يهبط به إلى أسفل سافلين؛ ومن الواضح أنه من المعجبين بمايرهوف ومقدر لملكاته العلمية.

على أن كثيرا من العرب والمستشرقين كتبوا في هذا المجال منهم د.نجيب بلدي في كتابه «تمهيد لمدرسة الاسكندرية»، ودي ساسي أوليري في كتابه «علوم اليونان وسبل انتقالها».

٥- قرظه جورج سارتون فقال عنه: «إن أحسن جزاء يمنح لذكراه يكمن في حقيقة بسيطة هو أن تقرر أعماله في المستقبل على طلبة تاريخ الطب العربي، وهكذا ينال اسمه الخلود.»(٢)

٦- منحته كلية الآداب بجامعة بون الدكتوراه الفخرية عام (١٩٢٨) لكونه «باحثا

---

(١) تاريخ آداب اللغة ج٣/ ١١٥، بدوي: الفلسفة والفلاسفة ص ١٧١، الأعلام ج٤/ ٢٨٩.
(٢) جيزلا كيرشر: تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان .ص١٤٤.

كبيرا في الطب والعلوم الطبيعية عند العرب ومشجعا دائبا للأعمال العلمية»[1]

٧- قال يوسف شاخت، صديقه وزميله، في حفل تأبينه أمام أعضاء المعهد المصري: ستحيى ذكراه مدة طويلة بين طلبة العلم في العالم بأسره كعالم متبحر في الطب والعلوم الطبية عند العرب، ثم بين الأطباء كباحث ممتاز لأمراض العيون بمصر، ثم بين المرضى الشاكرين له كطبيب ناجح يستحق التكريم والتبجيل وبين أصدقائه الكثيرين من أنحاء العالم كشخصية طيبة محبة للجميع».[2]

مدحه العقيقي فقال: «كان مايرهوف من كبار أطباء العيون العالميين وفي طليعة مؤرخي الطب العربي، تعد اكتشافاته فيه وكتابته عنه بالفرنسية والإنجليزية والألمانية مرجعا دقيقا وافيا.

لاشك أن ماير هوف قدم خدمات جليلة للمصريين، وعالج الكثير منهم في وقت عز فيه الطب وقل عدد الأطباء، واعتمد أغلبية الجمهور على الوصفات الشعبية، والأساليب البدائية التي كانت تنتهي بالعمى كما رأينا في حالة طه حسين وغيره، علاوة على أنه نشر الثقافة الطبية بين المصريين وارتفع بوعيهم الصحي.

***

(١) جيزلا كيرشر: تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان ص ١٤٤، العقيقي : المستشرقون ج٢/ ٤٣٤.

(٢) جيزلا كيرشر: تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان ص ١٤٤.

٢٣- مورتز اشتينشنيدر Moritz Steinschneider

(١٨١٦- ١٩٠٧)

أولا: نبذة عمن حياته:

ولد في أسرة متعلمة تعليما راقيا ومهتمة بالدراسات الدينية، إذ كان أبوه عالما بالتلمود، ولذلك كان يصبو أن ينضم إلي سلك الكهنة، درس العلوم الدينية اليهودية في براغ ثم التحق بمدرسة المعلمين، انخرط في نشاط الحركة الصهيونية التي كانت تبشر اليهود بالعودة إلي فلسطين وإقامة دولة إسرائيلية، وسرعان ما فتر حماسة وفقد الأمل في أن تحقق بعضا من آماله فانسحب منها في عام (١٨٤٢).

بدأ يكرس جهوده في التحصيل الدراسي، فسافر إلي فيينا وعكف علي دراسة الآداب الشرقية والأدب العبري، وحقيقة العلاقة بين العرب واليهود، وركز معظم جهوده في الاهتمام بالبيلوجرافيا، وهي التي أصبحت مجال نشاطه العلمي، وأسهم فيها إسهاما كبيرا وخلف أنتاجا مبهرا في ذلك المجال.

درس العربية والسريانية والعبرية في كلية اللاهوت الكاثوليكي في جامعة فيينا، وكان يعول نفسه من خلال إعطاء دروس في اللغة الإيطالية، علاوة علي إتقانه اللغة اللاتينية و الألمانية والفرنسية تحدثا وكتابة.إلا انه ما لبث أن غادرها بسبب سوء مسلك قومه (اليهود) وخيانتهم للدول التي يقطنون فيها فكانت تراقبهم أشد المراقبة، وتضع القوانين التي تقيد حركتهم، وترصد نشاطهم، ومن ثم مسه بعض الشرر فمنع من الإقامة فيها، فذهب إلي ليبتسك، وتعلم اللغة العربية علي يد فليشر(Fleischer) واستطاع أن يواصل دراسته الجامعية ويحصل علي الدكتوراه عام (١٨٥٠) ويظفر بوظيفة مدرس في معهد «فيتل - هينة افرايم» وفي الوقت نفسه تعدد مجال نشاطه إذ عمل ممثلا للطائفة اليهودية في برلين لدي الإدارة الحكومية، ومديرا لمدرسة البنات الخاصة بالطائفة اليهودية، هذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي عنصرية اليهود، وانطوائهم على أنفسهم

ورفضهم الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها. وتوفي مورتز في عام(١٩٠٧).

ثانيا: جهوده العلمية:

ذكرنا سابقا أن اشتينشنيدر كرس جهوده العلمية في البحث عن المخطوطات اليهودية والنهوض بفهرستها حتى أنه أنفق ثلاثة عشر عاما في فهرسة الكتب اليهودية في مكتبة بودلي بجامعة أوكسفورد، وفي مكتبة برلين الوطنية، ونظرا لجهوده الواسعة وسمته «دائرة المعارف اليهودية» أنه أبو الفهرسة اليهودية الحديثة ومن الممكن أن نرصد أهم أعماله في الآتي:

١- ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة العبرية.

٢- الترجمات العبرية في العصر الوسيط واليهود بوصفهم مترجمين للعلوم العربية إلى اللغات الأوربية،، وجاء هذا السفر الضخم في ألف صفحة ونال عنه جائزة مجمع الآداب في باريس (برلين ١٨٩٣)ويحتوي معلومات طيبة تفيد الباحث في العلوم الإسلامية.علي حد تعبير عبد الرحمن بدوي. في حين يرى يوهان فوك: أن هذه الوثائق من المصادر التي لا يُستغنى عنها باحث حتى يومنا هذا.

٣- الترجمات الأوربية عن العربية (١٩٠٤)

٤- ما كتبه اليهود بالعربية، وقد ألم فيه بأسماء كافة المؤلفين اليهود الذين كتبوا مؤلفات باللغة العربية مع ترجمة وافية لهم، ومذيلة بالمراجع لمن أراد أن يتوسع.

٥- الكتب المؤلفة باللغة العربية في المناظرات والدفاع الديني بين المسلمين والمسيحيين واليهود.(١٨٧٧)

٦- الكتب العربية في السموم، حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي.

٧- الإسلام واليهودية.(١٨٨٠)

٨- من الجدير بالإشارة أن اشتينشنيدر، له بعض البحوث المختصرة؛ مثل مختصر تعبير الأحلام، وملاحظات على كتاب فلكي لابن الهيثم، أضف إلى ذلك شارك

في دائرة معارف بيرر، وكتب المواد الآتية: بلاد العرب، اللغة العربية، الأدب العربي، الخلفاء، القرآن، الديانة الإسلامية، الفرق الإسلامية (١٨٣٩-١٨٤٣).[1]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- هذا أحد المستشرقين المجدين ذوي الإنتاج الغزير ومعظمه يدور حول فهرسة المخطوطات لاسيما ما يتعلق بالتراث اليهودي وقد أنفق جل عمره في هذا العمل العلمي.عاش حلم العودة لكن أحلامه تبخرت في عصره، ولم يعلم ماذا كان يخبئ القدر له و لقومه ولقومنا.؟

٢- شارك اشتينش في العمل السياسي في وقت مبكر فترة قصيرة، لإيقاظ فكرة العودة إلى أرض فلسطين، ويبدو أن الأحوال السياسية، والظرف العالمي لم يكن مواتيا، والقوى النافذة لم تسمع لأطماعهم وأحلامهم أو تتعاطف معهم، وربما بان له زيف إدعاءات الحركة الصهيونية وخطر أطماعها على مكانة اليهود في الدول التي يعيشون فيها، فضعفت عزيمته وخارت قواه وأصابه اليأس، فطلق السياسة وانصرف عن هذا المشروع الخيالي وتوجه إلي البحث العلمي.

٣- أما المحزن في الأمر الذي يصيب الإنسان بالهم القاتل والكرب العظيم أن الأساطير وجدت لها مكانا، وأن الأحلام مهما كانت مغرقة في الخيال، ستجد لها صدي في الواقع المرير وأن مزاعم اشتينش الكاذبة تحققت على أرض فلسطين، بعد أن قامت طائفته بتشريد الملايين من الفلسطينيين، وقتلهم واستخدمت أحط أنواع الأساليب المدمرة مع هذا الشعب المظلوم وأقامت كيانهم الغاصب العنصري على أشلاء ملايين الفلسطينيين وجماجمهم.

٤- من الواضح أن معظم جهود اشتينش العلمية كانت موجهة لخدمة طائفته والمحافظة على تراث علماء اليهود فيما ترجموه من الفكر الإسلامي إلى اللغات الأوربية،

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٣٨-٤٠، العقيقي: المستشرقون ج٢/ ٣٧٢، يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق ص ٢٥٨/ ٢٥٩.

والإعلاء من شأن الأعمال اليهودية بصرف النظر عن قيمتها العلمية أو مكانتها في التاريخ، والإشارة إلى دور اليهود في خدمة الفكر الإنساني، مع التركيز على كل ما يتصل بمؤلفات علماء اليهود وأعمالهم العلمية.

يقول المولى سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

والعدل يعني الإنصاف، ومن العدل وإحقاق الحق أن نقول: إن هذا جهد محمود، يستحق المؤلف عليه المدح والثناء، والإشادة والتنويه، ولا أحد يفكر أن يلوم إنسان وهب حياته في خدمة دينه وتراثه وتاريخه، - بصرف النظر عن أن هذا لا يروق لنا - علينا أن نفعل فعله، و نشمر عن ساعد الجد ونبذل الغالي في سبيل الحفاظ على تراثنا الإسلامي، ونهتم به فنحافظ عليه، ونفهرس آلاف المخطوطات العربية والإسلامية المكدسة في مكتباتنا الخاصة والوطنية، فضلا عن تحقيقها تحقيقا علميا ونشرها في طبعات أنيقة ودقيقة وضيئة.هذا من جهة.

ومن جهة ثانية كان اشتينش يجيد اللغة اللاتينية والفرنسية والإيطالية الألمانية، وهذا يدعونا أن نتعلم اللغات الأجنبية ونحث باحثينا على خوض هذا الميدان، وأن نولي هذه القضية أعظم الإيلاء، للإطلاع على فكر الآخرين، والتعرف على آخر الإصدارات التي تظهر في الغرب.

ومن جهة ثالثة، كان اشتينش يجيد اللغة العبرية، هذه اللغة التي ماتت وطواها الزمان منذ قرون، ثم أحياها اليهود وبعثوها من أكفانها، وأقاموها من التوابيت وأصبحت لغة يتكلم بها الإسرائيليون في بيوتهم وفي مدارسهم وكذلك في المحافل الدولية، وهذا يدعونا أن نولي اللغة العربية مزيد من العناية والاهتمام، وأن تعود إلى الصدارة ونعيد لها بهاءها ورونقها فتصبح لغتنا الجميلة المستعملة في أجهزة الإعلام بكافة وسائلها وفي مدارسنا وبيوتنا؛ نعم نعيد لها المكانة التي تستحقها، فهي لغة قرآننا ومقوم جوهري من مقومات هويتنا العربية الإسلامية.

٥- مدحه يوهان فوك بقوله: كان واحدا من أبرز رواد التراث اليهودي، حقق لنفسه استحقاقا مستمرا من خلال فهارسه المثالية للمخطوطات في أكسفورد، ليدن، ميونخ، هامبورج وبرلين، وبروح منفتحة على العالم وعزوف عن كل تعصب أعمى، تطلع نحو تأمل علمي مجرد لتاريخ اليهودية، إذ جذبته مشاركة اليهود في حضارة العالم المحيط بهم، فأراد المساهمة بجهد علمي متميز.[1]

٦- قدم د.المسيري تقييما لشخصيته وأعماله بقوله: أحد مؤسسي علم اليهودية، وبخاصة في حقل البيبليوجرافيا، درس دراسات دينية ودنيوية، ذهب إلى برلين حيث تعرَّف إلى زونز وجايجر واستقر في برلين عام ١٨٤٥. انصب اهتمامه على دراسة علاقة اليهود بالحضارات الأخرى بعامة، وعلاقة اليهود بالحضارة العربية بخاصة، ودورهم باعتبارهم مترجمين وناقلين للحضارة العربية والهيلينية في العصور الوسطى في الغرب. وكان موقفه رافضاً تماماً للصهيونية إذ كان يرى أن اليهودية قد ماتت، وأن علم اليهودية هو العلم الذي سيقوم بعملية دفنها[2].

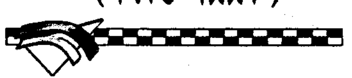
***

---

(١) يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق ص ٢٥٨/ ٢٥٩.

(٢) الموسوعة اليهودية ج٣/ ٦٦.

٢٤ - هاري ولفسون Hary Walfson
(١٨٨٧-١٩٧٤)



أولا : نبذة عن حياته :

ولد ولفسون في روسيا البيضاء سنة (١٨٨٧) وفيها تلقى تعليمه المتوسط، ولم تلبث أسرته أن هاجرت إلى أمريكا، وكان ما زال شابا غضا، فانتقل من بيئة فقيرة لها عاداتها وتقاليدها المحافظة إلى حد ما، إلى بيئة أكثر ثراءً وانفتاحا وتحررا، اندمج في المجتمع الجديد، وساعده في ذلك التحاقه بجامعة هارفرد؛ في مدينة كمبردج، وبعد انتهائه من الدراسة الجامعية أراد أن يوسع من معلوماته، ويتعرف على الثقافة الأوربية ومضمونها ورجال الفكر النافذين والمؤثرين في الحركة الفكرية، فسافر إلى أوربا سنة (١٩١٢)ومكث فيها عامين، ليعود إلى أمريكا ويعين مدرسا في الجامعة التي تخرج فيها سنة (١٩١٥) واستمر في هذا العمل إلى نهاية عمره، وفي أثناء هذه الرحلة الطويلة رُقيّ سنة (١٩٢٠)أستاذا للأدب العبري والفلسفة اليهودية، وبالتحديد في الدراسات الفلسفية لعصور أوربا الوسطى مثل ابن رشد الذي يطلق عليه «Averroes» وابن ميمون «Maimonides» وفي الوقت نفسه انتدب للتدريس في المعهد اليهودي للديانة من سنة (٢٣- ١٩٢٥) وعلي الرغم من تقاعده عند بلوغ سن التقاعد ظل أستاذا في الجامعة إلى وفاته سنة (١٩٧٤).[1]

ثانيا : جهوده العلمية :

يلاحظ أن معظم الإنتاج العلمي لهذا المستشرق يدور حول الدراسات العبرية بعامة والفلسفة اليهودية وعلاقتها باليونان والفلسفة الإسلامية بخاصة، وأغلب دراساته ومحاضراته وجهوده تتركز داخل هذا الإطار العبري، وإذا تناول قضية من قضايا الفكر

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٦٢٣، ، مازن المطبقاني : بحـوث في الاستشـراق الأمريكـي : الطبعـة الأولي١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ مص ٣٠

الإسلامي حاول أن ينقب عن تأثير اليهودية في هذه القضية. لذلك نجد أن أغلب مؤلفاته تخدم التراث اليهودي.

وسوف نشير إلى أهم مؤلفاته التي تتداخل مع الفكر الإسلامي، وتحاول أن تبحث عن العلاقة بين الاثنين.

١- نقد حسداي فرستس لأرسطو.(١٩٢٩) يشمل الكتاب على تحقيق قسم من كتاب قرسفس وهو كاتب يهودي قام بدراسة القضايا الفلسفية التي ذكرها موسى بن ميمون في كتابه «دلالة الحائرين»، ترجم ولفسون الكتاب إلى الإنجليزية وقدم له بمقدمة وافية، وزوده بتعليقات طيبة.

٢- شروح ابن رشد على أرسطو.

٣- فلسفة اسبينوزا.(١٩٣٤)

٤ - فيلون اليهودي: أسس الفلسفة الدينية في اليهودية ،(١٩٤٨)

٥- فلسفة آباء الكنيسة.(١٩٥٦) وفي هذا الكتاب يريد أن يظهر مدي تأثير فلسفة فيلون علي المسيحية، ويتناول قضايا؛ الإيمان، التثليث، التجسد.(ص٦٢٤)

٦- فلسفة الدين؛ (١٩٦١)

٧- فلسفة الكلام (١٩٧٦)

هذا الكتاب يشتمل على مجموعة بحوث كان نشرها في مجلات علمية، وتدور حول جملة من قضايا علم الكلام عند المسلمين واللاهوت المسيحي؛ وأهم هذه القضايا كالآتي:

- مقدمة في تاريخ علم الكلام - صفات الله - طبيعة القرآن - الخلق، مذهب الجزء الذي لا يتجزأ- العلية - الجبر والاختيار- خاتمة في تكوين لاهوت نظري توحيدي - مذهب التثليث عند النصارى وتأثيره في علم الكلام الإسلامي.[١]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- يمثل المستشرق ولفسون أنموذج للمستشرق اليهودي، الطموح الساعي إلى

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٦٢٤ ، العقيقي ج٣/ ١٥٢-١٥٣

إثبات ذاته،، وحياته نسخة مكررة من حياة اليهود، وصورة نمطية لما سبق ذكره؛ فقد ولد في روسيا البيضاء، ولكن أسرته قررت الهجرة إلى أمريكا، فهاجر معها، وطاب له المقام، ثم بصبره وجلد ه، أكمل دراسته الجامعية في مجتمع جديد مغاير لمجتمعه القديم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على القدرة على التكيف السريع، ومعايشة المحيط الاجتماعي الجديد ومحاولة التأقلم معه قدر جهده، ثم لم يقف طموحه عند ذلك، إذ واصل استكمال دراساته العليا، وعين في الجامعة ومن خلال هذا المشوار العلمي، استطاع أن يثبت وجوده على ساحة الاستشراق، وأصبح صاحب الدراسات الواسعة عن فلاسفة العصور الوسطي في أوربا والحديثة؛ إذ كتب عن الفيلسوف اليهودي حسداي فرستس، وإسبينوزا (١٦١٧)علاوة على كتاباته حول قضايا علم الكلام وفلاسفة الإسلام، مثل ابن سينا والغزالي وابن رشد وابن خلدون (ت٨٠٦هـ) مؤسس علم الاجتماع.

٢- نال ولفسون شهرة واسعة في أمريكا، ويبدو أن الجالية اليهودية المسيطرة على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية كانت تروج له في الإعلام وتعلي من شأنه، إذ يذكر د.بدوي أنه حضر مؤتمر حول الفلسفة الإسلامية في جامعة هارفارد (إبريل / ١٩٧١) وحينما دخل ولفسون القاعة وقف له الحاضرون وصفقوا له في حركة لم تخلُ من التهريج المسرحي، وقد تعرف عليه في هذا المؤتمر، وإن كان اللقاء قصيرا.[١]

٣- لاشك أن ولفسون كان متعاطفا مع اليهود بطبيعة الحال، وإن كان ليس لدينا ما يثبت أنه متعاطف مع إسرائيل أو متعاون معها، وقد عاصر طوال حياته سلوكها العدواني وسياستها العنصرية، ومنهجها النازي، وعاش عدوانها المتكرر على دول الوطن العربي ورأى بأم عينيه حروبها المدمرة؛ بداية من حرب (١٩٤٨)، وانتهاء بحرب (أكتوبر ١٩٧٣) مرورا بحربها (١٩٥٦و١٩٦٧)، وربما هذا ما دعاه أن يعيش في أمريكا كمواطن أمريكي دون أن يفكر أدني تفكير في الهجرة للحياة في فلسطين نظرا للأخطار التي تكتنف هذا الكيان الصهيوني؛ ومن ثم نقول: إن ولفسون يعد ضمن مجموعة المستشرقين المتعاطفون مع اليهود والذين يعملون على نشر التراث اليهودي والإعلاء من مفكريه،

---

(١) السيرة الذاتية ج٢/ ٢٢٧-٢٣٣.

لكنه ليس على استعداد للتضحية بالجائزة الكبرى التي اقتنصها، أعني أمريكا التي عاش فيها واستبدالها بإسرائيل.

٤- قام العرب إبان عصر النهضة بترجمة فلسفة أرسطو ثم اجتهدوا في إصلاحها ومراجعتها وتنقيحها، و نهض ابن رشد بعملية الشروح لكتبه، وفي الوقت نفسه ترجم بعض اليهود فلسفة أرسطو، وقد ثبت من المقارنة أفضلية الترجمات والشروح العربية عن نظيرتها العبرية، وقد شرح هذه القضية د.بدوي حينما حضر مؤتمر في جامعة كولومبيا، وكان يحضره عدد من اليهود، وقد تحدثوا عن أهمية ترجماتهم للفلسفة اليونانية؛ فعلق على ذلك قائلا: «أفضت في المقارنة بين دقة الترجمات العربية عن اليونانية وأمانتها، وعبث الترجمات العبرية وزيفها، واستشهدت خصوصا بالترجمات العبرية لمؤلفات ابن رشد وكيف عبث بها المترجمون اليهود، وذكرت شواهد لهذا العبث الفاضح والتزييف البشع، ولم يستطع أحد من الأساتذة اليهود الحاضرين أن يرد بكلمة واحدة لقوة أسانيدي وتمكني من الموضوع.[1] وهذا يظهر دور العرب في ترجمتهم للتراث اليوناني ونقله للعبرية وعن طريق الأندلس انتقل إلى أوربا.

٥- رفعت الإسكندرية لواء الفلسفة و العلم بعد أن خبا شعاع أثينا أو اختفى وكانت تضم جنسيات متعددة وديانات مختلفة من اليهود والمسيحيين وكانت الثقافة السائدة هي الثقافة اليونانية التي تسربت بدورها إلى اليهود واليهودية، حتى أنهم نسوا لغتهم العبرية، وأصبحوا يتكلمون اليونانية، ومن ثم اضطروا إلى ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية.

في هذا العصر ولد فيلون السكندري (حوالي ٢٥ أو ٤٠ق.م) من أسرة نبيلة في الإسكندرية، ويعد أول فيلسوف يهودي جمع بين الفلسفة والدين، ولا يعرف عن حياته إلا القليل، ويقال كان عظيم القدر في قومه، ذهب في أواخر حياته إلى الإمبراطور كاليجولا يشكو معاملة الحاكم الروماني على مصر ويرجو منه رفع المظالم عن اليهود.(ومات سنة ٥٠م)

---

(١) السيرة الذاتية ج٢/ ٢٣٣.

ولما كان لا يعرف العبرية فقد قدم مذهبه باليونانية وقصده من ذلك أن يبين لليونان أن في التوراة فلسفة، وفي شروحه الواسعة للتوراة يدمج فيها «الآراء الفلسفية المعروفة في عصره مبعثرة من غير ترتيب، ولا يعني بتلخيص آرائه أو تحديد معاني ألفاظه، بل لا يحجم أحيانا كثيرة عن الجمع بين آراء متنافرة، بحيث يتعذر تصوير فكره» (١)

جمع بين الثقافة اليونانية والتفكير الإيماني اليهودي، ويعتقد أن الفلسفة اليونانية وحي غامض لبيان الحقائق؛ على حين أن الكتب اليهودية إلهية المصدر واضحة لبيان ما في هذا الكون من حق، وأن الحقائق التي نستنبطها منها لا تتعارض مع معطيات الفلسفة اليونانية، ومن ثم فلا جرم على رجل الدين أن يجمع بين الثقافتين، ومن هذا المنطلق اهتم بفلسفة أفلاطون والفيثاغورية والرواقية، ولم يهتم بفلسفة أرسطو.

ومنهجه يعتمد على التأويل الرمزي أو المجازي للتوراة والنصوص الدينية، لشعوره بالتعارض بين الحقيقة الدينية النقلية والحقيقة الفلسفية العقلية، وهو منهج استخدمه اليونان في شرح هوميروس، وقد عرف في المسيحية والإسلام.(٢)

نستنتج من ذلك أن فيلون كان فيلسوفا متواضعا، وأن ولفسون بالغ في تقديره وزعمه أنه لم يكن فقط مؤسس الفلسفة الدينية في اليهودية، بل وأيضا المسيحية وفي الإسلام. وهو زعم باطل، ليس له أي أساس من الواقع التاريخي.علاوة على ذلك اندفع في هذا الشطط فزعم أن فلسفة فيلون اليهودي سيطرت على الفلسفة في أوربا حتى القرن السابع عشر، إلى إن قضى عليها اسبينوزا، وهكذا أسند التأثير في الفلسفة لفيلون اليهودي من القرن الأول الميلادي حتى السابع عشر الميلادي، ومن بعده إلى إسبينوزا اليهودي في القرن السابع عشر حتى اليوم! كأن الفلسفة في تاريخها لم تعرف غير سيادة هذين الفيلسوفين اليهوديين!! وهذا منتهي الحمق والسخف والجهل معا!(٣).

---

(١) زكي نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥ص ٣١٥، يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٣٦، ص٣٢٣/ ٣٢٤.
(٢) بدوي : موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨٤، ج٣/ ٢٢٠/ ٢٢١ أميرة مطر : الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص٤١٧/ ٤١٨.
(٣) موسوعة المستشرقين ص ٦٢٤.

٦- حينما شارك د.بدوي في المؤتمر الفلسفي الذي عقد في جامعة كولومبيا (إبريل ١٩٧١) وكان يحضره فون جرونباوم، وفرانتس روزنتال، وهاري ولفسون، وجمهور كبير من اليهود، كان مستفزا منذ الصباح، ومشحونا من تصرفات الجالية اليهودية، وقد بلغ به الضيق مداه؛ ففي صباح هذا اليوم وهو في طريقه إلى الجامعة، شاهد مواكب من المتظاهرين اليهود يحتفلون بذكرى تأسيس إسرائيل وقد سدوا الشوارع وعطلوا المرور، وهم في حالة اهتياج وصخب، أما المنظر الثاني، فهو وقوف الجمهور لهاري ولفسون حينما دخل القاعة واستقبلوه بهذه الحفاوة أو بهذه الحركة المسرحية، على حد تعبير د.بدوي [(١)]

نعتقد أن هذه المناظر المثيرة للغضب، والمواقف المستفزة انعكست على رؤية د.بدوي لهاري ولفنسون، فقلل من شأنه، وغمط حقه، ولم يستطع أن يتحرر من كونه مصريا عربيا مسلما سلبت، أرضه ونهبت ثروته واعتدي على وطنه من قبل هؤلاء اليهود الحاضرون الذين سيطروا على القاعة، والشارع بل على أمريكا كلها.

***

(١) السيرة الذاتية ج٢/ ٢٢٣٢/ ٢٣٣

٢٥- هانز لودفيج جوتشلك Hanz Ludwg Gottschalk

(١٩٠٤- ١٩٨١)

أولا : نبذة عن حياته :

ولد هانز في مدينة فرايبورج بجنوبي ألمانيا، عام (١٩٠٤)، تلقى تعليمه في أكثر من جامعة، فتنقل بين جامعات برلين وتوينجن ومنشن خلال المدة من (١٩٢٢إلى١٩٢٨) واختار التخصص في الدراسات القديمة، كأغلب المستشرقين اليهود، فدرس اللاتينية واليونانية، واتجه إلى دراسة التاريخ الروماني، ثم انتقل إلى دراسة علوم الحضارة العربية الإسلامية على يد المستشرق الألماني الكبير كارل هينرش بكر(becker)(١٨٧٦-١٩٣٣)[١]صاحب الدراسات الواسعة في الحضارة الإسلامية، وبرجشتر اسر (١٨٨٦-١٩٣٣)[٢]المتخصص في اللغة العبرية واللغات السامية واللهجات العربية، واستطاع بعد كفاح دراسي طويل أن يحصل على الدكتوراه من جامعة منشن عام (١٩٢٩)، مما أهله أن يعمل أستاذا مساعدا في جامعة همبورج من (١٩٣٠- ١٩٣٣) وقام بوضع فهارس للكتب المتعلقة بالإسلام، وفي هذا العام فصل من منصبه بسبب العداء الجارف لليهود في ألمانيا بعد استيلاء النازي على الحكم فيها، فعكف في بيته على القراءة والاطلاع والتعمق في الدراسات الإسلامية لاسيما فيما يتعلق بتاريخ مصر الإسلامية، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥) وهزيمة دول المحور، سافر إلى انجلترا وعين مشرفا على «مجموعة منجانا» من المخطوطات الشرقية، وباحثا في مدينة برمنجهام، ونشط في إعداد فهارس للمخطوطات العربية الإسلامية.

ثم انفرجت أزمته أكثر و ابتسمت له الأيام، فانفتحت أمامه أبواب الجامعات في أوربا، فعين أستاذا للدراسات العربية الإسلامية في جامعة فيينا وظل يشغل هذا المنصب

---

(١) ترجمته في موسوعة المستشرقين،ص١١٣ وأيضا العقيقي ، المستشرقون ج٢/ ٤١٨.

(٢) موسوعة المستشرقين ، ص ٨٥.

منذ عام (١٩٤٨إلى ١٩٦٢). ثم أصبح مديرا للمعهد الشرقي في الجامعة، وانتخب عضوا في مجمع العلوم النمسوي.حتى تقاعده عام (١٩٧٤) ومن الواضح أنه اختار فيينا مقرا دائما له بعد رحلة التجوال في أوربا من ألمانيا إلى انجلترا ثم استقر في فيينا عاصمة النمسا.[1]

ثانيا: جهوده العلمية:

من الملاحظ أن إنتاج هانز جوتشلك قليلا، يكاد لا يذكر سواء بمقارنته بزملائه اليهود أمثال جولدتسيهر و باول كراوس و ماكس مايرهوف، أو إذا قيس بعمره الذي امتد إلى سبعة وسبعين عاما، أو بعمله داخل الجامعة مما يوفر له فرصة الاطلاع والدراسة والإنتاج العلمي، وسوف نشير إلى أهم جهوده العلمية لاسيما وقد تخصص في دراسة تاريخ مصر في عصر الأيوبيين:

١- الصليبية والملك الكامل (١٩٤٨)

٢- الملك الكامل وعصره، صدر عام (١٩٥٨)

٣- شجرة الدر، زوجة الملك الصالح أيوب.(١٩٦١/ ١٩٦٧)

٤- تحقيق ونشر تاريخ ابن الفرات لاسيما الأجزاء التي تدور حول تاريخ الأيوبيين.

٥- علم الكلام في دمشق (١٩٦٧)

٦- الإسلام في شمال أفريقيا (١٩٧٠)

٧- شارك في «موسوعة تاريخ حضارة الإسلام» التي كانت تصدر في فرانكفورت، بالقسم الخاص بحضارة العرب، وصدر عام (١٩٧١)[2]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- هذا مستشرق ألماني يهودي، يضاف إلى زمرة إخوانه من اليهود الذين عاشوا في ألمانيا، دون أن يربطهم أي رابط بهذا الوطن العظيم، أو يشعروا بأي شعور من المحبة تجاهه أو الولاء له، ومع أول فرصة سانحة تركوه، وولوا الإدبار، وشغلوا أنفسهم

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ١٩٣.العقيقي: المستشرقون ج٢/ ٢٩١.

(٢) موسوعة المستشرقين ص ١٩٣. العقيقي: المستشرقون ج٢/ ٢٩٢.

بالعمل الذي عثروا عليه في مكان آخر، «والشعور الفندقي» متغلغل في أعماقهم، وجاهزون دائما لحمل عصاهم على أكتافهم وخيامهم مثل بدو الصحراء يتجهون حيث منابع الآبار وسقوط الأمطار ووجود العشب والزرع والماء.

٢- تعد سيرة هانز سيرة عادية بسيطة لمواطن جاء إلي الحياة ومضى مثل ملايين البشر، ليس فيها مفاجآت أو مغامرات، يمضي قدما في حياته يواصل دراساته العليا، ويعمل داخل الجامعة إلى أن يصل إلى التقاعد، مع وجود المنغصات العادية التي لا تخلو منها الحياة، والمشكلات اليومية التي تواجهنا ونحن نشق الطريق إلى الهدف المرجو والأمل الذي يعيش في الأعماق.

٣- عاصر جوتشلك المشروع الصهيوني وهو في أوج انتشاره، ودعوة زعماء الحركة للجاليات اليهودية بالهجرة إلى فلسطين، ثم تحقق المشروع في أرض الواقع، وقيام الكيان الإسرائيلي في قلب العروبة، وحكام العرب وشعوبهم غائبون عن حركة التاريخ.

واللافت للنظر أن مسيرة حياته خالية من أي مشاركة في هذا المشروع، أو قيامه بأي نوع من المساهمات لإنجاحه، ولا توجد إشارات تدل على تعاطفه مع طائفته، فهو عاش في ألمانيا وتعلم في مدارسها وجامعتها، وحينما سرت موجة العداء ضد الجماعات اليهودية هاجر إلى بريطانيا واشتغل في جامعاتها، ثم ظهر له أن مصلحته الشخصية والعلمية تكمن في الاستقرار في النمسا والمكوث بها.

٤- تركـزت دراسـات جوتشـلك حـول تـاريخ الدولـة الأيوبيـة (٥٦٦-٦٤٨هـ/ ١١٧٠-١٢٥٠) في مصر والشام وقد وضع قواعدها صلاح الـدين الأيـوبي، و قامت على أنقاض الدولة الفاطمية (٣٥٧- ٤٢٧هـ).

الحقيقة أن مسار الأيوبيين لم يكن كله إيجابيـا، إذ بعـد وفـاة صـلاح الـدين انقسـمت الدولة بين أولاده، وأصبحت إمارات ضعيفة، و كالعادة أصبح الأشقاء الأحبـاء يحـارب بعضهم بعضا، ويتحالفون مع الصليبيين، على أن الحسنة التي تذكر لهم هو انتصارهم على الصليبيين، وهذا ما تحقق بقيادة الملك الصالح أيوب الـذي تـوفى أثنـاء هجـوم الصـليبيين

بقيادة لويس السادس ملك فرنسا، واستطاعت شجر الدر(ت٦٥٥هـ/ ١٣٥٧)[١] أن تقود السفينة إلى بر الأمان فاستدعت توران شاه(ت ٥٧٦ هـ) من الشام، وقاد الجيش المصري الحملة بقوة وشجاعة وانتصروا علي لويس، وتم أسره وسجنه في «دار ابن لقمان بالمنصورة»، وتعد شجر الدر آخر حكام الأيوبيين، فبعد موتها تأسس حكم جديد بقيادة المماليك (١٢٥٠- ١٥١٧).

٥- ينسب تاريخ ابن الفرات، إلى محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات (١٣٣٥- ١٤٠٥) مؤرخ مصري، ولد ومات في القاهرة، اشتهر بأنه لا يحسن الإعراب، فكثر اللحن في مؤلفاته، له تاريخ معروف باسمه طبع في أربع مجلدات باسم «تاريخ الدول والملوك»، منها طبعة جوتشلك الذي انتقي منه ما يدور حول الأيوبيين.

***

(١) الزركلي : الأعلام ج٣/ ١٥٨.

٢٦- هرتفج دارنبور Hartwig Derenbourg

(١٨٤٤- ١٩٠٨)

أولا: نبذة عن حياته:

هذا المستشرق، يكاد أن يكرر القصة التي حفظناها، إذ تنحدر أسرته من أصل ألماني هاجرت إلى هولندا ومنها إلي فرنسا حيث ولد ابنها هرتفج عام (١٨٤٤) في باريس، فهو ابن جوزيف دارنبور الذي سبق الحديث عنه.

تلقى تعليمه في المدارس الفرنسية، ظهر ميله لدراسة اللغة العربية في وقت مبكر، فتعلمها على يد أبيه حتى تمكن منها وفاق أبيه استيعابا وفهما، وأكمل دراستها في جامعات ألمانيا وأهله إتقانه للغتنا الجميلة إلى أن صار مدرسا لها في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس عام (١٨٧٩) ومع تراكم خبراته التربوية في تدريس اللغة العربية، اختير لتدريسها في المدرسة العملية للدراسات العليا، وفي عام (١٨٥٥)أنشئ بهذه المدرسة أول قسم لدراسة الإسلام، وكانت مؤهلاته تزكيه لشغل هذا المنصب، وكان أول الأساتذة الذين نهضوا بهذه المسؤولية العلمية؛ وفي الوقت نفسه عمل بقسم المخطوطات في مكتبة باريس الوطنية حيث أنفق أعواما عديدة، في مطالعة المخطوطات وقراءتها قراءة متأنية فضلا عن تبويبها وتصنيفها، وقد أتاح له هذا العمل التوجه إلى دراسة الأدب العربي والإحاطة بعصوره ومدارسه بخاصة، والفكر الإسلامي بعامة.

ومع هذه الخبرة الواسعة من خلال التعامل مع المخطوطات ومعايشتها، انتدبته وزارة المعارف لدراسة المخطوطات الشرقية في مكتبات الأسكوريال ومدريد وغرناطة الغنية بتراثها الإسلامي، وكان خلاصة هذا الجهد الكبير إعداد مجلدين كبيرين، علاوة على نشره بعض نوادر المخطوطات.

أنفق هرتفج حياته في التدريس ويقال تتلمذ على يديه لويس ماسينيون، علاوة على

تحقيق المخطوطات، وظل يعمل وينتج ويحقق إلى أن توفي في باريس عام (١٩٠٨).[1]

ثانيا: جهوده العلمية:

ذكرنا أن معايشته للمخطوطات حببت إلى نفسه الأدب العربي نثره وشعره، ووسعت دائرة معارفه بعلماء الحضارة العربية الإسلامية، ولذلك نلاحظ اهتمامه بتحقيق هذا التراث العظيم ودراسته دراسة عميقة، وترجمته إلى اللغة الفرنسية، أضف إلى ذلك أنه ترك مؤلفات متنوعة وإنتاجا علميا لا بأس به، وسوف نشير إلي جهوده العلمية لاسيما ما يتعلق بحضارتنا.

١- ديوان النابغة الذبياني، مع شرح الشنتمري (١٨٦٩)

٢- كتاب فيما يلحن فيه العامة (ليبتسك ١٨٧٥)

٣- الكتاب لسيبويه في قواعد اللغة (باريس١٨٣٩)قدم له بمقدمة طويلة وحواش، ونشره في جزأين، لكن طبعة بولاق لكتاب سيبويه أفضل منه.

٤- المواعظ والاعتبار، لأسامة بن منقذ (١٨٨٦).عثر على نسخة من الكتاب في مكتبة الأسكوريال عام (١٨٨٠) في أثناء فهرسته لمخطوطاتها.

٥- مختارات من قصائد أسامة بن منقذ (١٨٨٩-١٨٩٣)

٦- الفخري في الآداب السلطانية، لابن الطَّقْطَقَي (١٨٩٥).[2]

٧- النكت العصرية، لعمارة اليمني الفقيه.(باريس ١٨٩٧)[3]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- لاغرو أن البيئة العلمية التي ولد فيها هرتفج ساعدته على صقل مواهبه المتعددة،

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٢٤٢. شخصيات قلقة في الإسلام ص ح ، العقيقي : المستشرقون ج١/ ٢٠٣.

(٢) موسوعة المستشرقين ص ٢٤٢. العقيقي : المستشرقون ج١/ ٢٠٣، يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق ص ٢٦١.

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ج١/ ٢٠٤.

وأبرزت القدرات الكامنة فيه، ونمت اتجاهاته العلمية وشكلت أبعاد شخصيته الأكاديمية، فكم من إنسان متعدد المواهب، وأد الفقر قدراته، وأضاعت البيئة الجاهلة مواهبه الفذة وملكاته.

٢- عاصر هرتفج ظهور الحركة الصهيونية في أوربا ودعوتها المشؤومة علينا وعلى أوطاننا، ومع هذا لا تشي مؤلفاته بأي نوع من التعاطف معها فضلا عن التأييد لها، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه سابقا؛ بأن كثيرا من المستشرقين اليهود رضوا بالعيش في الدول التي أقاموا فيها، وحينما تنقلوا من مكان إلى آخر كان يحدوهم البحث عن وظيفة تؤمن حياتهم و تدر عليهم دخلا سخيا وتزيد ثراءهم، ولم يأبهوا لنعيق الحركة الصهيونية، و أصموا آذانهم عنها وأداروا ظهورهم لها.

فقد عاش في فرنسا ورضي بالمقام فيها ثم ذهب إلي الأندلس بكل ما تمثله من تاريخ زاهر ومجد غابر، ومخزن للمخطوطات العربية الإسلامية، ثم عاد إلى وطنه يقرأ ويكتب ويحقق.

٢- النابغة الذبياني (ت٦٠٤ م):

يعد النابغة الذبياني من شعراء الجاهلية الكبار، اسمه زياد بن معاوية من ذبيان، مدح النعمان صاحب الحيرة، وعمرو بن الحارث ملك الغساسنة، تبوأ منزلة كبرى بين شعراء عصره، فكان يحضر سوق عكاظ، ويحكم بين الشعراء، جمع ثروة كبيرة من المديح، يمتاز شعره بجزالة اللفظ وسعة الخيال وقوة الوصف وخلوه من التكلف توفي سنة (٦٠٤م). طبع ديوانه أكثر من مرة، ومنها طبعة ديرنبورج التي نشرها في المجلة الآسيوية الفرنسية.[١]

٣- سيبويه (ت ١٨٣هـ):

اسمه بشر عمرو بن عثمان، من أكابر النحويين في العربية، يعد من الموالي الذين هم أغلب حملة العلم في الحضارة الإسلامية فيما ذكر ابن خلدون، وسيبويه بالفارسية تعني

---

(١) جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج١/ ١٠٠.

«رائحة التفاح» نشأ في البصرة، وبرع في النحو ودخل في مساجلات واسعة مع علماء عصره، كون مدرسة في النحو انتصرت لآرائه وتوفي سنة (١٨٣هـ).

أما «كتابه»، فيعد من أشهر كتب النحو في العربية، حتى أصبح إذا قيل «قرأ فلان الكتاب» يعني كتاب سيبويه، طبع أكثر من طبعة في كلكتا وبرلين ومصر، منها طبعة هرتفج في باريس، كتب له مقدمة طويلة وتعاليق مفيدة وشروح قيمة.(١)

٤- أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ = ١٠٩٥ - ١١٨٨ م) أمير من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (بقرب حماة) ومن العلماء الشجعان. ولد في شيزر، وسكن دمشق، وانتقل إلى مصر سنة (٥٤٠ هـ) وقاد عدة حملات على الصليبيين في فلسطين، وعاد إلى دمشق. ثم برحها إلى حصن كيفا فأقام فيه إلى أن ملك السلطان صلاح الدين دمشق، فدعاه السلطان إليه، فأجابه وقد تجاوز الثمانين، فمات في دمشق. وكان مقربا من الملوك والسلاطين.

له مؤلفات في الأدب والتاريخ، منها لباب الآداب والبديع في نقد الشعر و المنازل والديار و القلاع والحصون و أخبار النساء. وله ديوان شعر، وكتب سيرته في جزء سماه «المواعظ والاعتبار»، ترجم إلى الفرنسية والألمانية.(٢)

٥- ابن طباطبا العلوي، (٦٦٠ - ٧٠٩ هـ /١٢٦٢ - ١٣٠٩ م)

محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الطقطقي: مؤرخ بحاث ناقد. من أهل الموصل. خلف أباه (سنة ٦٧٢ هـ) في نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء، تزوج بفارسية من خراسان. وزار مراغة (سنة ٦٩٦) وعاد إلى الموصل، اشتهر بكتابه الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، ألفه لفخر الدين عيسى بن إبراهيم، صاحب الموصل.

يدور الكتاب حول سياسة الملك والأمور السلطانية، وأهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الحاكم؛ الخوف من الله والعفو والكرم والهيبة والشجاعة، وينوه بالخصال غير المستحبة؛ مثل الاستبداد والنفاق والفساد، ويوضح أن الناس على دين ملوكهم، ثم يعرج

---

(١) زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢/ ١١٥/ ١١٦.
(٢) زيدان : تاريخ آداب اللغة ج٣/ ٦٤ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج٦/ ٢٢.

إلى ذكر نماذج من الدول، مثل الخلافة الراشدة والأموية والعباسية، وينقد خلفائها نقدا مراً، ويتوقف أمام شخصية الخلفاء الإيجابية والسلبية. وعلى الجملة فالكتاب بدأ بمقدمة تحليلية تعد في فلسفة التاريخ والبحث في أسباب قيام الدول وانهيارها، و يصنف في فن علوم السياسة الشرعية.[١]

٦- عمارة بن على بن زيدان اليمني (ت٥٦٩هـ/١١٧٤)

مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن. ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة ٥٣١ هـ وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفائز الفاطمي فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم ومدحهم. ولما سقطت دولتهم وملك «صلاح الدين» الديار المصرية، تآمر مع بعض المصريين على اغتياله، فقبض عليهم وقتلوا وصلب معهم.

له تصانيف، منها «تاريخ اليمن» ترجم إلى الإنجليزية وطبع في لندن عام (١٨٩٢) و «النكت العصرية، في أخبار الوزراء المصرية» يتكلم فيه عن نفسه وعن الوزراء: الصالح وشاور والكامل وابنه، وهو الكتاب الذي حققه هرتفج.

المفيد في أخبار زبيد، وفيه كثير من أخباره، تحدث فيه عن نفسه ومدينته، وقصائد ومختارات أوردها من شعره ونثره.[٢]

٧- نقد أحد الباحثين هرتفج بقوله: «كان يعوزه التدقيق والمعرفة الوثيقة، كذلك لم يفلح في متابعة تقدم البحث في العلوم الإسلامية»[٣]

٨- من الطرائف التي وقعت له، أنه كان يعيش في المغرب، وبعد أن شرح كتاب سيبويه، قال لبعض الناس مروا به: أريد حمارا. فلم يفهمه أحد منهم لأنهم يتفاهمون بقولهم: «نحب دابة»!!

فضحك وقال: سأترك العربية لأنني بعد قضاء عمري في درسها والتضلع فيها ونشر روائعها لم تبلغني من ركوب حمار.

---

(١) تاريخ آداب اللغة ج٣/ ٢١٥/ ٢١٦.
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج٣/ ٧٨ ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠، ج٥/ ٣٧.
(٣) موسوعة المستشرقين ص ٢٤٢.

٢٧- هرتفج هرشفلد. Hartwig Hirschfeld
(١٨٥٤- ١٩٣٤)

أولا: نبذة عن حياته:

- ولد هرشفلد في تورن (إقليم بروسيا، في شمالي ألمانيا)(سنة ١٨٥٤) تلقي تعليمه الثانوي والجامعي، في ألمانيا، وحصل على الدكتوراه الأولى من جامعة اشتراسبورج في (سنة ١٨٧٨)، ونظرا للعداء الشديد الذي كان يكنه الشعب الألماني لليهود، بسبب خيانتهم للوطن الذي يعيشون فيه، وقيامهم بتخريبه من الناحية الاقتصادية.

لم يطب له المقام في ألمانيا، فهاجر في سنة (١٨٨٩) إلى إنجلترا أملا في الاستقرار والأمان وبحثا عن عمل يوفر له سبل المعيشة، ومستوى لائق من الحياة الطيبة، وأيضا يتناسب مع مؤهلاته العليا التي حصل عليه بعد جهد جهيد، ومع طرق الأبواب والترحال هنا وهناك، وجد عملا في مدرسة فوتفيوري اليهودية في مدرسة رانسجيت، وقد مكث في التدريس فترة امتدت أكثر من عشر سنوات، وبعد صبر وبحث ومعاناة طويلة، وفي سنة (١٩٠١) لاحت له فرصة أخرى في الكلية اليهودية بلندن، لتدريس اللغات السامية، وفي الوقت نفسه مشرفا على مكتبتها.واستقر في هذا العمل يمارس التدريس، فيها ويدرس اللغة العبرية في كلية الجامعة بجامعة لندن، طوال حياته، التي لم يطرأ عليها تغييرا يذكر أو تحولا جديدا، سوى ترقيته في أواخر حياته الأكاديمية إلى درجة أستاذ سنة (١٩٢٤) وسارت به الحياة في طريقها المرسوم حتى قذفت به أمواجها العاتية إلى نهاية الطريق وخاتمة المطاف ليدفن تحت الثرى، في سنة (١٩٣٤).[١]

ثانيا: إنتاجه العلمي:

عاش هرشفلد عمرا مديدا؛ ثمانون عاما، ومع هذا يعد إنتاجه العلمي متواضعا،

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٦٠٩.

وبتعبير آخر هزيل إذا قيس بالفترة الزمنية التي عاشها، فضلا عن أنه عمل في الجامعة فترة طويلة وهذا يوفر له الجو العلمي المناسب لكتابة البحوث الرصينة والتأليف الأكاديمي، ومحتوى جهوده العلمية، تنقسم إلى بضعة كتب كلها تهاجم القرآن وتطعن فيه، والباقي مجموعة من المقالات التي تدور حول الأدب العربي.

وسوف نشير إلى أهم مؤلفاته التي جادت بها قريحته حول التراث الإسلامي؛ دينه وأدبه وفكره، وننقب عن خدماته إن كان هناك خدمات قدمها، كما نرى:

١- العناصر اليهودية في القرآن. وهي رسالته للدكتوراه سنة (١٨٧٨)

٢- إسهامات في إيضاح القرآن.وهي دراسة تدور في الإطار السابق..(ليبزج ١٨٨١)

٣- بحوث جديدة في تأليف القرآن وتفسيره.(لندن ١٩٠٢٩)

٤- نشر عدة دراسات عن «وثائق جنيزة مصر القديمة» سنة(١٩٠٣ - ١٩٠٨)

٥- تحقيق ديوان حسان بن ثابت، بعد مقابلته بمجموعة مخطوطات لندن وبرلين وباريس، وكتب له مقدمة ونشره.(لندن ١٩١٠)

٦- تحرير مجموعة مقالات نشرها في الجمعية الآسيوية والآشورية منها؛ السموأل (١٩٠٦، ١٩٠٧)، الإسلام واليهودية.(١٩١٢) أبو نواس (١٩١٧)، الجاحظ (١٩٢٢) الأمثال العربية (١٩٢٣).

٧- مجموعة من الشروحات لكتب من تأليف المفكرين اليهود كتبت باللغة العربية، قام بتحقيقها والتعليق عليها وترجمتها إلى اللغات الألمانية والإنجليزية.[١]

ثالثا: نقد وتعقيب:

١- يلاحظ أن هناك قواسم مشتركة بين هذا المستشرق و زملائه من المستشرقين اليهود نجملها في الآتي:

---

(١) موسوعة المستشرقين ص ٦٠٩ ، العقيقي ج٢/ ٤٠٠.

أ- تنقله من مكان ولادته ووطنه ألمانيا إلى دولة أخرى، وترك موطنه الأول وملعب صباه ومحط ذكرياته غير آبها لذلك أو عابئا بوطنه بسبب عدم الولاء له، أو الشعور بالانتماء لمواطنيه أو أي شعور وجداني يربطه بالأرض التي نعم بخيراتها واستظل بظلها،

ب - يلاحظ أن أغلب المستشرقين اليهود يتخصصون في اللغات السامية، ومنها اللغة العبرية، ونعتقد أن هذا التخصص وراءه هدفين، الأول: الحصول على عمل في الجامعات يدر عليهم دخلا مميزا ورزقا وفيرا، الثاني: إحياء مفردات اللغة العبرية التي ماتت ودخلت توابيت التاريخ، فاتفقوا على بعثها من أكفانها وإعادة الروح إليها، ولاشك أنهم نجحوا، ولا أحد يستطيع أن يباري في ذلك، ونري رؤسائهم في مجلس الأمن والأمم المتحدة يصرون على الخطابة بها.

ج - الاقتناع الكامل والاعتقاد الجازم بأن الرسول ﷺ استعار معظم آيات القرآن الكريم واستمد قصصه الدينية والتاريخية وبعض ألفاظه من التوراة،

د - الخلط الواضح بين مبادئ الإسلام وعقائده كما جاءت في مصادره، ووجهة نظر المستشرق ورؤيته لهذا الدين.

٢- يدخل هذا المستشرق ضمن الزمرة المهاجمة للعرب والإسلام، مثل رهبان أوربا الذين كانوا يجوبونها «لتبشيع الإسلام» في عيون المسيحيين والإدعاء أن أهل الإسلام وثنيون [١]، ويعد أيضا ضمن طائفة المستشرقين الذين ساهموا بعلمهم وجهدهم لإنجاح الحركة الصهيونية وساعدوا في تنفيذ مشروعها على أرض المسلمين، ونقله من حالة التصورات والأحلام إلى دنيا الناس و أرض الواقع، الذي انتصر في نهاية المطاف، وقد جند نفسه في جيش الشيطان، وتولى مهمة التشكيك في القرآن، و سخر كافة دراساته لتناول آياته ومناقشة قضاياه والادعاء أنه مقتبس من التوراة، وقيامه بالمقارنة بين بعض الآيات التي وردت فيه مع النصوص التوراتية، ومحصلة هذا الافتراء، تقرير أن الرسول ﷺ استمد هذه النصوص؛ القصص والمعاني والألفاظ من التوراة.

---

(١) محمود شاكر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ٣٥.

وقد تصدى د.بدوي، لإدعاءاته الكاذبة وتخليطه البين ومغالطاته الفجة، بمصادره الغزيرة، ومراجعه الأصيلة وفهمه لنفسية هؤلاء القوم وأهدافهم، بسبب معايشته لهم وفهم مراميهم، وقد تجرد له؛ بالحوار العقلاني و الحجة القوية والدليل الاستدلالي في مناقشات طويلة في كتابه «دفاع عن القرآن» وسوف نشير لأهم القضايا مثار الجدل والنقاش في نقاط محددة:

المقارنة الأولى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٥-٩].

- «الشمس لحكم النهار، والكواكب لحكم الليل، الصانع السموات بفهم، الباسط الأرض علي المياه» (المزمور ١٣٦).

الناظر في هذه المقارنة لا يلمس أي علاقة بين آيات القرآن التي تؤكد أن مظاهر الطبيعة تسجد لله وتسبح بحمده بلغة لا نفهمها، وأن الله سخر الأرض وما عليها لحياة البشر.أما نص التوراة فيتكلم عن قضية مغايرة لذلك ولا يوجد علاقة بين النصين لمن يريد أن يفهم أو يحاول أن يتبصر.

المقارنة الثانية: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

- «الصانع ملائكته رياحا وخدامه نارا ملتهبة» (المزمور ١٠٤)

الحقيقة لا ندري ما العلاقة بين كلام الله سبحانه وتعالى الذي يتحدث عن أنه يختار من عباده من يشاء فيرسله لهداية البشر، وأن جبريل طوع أمره يبلغ أوامره سبحانه؛

ونص التوراة الذي يتكلم عن مظاهر الطبيعة من الرياح والنار.

- المقارنة الثالثة: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢].

«كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه» (المزمور ١٠٤).

يقرر القرآن أن من صفات المؤمنين الصبر والتوكل علي الله والاعتماد عليه بعد الأخذ بالأسباب، في حين يتحدث المزمور عن رجاء البشر في أن يرزقهم الله ويمنحهم الغذاء.(١)

الحقيقة أن ما طرحه هرشفيلد فيه تعسف وأن مقارناته لا تؤدي إلى النتيجة التي يريد أن يصل إليها، ونتائجه لا تتسق أبدا مع المقدمات التي طرحها، ومن الواضح أن بضاعته في اللغة العربية مزجاة، ومن العسير عليه أن يفهم بلاغة القرآن ونظمه المعجز، فضلا عن أن يدرك مرامي ألفاظه وإيحاءاتها، واختلاف معاني كل كلمة حسب ورودها في السياق، ومعطيات كل آية، ودلالة معانيها وفهم أسباب النزول والمحكم والمتشابه والعام والخاص وهكذا، هذه نقطة،

الثانية: «إذا أنعمت النظر لم تجد أيّ تشابه ولا نقل ولا أي استيحاء، ويعجب المرء كيف استباح هذا الرجل لنفسه أن يدعي وجود نقل أو تشابه بين موضع قرآني وآخر ورد في كتاب يهودي، بينما لا يوجد أي تشابه، ثم إنه يخلط خلطا شديدا في تفسيره للآيات القرآنية، وفي فهمه لمعانيها.وبالجملة فإن العمى العلمي لا يمكن أن يبلغ بباحث ما بلغ عند هذا الرجل.» (٢)

النقطة الثالثة، على فرض أن هناك أوجه تشابه بين ما جاء في القرآن وما ورد في التوراة، لاسيما فيما يتعلق بقضية التوحيد الإلهي والمبادئ الأخلاقية والوصايا العشر، أو قصص الأقدمين والأمم السابقة؛ فما وجه الغرابة إذا كان يغترفان من نبع واحد، ومصدرهما واحداً، الله رب العلمين، ومنزلها الإله الخالق العليم.؟

لقد صدق هذا الدرعمي حينما قال: قل أن تقرأ لباحث غربي أو مستشرق (يهودي)مؤلفا في الإسلام أو يتصل بموضوعه من قريب أو بعيد إلا وجدت فيه مغامز، وعثرت بين السطور على أشياء خفية يحاولون بها غرضا معينا، ويدبرون أمرا موسوما وكأنهم - إلا قلة نادرة من منصفيهم وأهل العلم الحقيقي فيهم - جميعا على هدف واحد، ويجتمعون على غرض واحد، ينسون في سبيله مقتضيات العلم وما يتطلبه من الإنصاف

---

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، ، ص٢٥-٣٣

(٢) موسوعة المستشرقين ص ٦٠٩

والحيدة، وعدم التحيز والبعد عن التعصب، وابتغاء وجه المعرفة وحدها وبهذا يشوهون قدر العلم.(١)

خلاصة القول أن بحوث هيرشلد الثلاثة التي خصصها لإظهار العلاقة بين القرآن والتوراة لا قيمة لها ولا وزن، ولا يعتد بها في ميزان البحث العلمي؛ لأنها قائمة على أوجه شبه فرضية وآراء مبتسرة واعتقادات مسبقة وعواطف مملوءة كراهية للإسلام، ومقدمات لا أساس لها وتفتقر كلية إلى الفهم والتأمل والصدق.(٢)

٣- حسان بن ثابت (ت٥٤هـ/ ٦٧٤م):

حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي، كان أبوه من سادة قومه وأشرافهم وأمه خزرجية، أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، شاعر الرسول ﷺ الأول، وصوت المسلمين الذي يجهر بالحق، ويدافع عنهم دعا له ﷺ وقال: «اللهم أيده بروح القدس»، كان شديد الهجاء فحل الشعر، ويعد أشعر أهل المدن في ذلك العصر، قال أبو عبيدة «فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر الرسول ﷺ في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام» عاش في المدينة وأصابه العمى في أواخر حياته وتوفي فيها، له ديوان باسمه.(٣)

٤- أبو نواس (١٤٦ -١٩٨هـ/٧٦٣ -٨١٤):

الحسن بن هانئ بن عبد الأول، شاعر العراق في عصره؛ ولد في الأهواز، في خلافة أبي جعفر المنصور، من أب عربي من جند مروان بن محمد وأم فارسية، نشأ في البصرة،

---

(١) محمد عبد الغني حسن : الإسلام بين الإنصاف والجحود ، ص٥ .والأستاذ محمد عبد الغني حسن ، ولد عام (١٩٠٧)، تخرج في دار العلوم ، عمل محاضرا في المعهد العالي للتمثيل، كتب في عدد من المجلات العربية ، تولى وظائف عدة وجوائز أيضا توفى عام (١٩٨٥)، من مؤلفاته؛ عبد الله فكري، حياة مي، وحقق «تلخيص البيان» لابن المرتضى .ترجمته في ؛ محمد خير رمضان : تتمة الإعلام ج٢/ ١٨٨.

(٢) بدوي : دفاع عن القرآن ص ٣٣.

(٣) تاريخ آداب اللغة ج١/ ١٥٠، ضيف : تاريخ الأدب العربي ؛ العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة، ٢٠٠٢ ، ص ٧٧، الأعلام ج٢/ ١٧٥-١٧٦.

التي كانت ملتقي المذاهب والنحل، ومجمع الحضارة بفضائلها ومباذلها، تنقل في المدن العربية ما بين بغداد ودمشق والقاهرة التي لم يطب له المقام فيها، اتصل بالخلفاء والأمراء لحسن أسلوبه وحضور بديهته وسرعة تصوير المواقف، فأحبه الخلفاء، لطلاوة شعره وموضوعاته الطريفة، واستقر ببغداد، واتصل بهارون الرشيد وابنه الأمين، وله معه مسامرات، شهد له مؤرخو الأدب، أنه عليم باللغة ومن أفصح الشعراء لهجة، وقال الإمام الشافعي: لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم، أجود شعره في الخمريات واللهو والمجون والتغزل بالغلمان، وضعت الكثير من الكتب حول سيرته وشعره، له أكثر من ديوان شعر أحدهما سمي «الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس»[١]

٥- الأمثال العربية:

اشتهر العرب بإطلاق الأمثال للتعبير عن مواقف في حياتهم أو تصوير واقعة من الوقائع، يعد المثل خلاصة موجزة لمواقف الحياة وتكثيف للألفاظ، وحكمة سائرة لتجارب المجتمع والأمم، عدت الأمثال من الأدبيات العربية التي احتلت مكانة كبيرة وأفردت لها الكتب، وتعددت معانيها؛ فمنها أمثال في الحكمة والشجاعة وذم البخل والدعوة إلى مكارم الأخلاق أو التحذير من سوء العاقبة وهي تعبر عن الحركة التاريخية وتطورها وعن طبائع الشخصية العربية، و قد ألف المسلمون في هذا الفن كتبا كثيرة سجلت أمثالهم أهمها؛ مجمع الأمثال للميداني (ت٥١٨هـ) والمستقصي للزمخشري (ت٥٣٨هـ) زد على ذلك نجد أن أغلب كتب الأدب والموسوعات مثل البيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد الفريد والإمتاع والمؤانسة طافحة بمثل هذه الأمثال، وتذكرها في موقف العظة والعبرة أو التعبير عن حادثة من الحوادث وتشرح مناسبة المثل والواقعة التاريخية التي قيلت فيه[٢].

---

(١) العقاد : أبو نواس ، المكتبة العصرية ، بيروت ، تاريخ آداب اللغة ج٢/ ٦٠- ٦١.، بروكلمان ج٢/ ٢٤ ، الأعلام ج٢/ ٢٥٥.

(٢) تاريخ آداب اللغة ج ١/ ٤٧-٤٨.



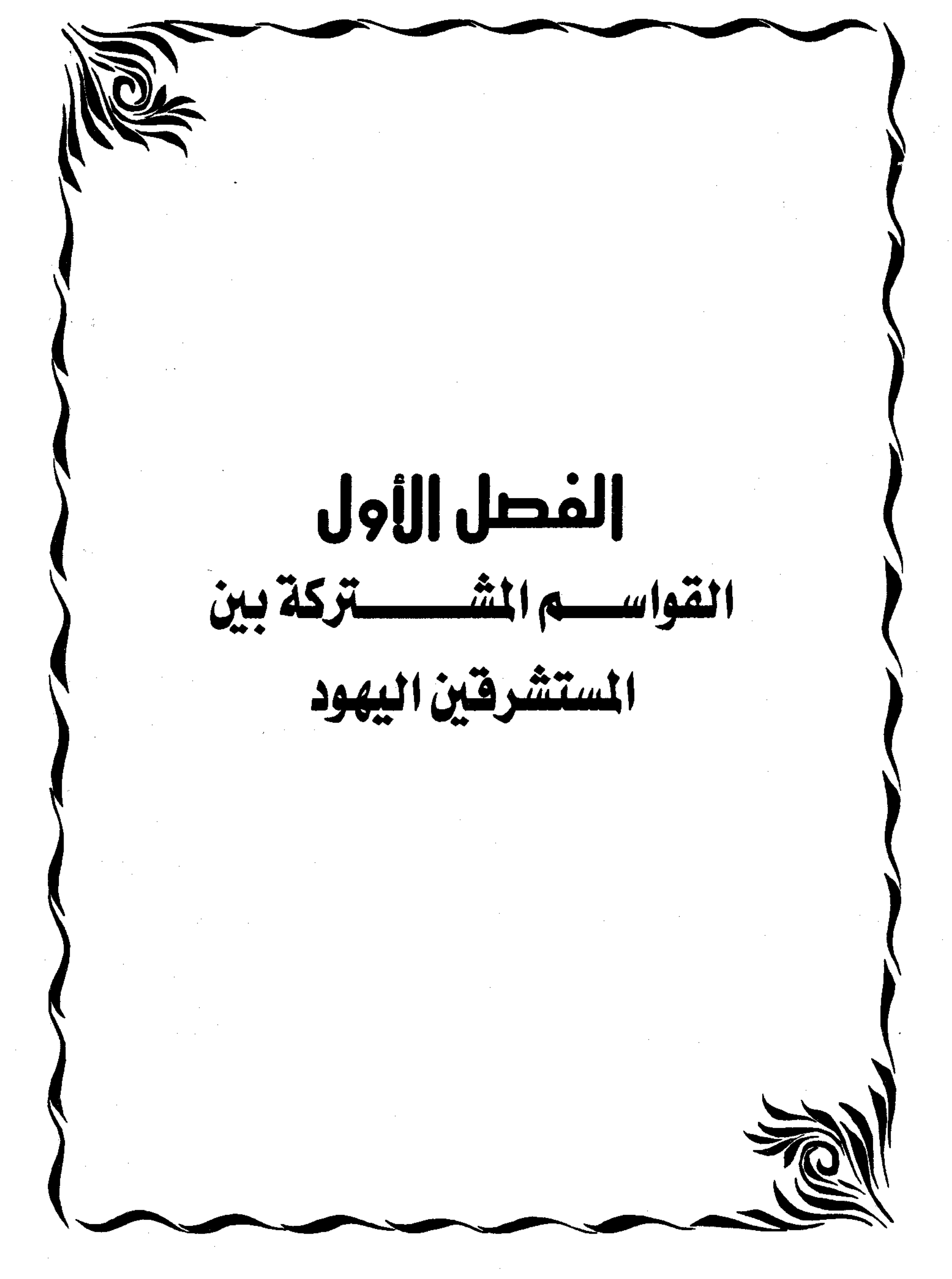


الباب الثاني

وقفة فلسفية أمام مشاركة اليهود في الحركة الاستشراقية







الفصل الأول

القواســم المشــــتركة بين المستشرقين اليهود

تمهيد:

بعد دراسة حياة المستشرقين اليهود، والوقوف أمام أعمالهم العلمية والإشادة بجهودهم؛ سواء أكان في مجال البحث العلمي والتأليف أو في مجال تحقيق المخطوطات ونشرها، وتحليل بعض مؤلفاتهم، وسبر غورها وتقييمها تقييما موضوعيا، والإشارة إلى الجانب الإيجابي من التراث الضخم الذي خلفوه، والدعوة إلى الاستفادة منه، والتنبيه إلي بعض الأخطاء التي وقعوا فيها، لمحاولة تصحيحها ولفت نظر الباحثين إلى هذه الأخطاء الفجة والآراء المبتسرة والأفكار المغرضة للاستدراك عليها وتفنيد مزاعمهم والتصدي لهم بذات السلاح أعني استعمال أسس المنهج العلمي، دون تعصب أو استعمال لغة خطابية متشنجة، وهذه جدلية البحث العلمي، وحقيقة الإنسان الذي يرتفع إلى أعلى بالقيم الأخلاقية والمثل العليا ويهبط إلى أسفل سافلين، بسب رغباته الدفينة وشهواته السفلية.

ومن خلال هذه الدراسة والاستقراء العلمي لهذا المجهود الضخم، ومحاولة تفكيك بنيته العلمية واستنتاج ما هو مضمر تحت السطح، يستطيع القارئ المدقق أن يدرك الخيط الرفيع الذي يسلك هؤلاء القوم في عقد واحد، ويرى الحبل السري الذي يجمعهم في رحم واسع.

ونود التنبيه أننا استنتجنا هذه القواسم من خلال التحليل العلمي لشخصياتهم، وتتبع سيرة حياتهم ورحلاتهم والقراءة العميقة لإنتاجهم العلمي، وتتبع الدوافع الكامنة وراء مشاركتهم في حركة الاستشراق، واستشهادنا بآراء الدارسين والباحثين، جاء لاحقا تأييدا لما توصلنا إليه بمجهودنا.

ونحن بسبيل عرض أهم القواسم المشتركة التي توصلنا إليها و تعد سمات أساسية واضحة في الاستشراق اليهودي.

أولا: يتميز معظم هؤلاء المستشرقين بالإرادة القوية والحركة النشطة والهمة العالية وارتفاع سقف طموحهم وصراعهم مع مشكلات الحياة، وإصرارهم على بلوغ الهدف

الذي رسموه لمستقبلهم مهما كلفهم من تعب ونصب وجهد وعناء، ومحاولتهم المتكررة للتغلب على المشكلات العويصة التي تقابلهم - وهي من لوازم حركة الحياة -، وعندهم صبر طويل وجلد واضح لتحمل المشاق في سبيل الغاية التي سعوا إليها.

وهنا مسألة نحب أن نجليها، أننا نتكلم عن فئة مميزة داخل المجتمع قطعت شوطا في السلم التعليمي، وحققت تقدما في ميدان البحث العلمي، ومكانة مرموقة في طبقات المجتمع.ولا نتكلم عن عوام الناس الذين يكنسون الطريق وينقذون الغريق ويحضرون السوق ويطفئون الحريق على حد تعبير أبي حيان التوحيدي (٤٠٣هـ) الذين يجيئون إلى الحياة ولا يضيفون شيئا جديدا، أو يقدمون فكرة طريفة تساعد في تمدن الأمة بل يأتون ويذهبون وهم مجرد كم مهمل لا يقدمون ولا يؤخرون في تاريخ الأمم أو حركة التاريخ.

وإذا كان علم النفس يقر بحقيقة الفروق الفردية بين البشر، أي وجود تفاوت كبير في صفاتهم الجسمية وقدراتهم عقلية وسماتهم الخلقية والاجتماعية [1]، فلا شك أن هذه الفئة تتميز بالقدرات العقلية الممتازة والذكاء المرتفع والملكات الفائقة، والطموح الواسع، والمواهب المتعددة، وهذا يساعدهم على المضي في هذا الطريق الوعر والمرتقي الصعب ومن ثم يمثلون خلاصة العقول، وصفوة الرجال، وكبار الباحثين.

ثانيا: إقبالهم على تعلم اللغات بعامة واللغات السامية بخاصة؛ وهذا واضح من خلال ما عرضناه، فأغلبهم يجيد أكثر من لغة، فعلاوة على لغة الدولة التي يعيش فيها المستشرق نجده يتقن ثلاث لغات أخري أو أكثر، أضف إلى ذلك دراستهم الموسعة للغة العربية وسفرهم إلى الدول العربية والمكوث بها لإجادة اللغة وسبر غورها ومعرفة تراكيبها، وفهم دلالة مفرداتها، وتعدد معانيها، ودراسة نحوها وصرفها، هذا من جهة

ومن جهة أخرى؛ جهودهم الواسعة في دراسة اللغة العبرية، والقيام بتلقينها لأبنائهم وتدريسها في معاهدهم، ثم الكتابة بها وترجمة التراث العربي الإسلامي إليها بخاصة والتراث العالمي بعامة، والاعتزاز بها ومحاولة نشرها وبعثها من حفريات التاريخ،

(١) أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٣٧٣

ومن جهة ثالثة: المساهمة الفعالة والأنشطة الإيجابية في إنشاء أقسام لتدريس العبرية داخل المؤسسات العلمية والجامعات التي التحقوا بها وحث المسؤولين عن ذلك والإصرار على تحقيق أهدافهم.

ونستطيع أن نقرر أن هذه ميزة يتميز بها الاستشراق اليهودي، فإتقانهم لهذه اللغات يقف وراءه هدف واضح وغاية يسعون لتحقيقها، وهو جمع كل ما يتعلق بما أنتجه علمائهم وفلاسفتهم وأطبائهم وأدبائهم، من بطون الحفريات ولفائف المخطوطات، وجمع هذا التراث، وصنع تاريخ لهم، وقد ذهبوا كافة في هذا الاتجاه، كل على حسب تخصصه وطاقته.

ثالثا: النظرة العنصرية للآخر: يسيطر على اليهود النظرة العنصرية لأنبيائهم وقومهم وعلمائهم وتاريخهم، والإعلاء من شأنه قدر ما تساعدهم أحوالهم وتسعفهم ذاكرتهم وتمدهم مخطوطاتهم، والاعتقاد الجازم أنهم متفردون وغيرهم تبع لهم، والشعور بالتفوق والاستعلاء على الأمم الأخرى.

يقول أحد الباحثين: «يعد الاستشراق من الناحية السيكولوجية شكلا من أشكال الخيلاء المرضي»[1].

فكما رأينا أن فيلون يعتقد أن سبب تفوق الفلسفة اليونانية بعامة وفلسفة أفلاطون وأرسطو بخاصة أنهم اقتبسوا فلسفتهم من تعاليم موسى (عليه السلام)ومن التوراة، وأن الترجمات العبرية للتراث اليوناني هي التي أدت إلى النهضة الأوربية، وليست الترجمات العربية، وأن الأطباء اليهود هم الذين اكتشفوا الأمراض وشخصوا العلاج لها كأنما موسى بن ميمون هو أول وآخر أطباء الدنيا، وهكذا في كل مجال أسهموا فيه يعتقدون أنهم هم المبرزين والمتفوقين والجميع استنسخ علمه من علمهم، واقتبس فلسفته من فلاسفتهم وأخذ طبه من أطبائهم.

ونقول إن علماء اليهود بجميع أصنافهم وفنونهم؛ فلاسفة، أطباء، تراجمة صيادلة،

---

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق ص ١٤٢

عاشوا في ظلال الحضارة العربية الإسلامية، وعاصروا نهضتها في مجال العلوم الدينية، وتأسيس علوم الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات وأنهم تعلموا لغتها وحفظوا شعرها وتأثروا بفنون أدبها، و تشربوا علومها وتأثروا بمناهجها، هذه نقطة،

الثانية أنهم كانوا ضمن منظومة العلماء المسيحيين والمسلمين والأجناس المتعددة التي شاركت أيضا في تشييد قواعد هذه الحضارة سواء أكانوا عربا أو غير عرب، فالحضارة العربية الإسلامية هي نتاج لكل الشعوب التي انضوت تحت لوائها ونطقت بلغتها العربية وتشربت ثقافتها، فمثلا نحن نرى أن كليوبترا (ت٣١ ق.م) مصرية؛ على الرغم من أن أصولها يونانية بطلمية، ولكنها ولدت وعاشت وتشربت الثقافة المصرية في القرن الأول قبل الميلاد. ومحمد علي باشا الألباني، عربي مسلم عاش في ظلال الحضارة العربية الإسلامية، ودوره مشهود في تأسيس مصر الحديثة، وإدخال العلوم الحديثة وإلحاقها بمدنية عصره.

النقطة الثالثة، إن «الإسلام من أكثر الديانات ملائمة لاكتشافات العلم ومن أعظمها تهذيبا للنفوس وحملا على العدل والتسامح والإحسان» [1] والحضارة العربية الإسلامية هي التي آوتهم واتسع صدرها لهم، وتسامحت معهم ودعتهم للمشاركة في بناء المدنية، حتى تقلد بعضهم مناصب رفيعة كما رأينا وقربهم الخلفاء في بلاطهم؛ الأمويون والعباسيون والفاطميون (يعقوب ابن كلس)والأيوبيون (موسى بن ميمون)، واستخدموهم في وظائف متعددة أطباء ومترجمين وكتبة ووزراء، وكلفوهم بمهام جسيمة، ولم ينظروا إلى ديانتهم كي يستبعدوهم من المشاركة السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية.

يقول آدم متز (١٨٦٩- ١٩١٧): تولى الوزارة بالقاهرة منذ عام (٤٣٦-٤٣٩/ ١٠٤٤-١٠٤٧)أبو نصر صدقة يوسف الفلاحي، وكان يهوديا فأسلم ويدير الدولة معه أبو سعد التستري اليهودي، ولذلك قال الشاعر المصري الحسن بن خاقان:

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم قد ملكوا

---

(١) حضارة العرب ص ١٢٦

العـــــز فـــيهم والمـــال عنـــدهمو ومـــنهم المستشـــار والملـــك
يـــا أهـــل مصر إني نصـــحت لكـــم تهـــودوا قـــد تهـــود الفلـــك(١)

رابعا: الكراهية الدفينة والعداء المتأصل للعرب والمسلمين بخاصة والأمم الأخرى بعامة؛ هذه السمة تتجلى بين السطور قد تكون ظاهرة وواضحة عند بعض المتعصبين منهم كما نرى عند جولدتسيهر ومارتن بلسنر، وقد تكون مستترة خفية تحتاج من الباحث أن يقرأ مابين السطور، وكما كان يعلمنا د.زكي نجيب محمود أن هناك «كلمات تحتها كلمات» وعلينا أن نقرأ ما أضمره الكاتب في نفسه بعد أن ساق لك كلمات تستطيع أن تستنبط منها ما لم يقدر أن يبوح به في الظاهر «تقية» وخوفا من الآخرين، وهذا العداء الدفين يرجع إلى:

أ- أسباب تاريخية ربما ترتد إلى رواسب التاريخ القديم حينما نكل بهم بعض الفراعنة وأخرجوهم من مصر وشردوا بهم، وكذلك الفرس والرومان الذين دمروا هيكلهم وشردوا بهم.

ب- أسباب دينية، كما نرى في فضح القرآن لمواقفهم وبسط حيلهم، وكشف سريرتهم الخبيثة ونفاقهم المستمر، وطرد الرسول ﷺ للجاليات اليهودية التي كانت تسكن بجواره في المدينة بعد مكائدهم المعروفة وتحالفهم مع المشركين،

ج- أسباب حديثة وعصرية، تكمن في الإرث العدائي الذي ساد دراسات المستشرقين الغربيين الأوائل ونشر هذه الروح في أوربا للتنفير من الإسلام والمسلمين وتأثر المستشرقين اليهود بهذا التراث المشحون بالعداء وتسربه إلى اللاشعور إذ يصبح موجها لمنهجهم، هذا أولا،

ثانيا: الصراع العربي الإسرائيلي المحتدم والمستمر والذي لا يبدو له نهاية في المنظور القريب، وانعكاس هذا الصراع الدامي على نفسية المستشرقين اليهود لاسيما الذين يعيشون في أوربا وأمريكا، ثالثا، المقارنة بين إسرائيل الديمقراطية وأحزابها القوية وجامعاتها الراقية وصناعاتها المتقدمة وجيشها الرادع، والعرب المتخلفين، أصحاب

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ت ، أبو ريدة ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ص٩٦ قاسم عبده قاسم : اليهود في مصر ، ص ١٢/ ١٥.

النظم الشمولية المستبدة، والثروات الضائعة والمنهوبة وتبعيتهم للغرب تبعية ذليلة، فضلا عن أنهم سلبيون لا يشاركون في بناء الحضارة الحديثة.(١)

خامسا: فقدان الانتماء فقدانا كاملا أي الشعور بعدم الانتماء أو الولاء للأوطان التي يعيشون فيها؛ هذا إحساس مدمر يعانيه المستشرق اليهودي، شعور كامن داخله بالاغتراب بالمعنى الفلسفي، الصراع بين الوجود والماهية، بين الأنا والآخر، شعور بالتمزق الداخلي، الإحساس العميق الدائم بالقلق والذي أسميته «بالقلق الفندقي» نسبة للإنسان الذي ينزل في فندق، فهو يشعر داخله أنه حضر هنا لبضعة أيام أو أسابيع لكنه في نهاية المطاف سوف يرحل، وهذا الشعور ذاته هو الكامن داخل ضمائر هذا الفريق من البشر. فعلى الرغم من أنهم جميعا ولدوا في أوطان راقية ومتقدمة وثرية ومتحضرة، إلا أنهم لا يشعرون بالأمان ولا يتذوقون طعم الطمأنينة، و يفتقدون الإحساس بالانتماء إلى هذه الأوطان مثل النباتات المتسلقة لا تستند في وجودها إلى ذاتها، إنما تستند في وجودها إلى الأغيار، ولكن الإشكالية أن اليهود يشعرون أيضا بالغربة مع هذا الغير، أضف إلى ذلك لا يحاولون الاندماج داخل نسيج المجتمع لكي يشعروا بالدفء الاجتماعي ويطبعوا علاقاتهم مع محيطهم، وإذا حاولوا لم يشعروا بالانسجام، إنه عذاب أبدي مثل عذاب بروميثيوس سارق النار للإنسان. يقول د.المسيري: «إحساس اليهودي الدائم بالنفي ورغبته في العودة» هي عبارة تُبلوِّر النموذج الكامن وراء كثير من الدراسات التي تتناول الجماعات اليهودية في العالم، إذ يتم رصد أعضاء الجماعات اليهودية وتحركاتهم وكأن عندهم إحساساً بالنفي الأزلي ورغبة دائمة في العودة، وكأن هذا الإحساس وهذه الرغبة هما جزء من جوهر يهودي ثابت ومن المكونات الأساسية لطبيعة اليهود البشرية. واليهودي حسب هذا النموذج التفسيري هو غريب ينتقل من مكان لآخر (ومن هنا صورة اليهودي المتجول)، الذي يحس بأنه في المَنْفَى، ومن ثم فعنده رغبة عارمة دائمة في إنهاء حالة النفي هذه والعودة إلى وطنه الأصلي «فلسطين»(٢).

---

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة د.محمد عناني، ط، رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٧٨

(٢) المسيري: الموسوعة اليهودية.

هذا ما نراه عند معظم المستشرقين الذين أوردنا سيرتهم، سفر دائم وارتحال متواصل، وشك قائم، وقلق خفي كأن هناك رقيب يتبع خطواتهم، أو «طائر الرخ» يطارد وجودهم، وقد عبر عن ذلك ألبـير ميميـه (١٩٢٢) وهو مؤلف وكاتب مقال وعالم اجتماع فرنسي يهودي تونسي الأصل. وُلد في تونس لعائلة يهودية من قبائل البربر؛ يقدم صورة اليهودي باعتباره شخصية كامنة في الظل فلا هي مندمجة تماماً ولا هي راغبة في التخلي عن خصوصيتها، تعيش دائماً على هامش الأحداث التاريخية العالمية(١).

من الجدير بالذكر أن د.المسيري يرى أن قضية الانتماء مسألة نسبية فالانتماء الحقيقي لليهودي هو انتماؤه للعقيدة اليهودية، وهناك جماعات يهودية تعيش في أمريكا تشعر بالانتماء لها ومستعدة للاندماج فيها والدفاع عنها، وكذلك في الاتحاد السوفيتي، وأحيانا يكون الانتماء لرأسماله أينما ذهب وحيثما حل؛ ومن ثم، أصبح الانتماء السياسي والاقتصادي لليهودي إلى وطنه الفعلي، أما انتماؤه الديني والثقافي فلوطنه المثالي أو الوهمي، أي الدولة الصهيونية.(٢)

سادسا: شهوة الحصول على المال والرغبة العارمة في تكديس الثروات؛ من الحقائق المعلومة شهرة اليهود في السيطرة على اقتصاد أي دولة يحلون فيها وتمركزهم في البنوك، واشتغالهم بالربا و في مهنة الصرافة وبيع الذهب والفضة؛ وبالجملة محاولة الاستيلاء على مفاصل اقتصاد الدولة التي يحلون فيها وعمودها الفقري.

يقول أحد المؤرخين عنهم: «يعمل العديد من اليهود المصريين عامة» صرافين؛ بمعنى مصرفيين وصيارفة، ويشتهرون باستقامتهم وقد يزاول بعضهم مهنة الصياغة»(٣).

ويؤكد الفكرة السابقة أحد المستشرقين بقوله: لم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال؛ إذ كان معظم الصيارفة والجهابذة في الشام

---

(١) المسيري: الموسوعة اليهودية ج٣/ ٢٧٢.

(٢) المسيري: الموسوعة اليهودية ج٢/ ٩.

(٣) إدوارد لين: عادات المصريين المحدثين ص ٥٧٢، وراجع أيضا - هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ج١، إذ أشار إلى سيطرتهم على اقتصاد تركيا ومصر في الثلاثينات والأربعينات ص٧٠ / ٧١ / ١٥٥ وما بعدها.

من اليهود، في حين أن أكثر الأطباء والكتبة من النصارى.[١]

وهذا الملمح ذاته ينطبق على المستشرقين اليهود.وهذا أمر واضح للعيان لا يحتاج إلى برهان أو دليل من الكتب والدفاتر أو الاستشهاد برأي هذا أو ذاك، لأن الواقع أكبر بيان وأصدق لسان؛ فهم يتميزون بحرصهم البالغ على تكوين ثروة كبيرة، والسعي الحثيث في سبيل تحقيق هذا المطلب، والانتقال من دولة إلى أخرى للحصول على عمل مجز يدر عليهم أكبر دخل ممكن، ولذلك يلاحظ أن عددا كبيرا منهم أمّ جامعة القاهرة والتحق للعمل فيها وكما رأينا أن الجامعة كانت تمنحهم أجورا عالية، ومنهم من التحق بالجامعات الأوربية والأمريكية، ونشروا العديد من البحوث والمقالات في المجلات التي كانت تمنحهم مكافآت لا بأس بها وكذلك تحقيق المخطوطات وطبعها في كتب وتسويقها في العالم العربي الإسلامي والأوربي وكانت المؤسسات العلمية والمعاهد الأكاديمية تقف ورائهم، ومجموعة ثالثة عملت في التنقيب عن الآثار وحققوا ثروات طائلة من بيع الرسوم والمخطوطات والآثار التي حصلوا عليها.

على أن د.المسيري يرى أنها قضية نسبية لا نستطيع أن نطلقها على جنس أو طائفة بعينها، لأن القضية ترجع إلى عادات المجتمع ونظامه الاقتصادي وثقافته ووظيفة الجماعة في المجتمع، فالدارس لتواريخ الجماعات اليهودية سيكتشف أن حب اليهود للمال لا يختلف في معدله كثيراً عن حب أعضاء الأغلبية له. فيهود الجزيرة العربية قبل الإسلام كانوا يتصفون بصفات الكرم والسخاء (إلى درجة التبذير)، شأنهم في هذا شأن العرب في عصرهم، بينما نجد أن يهود الولايات المتحدة يتصفون بأنهم أكثر حرصاً وتقتيراً.[٢]

سابعا: هاجس الخوف المسيطر على نفوسهم و تغلغله في أعماقهم.، وعدم الشعور بالأمان، والتوجس المستمر من حركة المجتمع المحيط بهم، وتوقع حدوث الشر ووقوع الأذى بهم من كل حدب وصوب.

١- إن الناظر في سيرة هذه الجاليات اليهودية والمتتبع لمسيرة حياتهم والدارس

---

(١) متز: الحضارة الإسلامية، ص ٦٥، قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر.

(٢) المسيري: الموسوعة ج٢/ ٣.

لتاريخهم، يلحظ بجلاء هذا الهاجس المترسب في أعماقهم، الغائر في وجدانهم، المسيطر على نفوسهم، شعور غريب يطارد حياتهم، يوجد قلق داخلي يحرك جوانيتهم ويهز نفوسهم، و يسلب الراحة والطمأنينة من حياتهم، إنه شعور مبهم أحيانا وواضح أحيانا أخرى، يتسلل إلى ضمائرهم، فيتوجسون الشر من الآخرين ووقوع الإيذاء من كل من يقترب منهم.

٢- المتتبع لآيات القرآن يستطيع أن يلمس ذلك بيسر وسهولة، فقد أشارت الآيات الكريمة، إلى هذا الهاجس النفسي الذي غمر حياتهم وسيطر على سلوكهم.

أ- فبعد أن ذكرهم موسي بنعم الله عليهم في خطاب لطيف، شحذ ذاكرتهم بألمع الذكريات وأكبر البشريات، فطلب منهم أن يستجمعوا قواهم لدخول الأرض المقدسة ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

ولكن الرد جاء مخيبا للآمال، وتأكيدا لطبيعتهم السقيمة وهلعهم المستمر، وخوفهم من الأقوام الجبارين أن ينالوا منهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

إنهم يقررون في عناد واضح وهوان ظاهر واستخذاء ذليل، يقول سيد قطب: هكذا يخرج الجبناء فيتوقحون، ويفزعون من الخطر أمامهم فيرفسون بأرجلهم كالحمر ولا يقدمون!»[(١)]

ب- وهكذا في باقي مواقفهم مع الملك طالوت الذي أرسله الله لكي يكون ملكا عليهم ويقودهم في حرب شريفة، لاسترداد حقوقهم، فقالوا من طرف ألسنتهم نعم سنحارب لأننا ظلمنا وأخرجنا من ديارنا، فلما أرسله الله، سارعوا بإلقاء الحجج واختلاق الأعذار ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

---

(١) الظلال ج٢/ ٨٦٩

هكذا اعترضوا على الاصطفاء الإلهي وراحوا يتحججون والرعب يملأ قلوبهم، ولما وجدوا أن لامناص من الحرب، سارعوا قائلين ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] أما الفئة القليلة المؤمنة بربها وبوعده للصابرين الصادقين، فهتفوا قائلين: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩، ٢٥٠].

جـ- أما إذا نظرنا في موقفهم من الموت، فهو الهلع بذاته والخوف الملازم لحركتهم، وقد تحداهم الله في إدعاءاتهم العريضة حينما زعموا أنهم أبناء الله والصفوة المختارة من البشر وأنهم وحدهم المهتدون، فرد عليهم أن يطلبوا الموت، إذ إن الحبيب يسعى للقاء حبيبه، فلنصغي لهذه الآيات المباركات ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦].

تقرر الآيات أنهم أحرص قوم على «حياة» وتنكير كلمة «حياة» لها دلالة لا تخفى على لبيب؛ فهم ينشدون أي حياة؛ ولو كانت حياة المذلة والعبودية، حياة الرق والهوان، يقول سيد قطب: «أية حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق!حياة فقط حياة ديدان أو حشرات حياة والسلام!إنها يهود في ماضيها وحاضرها ومستقبلها سواء.وما ترفع رأسها إلا حين تغيب المطرقة.فإذا وجدت المطرقة نكست الرؤوس، وعنت الجباه جبنا وحرصا على الحياة...أي حياة»[1]

٣- تؤكد الحوادث التاريخية المسلك نفسه، والدارس لمسار القبائل اليهودية

---

(١) الظلال ج١/ ٩٢، ؛ تتفرد الشخصية اليهودية بصفة الخوف المدمر والهلع الشنيع ، والحيطة والحذر ، وقد جندت في سلاح الاستطلاع بعد هزيمة ١٩٦٧ مع مليون شاب من أمثالي، باللواء ١٤ مدرع وعشت سنوات أقوم بمراقبة تحركات الجنود الإسرائيليين في منطقة الدفرسوار وجبل مريم ، علي جبهة القتال ، ورأيت مدي الجبن والخوف الذي يسيطر علي الجندي الإسرائيلي علي الرغم من أنه كان منتصرا ومحتل لأراضينا .

والأماكن التي حلوا بها واستقروا فيها ردحا من الزمن، يلحظ هاجس الخوف المتغلغل في أعماق نفوسهم، وتوجسهم من كل قادم والرعب الذي يجتاحهم من أي تحرك يتعارض مع مسلكهم، ويتناقض مع تصرفاتهم، وأبرز مثال على ذلك؛ حينما ظهر الرسول ﷺ في مكة وبشر بالدين الجديد، وكان اليهود يسكنون في يثرب، ويعلمون من كتبهم وأقاويل رهبانهم أن هناك رسولاً قادماً، وكانوا يتعالون على العرب أنهم أصحاب دين في حين أن العرب وثنيون، ومع كل هذه الأدلة، فقد وقفوا من الرسول ﷺ موقف المعارض، وخافوا من دعوته، وملأ الخوف قلوبهم وذهبوا يكيدون له في الخفاء والعلن، وينسجون المؤامرات في وجه دعوته.

٤- تذكر المصادر التاريخية أن الجيش الألماني بقيادة «روميل» حينما تقدم إلى منطقة العلمين، سارع أغنياء اليهود الذين يعيشون في أمان واستقرار بمصر إلى بيع عقارات وأملاك «بسعر التراب» كما يقولون، إلى باشوات مصريين بثمن لا يزيد عن مائتي ألف جنيه، في حين أن هذه الأملاك قدرت بأربعين مليون جنيه استرليني، وهرع اليهود هاربين إلى السودان ومنه إلى جنوب إفريقيا. وحينما هزم روميل، وانتصر الحلفاء، عاد اليهود مرة أخرى إلى مصر.[1]

ودلالة هذه الحادثة تشير إلى الهلع البالغ الذي أصاب الجالية اليهودية التي كانت تعيش في مصر وتسيطر على معظم البنوك وتدير العديد من المصانع فضلا عن امتلاكها بعض الصحف وشركات السينما والإعلان، ومئات من الأفدنة الزراعية الخصبة، وكانوا يمثلون فئة اجتماعية لها حقوقها داخل الدولة، ويعاملون معاملة طيبة فهم مصريون ولدوا على أرض مصر التي اتسع صدرها لكل الديانات والأجناس، ليس هذا فحسب، بل كان منهم وزراء وأعضاء في مجلس الشيوخ المصري، ومع كل هذه العوامل التي تؤكد رسوخ أقدامهم داخل المجتمع، وأنهم يحتلون مواقع مؤثرة وحساسة للغاية، لم يشعر اليهود بالأمان، وخلت ضمائرهم وعقولهم من أي شعور بالانتماء لهذا الوطن، وفي أول خطر تعرض له، انفجرت ينابيع الخوف في أعماقهم، وأصابهم الرعب الشديد فحملوا «ما غلا ثمنه وخف وزنه» التعبير الشهير لجورجي زيدان (ت١٩١٤) في قصصه، باعوا

---

(١) هيكل : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ج١/ ١٥٧ / ١٥٨، وأيضا تاريخ يهود النيل ص ١٦.

أملاكهم وحولوا ثرواتهم إلى البنوك الخارجية وحزموا أمتعتهم وولوا هاربين مذعورين، مكررين للمصريين المقولة القديمة التي قالوها لموسي: اذهبوا أيها المصريون قاتلوا الألمان إنا هاربون. صدق المولى سبحانه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦][(١)].

إننا جميعا نحب الحياة؛ حياة العزة والكرامة والبطولة، أما حينما يتعرض الوطن للأخطار فكل منا مستعد أن يدفع حياته ثمنا زهيدا فداء لرفعته وحريته واستقلاله، «إن الحرص علي الحياة واجب طبيعي، وواجب عليه لا عيب فيه، وإنما يلام لأنه يحرص علي كل حياة وأي حياة، ولو قبل الهوان وهرب من الواجب، وامتنعت عليه وسائل العمل النافع ووسائل الرجاء في صلاح الأمور»[(٢)].

٥- اشتهر اليهود ببناء الحصون والعيش داخل جدران محصنة، وإقامة الأسوار حول القرى أو المدن التي يقطنونها، وهذا ما كان منهم حينما استقروا في يثرب إذ كانت قبائلهم تشكل نسبة كبيرة من سكانها، أهمها قبائل بني القينقاع وبني قريظة وبني النضير وغيرهم، وقد عرفوا ببناء الحصون القوية وسكنوا داخلها، يراقبون ما يحيط بهم في خوف مستمر وهلع بالغ، ولما وجدوا الغلبة والقوة مع الرسول ﷺ تحالفوا معه، وعقدوا المعاهدات على نصره ومحاربة أعدائه، ثم سرعان ما نقضوا المعاهدات ونكثوا بالوعود السابقة والأيمانات المغلظة، واغتروا بحصونهم المنيعة وقلاعهم القوية وآطامهم المرتفعة؛

يقول سبحانه عنهم ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

هذه السياسة جزء من التكوين النفسي، وعقيدة ثابتة عند اليهود، ولا غرو أن نري العقلية ذاتها بعد انتصار إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧، إذ قامت إسرائيل ببناء ما سمي

---

(١) كان في مصر جالية يهودية منذ عصور قديمة، وصل عددهم سبعة آلاف في عهد الخديوي إسماعيل، ثم تزايد عددهم مع الاحتلال البريطاني، إلى أن وصل (٦٤) ألف في تعداد (١٩٢٧)، هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ص ١٥١.

(٢) العقاد: أنا ص٢٠١.

بخط «بارليف» وهو عبارة عن نقط حصينة علي طول شاطئ قناة السويس؛ تتكون من ملاجئ تقع تحت الأرض بعمق أربعة أمتار، ومغطاة بقضبان حديدية عليها طبقة قوية من الأسمنت المسلح ينزل إليها الجندي بسلالم، علاوة على الساتر الترابي العالي الذي أقيم على الشاطئ مباشرة و أحاط بهذه النقط، وكان ارتفاعه يصل إلى أكثر من عشرين مترا ويخرج من هذه النقط خراطيم تقذف النابالم الحارق لكل من يقترب منها.

وبعقلية بني النضير وبني قريظة ذاتها أقام الكيان الإسرائيلي جدارا عاذلا حصينا يفصله عن فلسطين، خوفا من الفلسطينيين البؤساء الذين لا يملكون إلا أسلحة خفيفة، في الوقت الذي يعد جيش الكيان الإسرائيلي أقوى قوة في المنطقة تسليحا وعتادا وتنظيما وتدريبا.

ويصفهم الروائي الفرنسي مارسيل بروست (١٨٧١- ١٩٢٢) وهو ينحدر من أب كاثوليكي وأم يهودية: «بجنون الإحساس بالاضطهاد والارتياب الشديد بالآخرين».(١)

وإذا عاشوا داخل مدن مزدحمة بالسكان، انعزلوا في حارات منفصلة عن باقي أفراد المجتمع، واستقلوا بعاداتهم وتقاليدهم منطويين على ذواتهم في شرنقة ضيقة، والحارة عبارة عن طريق مسدود ليس له إلا منفذ واحد وهو ما سمي في أوربا «بالجيتو اليهودي»(٢).

يقول ادوارد لين: «يعيش اليهود في مصر عيشة منعزلة هادئة، ونادرا ما يجدون أشخاصا من غير أبناء طائفتهم يزاملونهم.» (٣)

ويؤكد المسيري عزلة اليهود بقوله: مما يُذكَر أن البورجوازية الأجنبية في مصر، ومن بينها العائلات اليهودية، كانت تعيش في عزلة اجتماعية وثقافية عن أغلب أفراد الشعب المصري.(٤)

---

(١) الموسوعة اليهودية ج٣/ ٢٠٦.

(٢) «الجيتو» مكان داخل المدينة أو خارجها محاط بسور عال له بوابة (أو أكثر) تُغلَق عادةً في المساء. وكان من غير المصرح به لأعضاء الجماعات اليهودية، في بعض المراحل التاريخية ببعض الدول، أن يظهروا خارج الجيتو في يوم الأحد أو في أيام أعياد المسيحيين. وكان الجيتو بأسواره العالية يهدف إلى عدة أشياء متناقضة، منها: حماية اليهود كجماعة وظيفية وسيطة، وسهولة تحصيل الضرائب منهم، ومراقبتهم وعزلهم وفصلهم عن الأغلبية المسيحية. كما كان يضمن ألا يهرب أعضاء الجماعة إلى بلد آخر، فقد كانوا مادة استعمالية وأداة إنتاج وإدارة يستفيد الإمبراطور أو الحاكم من وجودها. (الموسوعة اليهودية .ج٤/ ٢٠٥).

(٣) عادات المصريين وتقاليدهم ، ص ٥٧٢ .

(٤) الموسوعة اليهودية ج٣/ ١٣٩.

على أننا نحب أن نؤكد أن الحكومة الإسلامية لم تفرض في المدن أحياء خاصة لليهود والنصارى بحيث لا يتجاوزونها أو تحدد إقامتهم فيها، وإن فضل أصحاب كل دين أن يعيشوا متقاربين.على حد تعبير آدم متز.(١)

٨- الهجرة المستمرة من دولة إلى أخرى، وانتفاء الشعور بالانتماء للوطن الذي ولدوا على أرضه، واختفاء عاطفة الحب التي تشدهم إلى ترابه وأهله وتراثه.

فالقارئ لسيرة هؤلاء المستشرقين يلاحظ أنهم ولدوا في دولة ما، ودرجوا على أرضها واستظلوا بسمائها ونعموا بخيراتها وتعاملوا مع أهلها وتعلموا لغتها ودرسوا في مدارسها واحتلوا وظائف مرموقة في جامعاتها ومؤسساتها.ومع كل هذه المقومات التي تربطهم بهذا الوطن، وتعمق أحاسيس المودة تجاهه، وأواصر الأخوة مع الآخرين، وتدفع الإنسان السوي أن يدافع عن وطنه حينما يتعرض لأي خطر، ويدفع حياته رخيصة في سبيل هذا الوطن العزيز الحبيب، فإن هؤلاء القوم لا يحملون أدنى عاطفة تجاه أوطانهم التي ترعرعوا فيها، ولا توجد رابطة وطنية تعمق جذورهم ولا حتى شعور أخلاقي يدفعهم أن يفكروا قبل أن يغادروه ويتركوه إلى دولة أخرى؛ فهم مثل ساكن الفندق عنده شعور طاغ بأنه سيرحل مهما طال مكوثه فيه، إذ يعلم أنه بصدد مهمة محدودة الأجل ويعلم أنه إن آجلا أو عاجلا سوف يفارقه ويحمل حقائبه ويرحل، فإذا جاء لأحدهم عرض مغر وأجر مجز في دولة أخري لملم حاجياته وحمل أمتعته وولى وجهه صوب البلد الجديد، وعاش فيه أيضا على الهامش دون أن يشعر تجاهه بأي شعور إنساني، فهو يحمل داخله «شعور فندقي».

ويشير د. المسيري إلى أن الشاعر هاينريش هايني (١٩٧- ١٨٥٦)وهو من أشهر شعراء ألمانيا الرومانسيين، غير جنسيته ست مرات دون أن يغير مكان إقامته، مما أضعف هويته وأفقده الشعور بالانتماء إلى وطنه ألمانيا.(٢)

وكذلك إذا تعرض لأي مضايقات من هذه الدولة أو إساءة، فكر سريعا في الانتقال، دون أن يراجع نفسه أو يفتش في عواطفه، إذ لا توجد عواطف بالمرة ولا مشاعر ودية أو

---

(١) الحضارة الإسلامية ج١/ ٨٧.
(٢) الموسوعة اليهودية ج٣/ ٢٠٤.

رابطة انتماء تشده إلى هذه الأرض، ومن ثم ينتقل إلى المكان الجديد؛ وهذا ما نراه في سيرتهم، فأغلبهم ولدوا في دولة ما، ثم تركوها وانتقلوا إلى دولة أخري ثم غادروها وتجنسوا بجنسية مخالفة للأولى وهكذا.

هذه الرحلة المستمرة، سمة من سمات كافة الجاليات اليهودية، فاليهود الذين كانوا يعيشون في البرتغال في أمان واستقرار، حينما تعرضوا لأبسط المضايقات ولوا وجههم إلى ألأندلس، وعاشوا عيشة ممتازة في ظل الدولة الإسلامية تميزت بالحرية والتسامح، وشاركوا في بنائها وقاموا بدور لا بأس به في ترجمة علوم المسلمين ونقلها إلى الغرب.

يقول رينان: لم يظهر قط فاتحون ساروا بالتسامح والاعتدال نحو المغلوبين إلى مدى أبعد مما سار عرب الأندلس، وعدت لغة العرب منذ القرن العاشر (الرابع الهجري) اللسان المشترك للمسلمين واليهود والنصارى.[1]

ويقول أحد الباحثين: «لاشك أن اليهود الذين تقوم وثائق جنيزة بتوصيفهم لنا (أي الذين عاشوا على الأرض العربية)- كانوا في وضع جيد مقارنة بإخوتهم في الدين الذين كانوا يعيشون في العصر ذاته على الأرض المسيحية»[2].

وحينما أفلت شمسهم، وقام فرديناند بإخراجهم وشرد بالمسلمين، فقد اليهود الحرية التي تمتعوا بها تحت حكم المسلمين، «وزحف ديوان التفتيش عليهم وخيرهم بين التعميد ومزاولة الشعائر المسيحي، أو النفي وتجميد أموالهم»[3] فهاجروا إلى المغرب ومصر وتركيا، وهكذا في دورة كونية لا تنتهي، من فرنسا إلى ألمانيا ومن ألمانيا إلى هولندا فهم مثل «سيزيف» في الأسطورة اليونانية، كتب عليهم الشقاء جزاء وفاقا لما قدمته أيديهم من سوء الأعمال وشر الأفعال، وإشاعة الفساد في الأرض.

***

(١) ابن رشد والرشدية ص١٦٣.

(٢) جاك حاسون : تاريخ يهود النيل ص ٧٠.

(٣) ول ديورانت: قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع ، مكتبة المعارف، بيروت، ص١٨٦.



الفصل الثاني

الدوافع الحقيقية لمشاركة اليهود في حركة الاستشراق

تمهيد:

من اللافت للانتباه مشاركة اليهود المكثفة في حركة الاستشراق، وجهودهم النشطة في التعرف على الفكر الإسلامي، ودراساتهم الموسعة حول تراث الحضارة العربية الإسلامية، ودورهم الملحوظ في التأليف والتحقيق والترجمة والتنقيب، وقيامهم بنصيب وافر في نشر المخطوطات بعامة، واهتمامهم بالدراسات القرآنية وسيرة الرسول ﷺ، والفقه والعقائد بخاصة.

وإذا ذهبنا نتأمل في هذه القضية ونضعها موضع الدراسة والتحليل والتعليل، ونستكنه سر إقبال اليهود على المشاركة القوية في الدراسات الاستشراقية لاسيما المتعلقة بتراث الحضارة العربية الإسلامية؛ نرى أن دوافع المستشرقين اليهود التي تحركهم وتوجه سلوكهم إلى تحقيق أهداف متعددة وغايات واسعة، تكاد تتطابق مع أهداف المستشرقين، مع فارق هين واختلاف بسيط، ونستطيع أن نجمل هذه الدوافع في الآتي: [١]

الدوافع النفسية و الدينية، و العلمية والسياسية، والتاريخية، والمادية.

وسوف نتوقف أمام هذه الدوافع بقدر من الشرح والتحليل والمناقشة.

أولا: الدوافع النفسية:

١- عاش اليهود في أوربا عيشة مزرية بائسة، وكانت صورة اليهودي في وجان الأوربي ومخيلته تعني الخداع والمكر والنصب والسرقة والاحتيال والغدر، والبخل والربا والقذارة والدناءة [٢]

ولعل مسرحية تاجر البندقية لشكسبير تعطي فكرة عن هذه الصورة القاتمة، وكان سلوك اليهود يؤكد هذه المعاني لأنهم كانوا يعيشون في عزلة بعيدا عن حركة المجتمع في

(١) الدافع قوة محركة موجهة في آن واحد للإنسان ، فهو يثير السلوك إلى غاية أو هدف يسعى إلى تحقيقه ؛ فالدافع استعداد ذو وجهين وجه داخلي محرك ، ووجه خارجي هو الغاية أو الهدف الذي يتجه إليه السلوك الإنساني الصادر عن الدافع مثل الأكل والشرب والحصول على المركز الاجتماعي (أصول علم النفس ص٨٠) .

(٢) جوستاف لوبون : اليهود في الحضارات القديمة ، ترجمة عادل زعيتر .

حارات تغلق عليهم، منطويين على ذواتهم منغلقين على أنفسهم مستقلين بعاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم وحتى دينهم، وهي ما أطلق عليه في أوربا «الجيتو».هذا من ناحية؛

ومن ناحية أخري اتسمت حياتهم بطابع التشتت والترحال والاغتراب حتى داخل الوطن الواحد وأطلق عليهم اسم «اليهودي التائه»، فمن خلال استقراء سيرة حياة معظمهم، مما أسلفنا ذكره - يلاحظ الدارس أنهم عاشوا مشتتين ومتفرقين بين دول أوربا؛ فالأسرة اليهودية لا تحل في دولة، إلا ورحلت عنها بعد فترة قصرت أو طالت إلي دولة أخري، بسبب الكراهية المتأصلة في نفوس الأوربيين تجاه سلوكياتهم المنفرة، وقلقهم الدائم و هاجس الخوف المتغلغل في أعماقهم ومن كل المحيطين بهم ومن كل شيء، والشك المستمر في نوايا الآخرين تجاههم؛ فمثلا، دافيد ستتلانا (١٨٥٥-١٩٣١) ولد في تونس من أسرة أصلها أسبانية، ويحمل الجنسية الإنجليزية، ثم حصل علي الجنسية الإيطالية.

- جرونباوم(١٩٠٩-١٩٧٢) نمساوي الأصل وتعلم في ألمانيا وهاجر إلي أمريكا.

- مارتن بلسنر (١٩٠٠ -١٩٧٣) ألماني هاجر إلي فلسطين.

- ليو اشتراوس(١٨٩٩-١٩٧٣) ولد في ألمانيا وهاجر إلي أمريكا.

- ورويير برنشفيج (١٩٠١-١٩٩٠) أسرته من ألمانيا ونفي إلي فرنسا. ومعظم المستشرقين الذين تناولنا سيرتهم مروا بهذه الذكريات المؤلمة و الخبرات المقلقة والمواقف المزعجة.

٢- هذه التجارب المروعة و الخبرات المؤلمة و الأحوال المأساوية انعكست علي نفسية اليهودي، وانغرست في أعماقه وأصبح يشعر بالاغتراب داخل الوطن الذي ولد فيه، ويعاني قدرا كبيرا من التمزق والحيرة والتردد والقلق، وفاض شعوره بالشك فيما حوله وفي الواقع الذي يعيش فيه وفيما يفكر فيه، كأن الشيطان الماكر الذي افترضه ديكارت (ت١٦٥٠)أصبح واقعا في تفكير اليهودي وموجود في دنياه، افتقد الشعور بالطمأنينة والأمان، وغاب عنه الإحساس بالانتماء إلي الوطن، فترسب في أعماقه «مركب النقص».

هـذه المشـاعر المؤلمة لا يقـدر آثارهـا إلا مـن عاناهـا، وكابـد سـهادها، ومـر بالتجربـة وعاش لحظاتها، فهي تجارب ذاتية قاسية مثل تجربة الصوفي وتجربة العشاق.

٣- ممـا سـبق نـري أن المستشرق اليهـودي أراد أن يخفـي هـذا الـنقص ويمحـوه مـن الوجود، بل وينتصر علي هذه الخواطر المزعجة والتجارب المأساوية، بالتعويض الزائد، [(1)] ليثبت لذاته وللآخرين قدرته علي المشاركة الإيجابية، وأنه عضو فعال داخل المجتمع، ليس عطل من المواهب والقدرات والملكات، وأيضا ليس عبء على أحد، ويستخرج من أعماقه أفضل ما في الإنسان من مكارم وخيرات. وأنه مثل باقي البشر عنده طموح وإرادة ومن الممكن أن يقدم للمجتمع أفضل ما عنده، وما يخدم المحيطين به حتى يغيروا نظرتهم له، ويضموه إلى محيطهم الاجتماعي.

فهو يستطيع أن يبدع في المجال الذي تخصص فيه، ليس هذا فحسب بل ويتفـوق فيـه ويبتكر ويطرح أفكارا جديدة وطريفة، وفي الوقت نفسه يتحرر من موقفه السلبي ونوازع نفسه التي تجذبه إلى دائرة الظل الرمادية، و يحاول أن يمحو النظرة الدونية التي ينظر إليها المجتمع.ويؤكد كينونته ووجوده المادي والمعنوي.

ثانيا: الدوافع الدينية:

١- كان موقف اليهود من الرسولﷺ موقفا عدائيا غريبا ليس له ما يسوغه، لاسيما وقد اعترف الإسلام بجميع الديانات السابقة عليه، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد مد الرسول ﷺ يد الود و التعاون والمحبة مع اليهود الذين كانوا يعيشون معه في المدينـة لاسـيما وهـم أهـل كتـاب وعقـد معهـم معاهـدات سـلمية ينـاصرهم وينصرونـه، ويكونوا يدا واحدة على أعدائهم، إلا أنهم خانوا العهد كدأبهم عبر العصور، وتحالفوا مع

---

(١) التعويض الزائد: كل محاولة لإخفاء النقص أو التغلب عليه، وكثيرا ما يكون التعويض سترا للنقص لا التماسا للقوة وإصلاح العيب. احمد عزت راجح: أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص٥١٠.

المشركين والكفار، وكان أن أخرجهم من المدينة وطردهم شر طرده، وقد تتابعت آيات القرآن تتحدث عن خصالهم المعوجة وتفضح مؤامراتهم، وتطاولهم علي الله وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلها، وعبادتهم للعجل، وقولهم إن الله فقير ويده مغلولة، وقتلهم الأنبياء، ورفضهم الإيمان برسالة السيد المسيح، وعدم انصياعهم لأوامره وتعاليمه ونصائحه ومحاولتهم الغدر به، وتحريض الحاكم الروماني للقبض عليه وقتله، وتقولهم علي مريم أم المسيح بالأقوال الشنيعة، ورميها بالتهم، وتحريفهم كلام الله وإظهار بعضه وإخفاء بعضه الآخر، أضف إلي ذلك نقضهم للعهود، ومسارعتهم لاقتراف الإثم والعدوان، وتمرسهم علي النفاق، وسعيهم في إشعال الحروب بين الأمم وبذر الشرور والفساد والإفساد في الأرض.

وبالجملة كشف القرآن عن خبيئة أنفسهم وأظهر مكنون ضمائرهم، وعدد معايبهم ومثالبهم وذكر أخبارهم مع أنبياء بني إسرائيل، وشرح دورهم في الفتن وتدبير المؤامرات، وشهر بهم تشهيرا نقرأه صباح مساء، وعدد الجرائم التي ارتكبوها عبر التاريخ بقول بليغ واضح لا لبس فيه ولا تأويل. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا....﴾ [المائدة: ٨٢] ثم مضي يشرح عاقبة أفعالهم ومنقلب جرائمهم ومصير مكائدهم فقال سبحانه ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠].

٢- لاشك أن هذه الصورة المخزية التي عرضها القرآن لهم وهذا التوصيف البشع، أضرم قلوب اليهود حقدا علي القرآن وكراهية عاصفة للرسول ﷺ والإسلام والمسلمين والدنيا قاطبة، وملأت نفوسهم مرارة، وشحنت عقولهم بروح الانتقام من كل ما يمت إلي الحضارة العربية الإسلامية بصلة.

لذلك سارعوا إلي ولوج باب الاستشراق، تحركهم عوامل شعورية ولاشعورية، وعقدة الانتقام من هذا الدين غائرة في أعماقهم، لذلك سعوا بكل طاقتهم تشويه صورة الإسلام والرسول ﷺ علي النحو الذي رأيناه عند جولد تسيهر في هجومه على مفردات

القرآن ومزاعمه البائسة في أن آياته مستمدة من نصوص التوراة، و دافيد سانتلانا في هجومه على الفقه الإسلامي ومزاعمه الكاذبة في أنه أخذ قواعده من القانون الروماني وغيرهم كثير.

٣- حاول المستشرقون اليهود بكل عبقريتهم وذكائهم، وسعة إطلاعهم وإجادتهم للغات وخبرتهم بعادات الشعوب، وسياحتهم في الكرة الأرضية [(١)]، أن يستبسلوا في الدفاع عن دينهم وتصوراتهم العقائدية وفلسفتهم الحياتية، وتاريخهم وتراثهم وتبرئتهم من التهم التي ألصقت بهم عبر التاريخ القديم والحديث.هذه نقطة، والنقطة الثانية؛ رسم صورة باهرة لمساهمات علماء اليهود في بناء الحضارة العربية الإسلامية، كأنهم هم البناة الأوائل والأواخر، في كافة الميادين؛ الدين والفلسفة والطب والصيدلة والترجمة، وتكبير هذه الصورة ونفخ الروح فيها، حتى تصبح حقيقة تجري على الأرض وتصبح قضية مسلما بها من قبل المؤرخين.

٤- لما كان القرآن هو محور الحضارة العربية الإسلامية وينبوعها الفياض، ويعد المكون الأساس لها؛ فهو مصدر لعلماء الفقه يستنبطون منه قواعدهم ومقاصد الشريعة، ومرشد لأهل الحديث، ويعول عليه علماء الكلام في إثبات قضاياهم العقائدية، ويعتمد عليه الفلاسفة في تصوراتهم وأدلتهم وبراهينهم، ويستند إليه الصوفية في أحوالهم ومقاماتهم ومواجيدهم وطرائقهم بل وكراماتهم المزعومة أيضا، بسبب هذه الأهمية القصوى التي يحتلها القرآن في وجدان المسلمين وقلوبهم وعقولهم، تجرد معظم جهود المستشرقين اليهود في توجيه معاول الهدم وسهام النقد، ونيران الحقد حول آياته المحكمات، فقاموا بترجمته، ثم عكفوا على نقد الأفكار والروايات والقصص التي وردت فيه، وأثاروا الشك حول آياته، وعقدوا المقارنات المطولة بين آياته و نصوص العهد القديم، ثم صاحوا بصوت جهوري بائس: لقد اقتبس محمد قرآنه من التوراة، وأخذ عظاته وقصصه من بني إسرائيل، مع أن المقابلات والمشابهات والمقارنات بين النصوص

---

(١) إن نقدنا لموقف المستشرقين اليهود، لا يمنعنا أن نعترف بمميزاتهم العلمية وتفوقهم في مجال البحث ، وصبرهم في التنقيب عن المخطوطات وفهرستها.

خداعة للغاية، وليس هناك ضرورة منطقية تؤكد أن اللاحق اقتبس من السابق ونحن بصدد نصوص دينية نؤمن أنها وحي يوحي من رب العالمين، ثم إن هذه الأحداث وقعت في التاريخ، وقد أوحي بها سبحانه لرسله الكرام من أجل العظة والعبرة، والمواساة والتسرية عنهم والإيحاء إليهم بأن ما يعانونه من عنت المعارضين وقسوة المتمردين وشدة الرافضين لنور الله حدث في الأمم السابقة وقد تعرضوا لبلاء أشد من ذلك.

ولعل هذا ما رأيناه في مقولات جولد تسيهر، وحربه المستمرة على القرآن، ثم انضم إليه طابور طويل من علماء الاستشراق اليهود؛ منهم هورفيتز وهيرشفليد، ولم ينقطع سيلهم حتى اليوم.

٥- ركز الهجوم على سيرة الرسول ﷺ و كل ما يتعلق بها من قريب أو بعيد، لقد نقبوا عن كل حادثة لا تستسيغها أفهامهم، أو لا تتفق مع عاداتهم وأفكارهم إلا وأمطروها بحجارة من سجيل؛ هذا ما رأيناه في هجومهم علي تعدد زوجات النبي، (، مع أن تعدد الزوجات مقرر في كل الديانات السابقة) [1] وأثاروا غبار الشك وضباب الشبهات حول حادثة الإفك، وذهب بهم الخيال الجامح كل طريق، وزواجه من زينب بنت جحش أصبحت قصة من قصص الغرام المشبوب تنسج حولها الأساطير، وكذلك قصة الغرانيق التي عدوها نوع من المساومة بين الرسول ﷺ والكفار وأنه تنازل مؤقتا عن بعض مبادئه وإيمانه بالتوحيد، علاوة على ذلك اتهموه بنقض العهود مع اليهود في المدينة، وأنه ﷺ حينما زاد أنصاره وقويت شوكته انقلب عليهم وشرد بهم، لقد نقبوا في حياته ليس من أجل الفهم والدراسة ولكن لهدم الأخلاق المثالية والمبادئ السامية التي اتسمت بها سيرته العطرة وهيهات.

وفي هذا السياق، تأتي كتابات أمثال؛ جوستاف فايل الذي كتب سيرة عن الرسول متحاملا عليه تحاملا شديدا، وهرشفلد باحث في الإسلام غاية في التعصب وعنوان رسالته «العناصر اليهودية في القرآن» وأبراهام جيجر في كتابه ماذا أخذ محمد من اليهود؟

---

(١) يقول لوبون : لا أري سببا لجعل مبدأ الزوجات الشرعي عند الشرقيين ، أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوربيين .(حضارة العرب ص ٣٩٨).

٦- بعد الهجوم على القرآن والرسول ﷺ، يأتي الدور على التاريخ الإسلامي الذي لم يكن بمنجاة من عبثهم الفكري وتصوراتهم المريضة، فراحوا يهذون ويلفقون الحكايات ويستعينون بالأساطير، والخيال الجامح لإفساد ما يمكن إفساده، يهدمون ما يقدرون علي هدمه، ويحرفون ما يستطيعون تحريفه، ويثيرون الضباب حول شخصياته العظيمة وزعمائه المخلصين. ويتوقفون أمام الحوادث الشاذة، والحروب الداخلية التي جرت بين المسلمين، أي كشف الجانب المظلم في التاريخ الإسلامي، وبعثه من أكفانه، وينفخون الروح فيه، كأننا أمام قضية وقعت بالأمس، وفي الوقت نفسه التركيز على نشر بعض الأفكار الشاذة التي قال بها بعض مفكري الإسلام، وتحقيق تراثهم ومناقشة أفكارهم، ليس من أجل الرد عليهم، ولكن من أجل تزيين أفكارهم، وهذا ما قام به باول كراوس، كما ألمعنا إليه سابقا.

كذلك رأينا تعاطف جولد تسيهر مع المذاهب والفرق الشاذة التي ظهرت قديما وحديثا وقصدت مباشرة تقويض أركان الإسلام من الداخل؛، مثل اليزيدية والبابية والبهائية.

وما زال برنارد لويس يواصل هجومه على كل ما يتعلق بالحضارة العربية الإسلامية، يتنقل هنا وهناك من أمريكا إلى أوربا، مثل عبد الله بن أبي المنافق، يبث سمومه وأفكاره المناوئة للعرب، ومساندته الواضحة للكيان الإسرائيلي بشكل فج وأسلوب مستفز وموقف عدائي.

خلاصة القول حينما دخل المستشرقون اليهود ميدان الاستشراق، كان يخايل أذهانهم فكرة الانتقام من الدين الإسلامي، والتنفيس عما يعتمل في قلوبهم، وبذل ما في وسعهم لتجريد الإسلام من كل ميزة و فضل، علاوة على تشويه حضارته بالتهم الملفقة والمزاعم الكاذبة والتزوير الفاجر.

ثالثا: الدوافع السياسية:

١- لاشك أن العامل السياسي لم يكن غائبا عن عقل جمهرة المستشرقين اليهود، وحلمهم في إقامة دولة تجمع شتاتهم وتلم أسرهم وتوحد أفرادهم، وهذا الحلم يسيطر

علي وجدان الكثير منهم، قبل مؤتمر «بال» في سويسرا عام ١٨٩٧ وبعده، وربما يرتد عند بعضهم الآخر إلي الزمن السحيق منذ دولة النبي سليمان التي أقامها في فلسطين، وظل هذا الحلم يحرك عقولهم بطريقة شعورية وغير شعورية، وجَدّ معظمهم في خدمة المشروع الصهيوني الذي نادي بإقامة دولة لليهود في فلسطين، ومن المؤكد أن بعضهم آمن بذلك إيمانا عميقا، وسعي بكل جهده وماله وعلمه لتحقيق ذلك، وتذليل الصعاب أمام هذا المشروع الاستيطاني، وتعبر كتابات برنارد لويس عن تحيزه الواضح للحركة الصهيونية، وتأييده الكامل للكيان الإسرائيلي الغاصب.

علي أننا نود أن ننبه أن بعض المستشرقين كان يري أن يستوطن اليهود في البلاد التي يقيمون فيها ويشاركون في بناء الدولة التي استقروا فيها ويندمجون مع الشعب الذي آواهم ومنهم؛ أبراهام جيجر من ألمانيا، كان من أنصار الدعوة إلي إدماج اليهود في التجمعات الأوربية التي يعيشون فيها ولذلك سعي إلي حذف كل ما يميز اليهود من سائر الأمم، وهاجم النزعة الصهيونية، وحذف من كتاب الصلوات كل إشارة إلي العودة إلي صهيون في فلسطين وعارض إقامة الصلاة باللغة العبرية.[(١)]

و قد ألمحنا آنفا إلى رأي اسبينوزا في مطالبته بتوطين اليهود في مسقط رأسهم، وقد عاضد وجهة نظره موسى مندلسون (١٧٢٩ - ١٧٨٦)الذي هاجم العنصرية اليهودية ورأي أنهم حبسوا أنفسهم داخل الجيتو الفكري وهو أبشع من الجيتو المادي الذي يقطنون داخله ويسكنون فيه بأجسامهم، ونادى بالتحرر المدني لليهود والفصل بين الدين والقومية.[(٢)]

وكذلك مونتاجو الوزير اليهودي البريطاني الذي قاوم المشروع الصهيوني ورأى أن من الخيانة للأوطان التي يعيشون فيها وإنكار للمعروف الهجرة إلى فلسطين وترك هذه الأوطان خلف ظهورهم لأن «جميع اليهود في شتى أنحاء العالم سيصبحون بعد إقامة

---

(١) موسوعة المستشرقين ص٢٢٢.

(٢) حسن ظاظا أبحاث في الفكر اليهودي ص ٩٩.

الوطن القومي في فلسطين، يهودا أجانب»[١].

ويؤكد باحث يهودي الفكرة ذاتها يقول: لم يكن من شأن الاتهام بتواطؤ الصهيونيين والإنجليز سوى وضع يهود مصر في موقف حرج للغاية؛ ذلك أن إقرارهم بحق إخوتهم في الديانة الإقامة في الأراضي المقدسة (فلسطين)يعني بفعل الواقع إقصاء أنفسهم عن الأمة المصرية.[٢]

أضف إلى كل ما سبق عارض العديد من المفكرين اليهود في أوربا المشروع الصهيوني معارضة عنيفة أمثال مكسيم رودنسون في كتابه «إسرائيل والعرب» إذ يقول: «إن الصهيونية وإن نجحت اليوم في إنشاء الدولة اليهودية فإن إقامتها تبقى على أسس غير سليمة؛ إن القوة التي تعتمد عليها لن تدوم إلى الأبد.» وهذا ما ذهب إليه أيضا كل من؛ ناتان وينستوك في كتابه «الصهيونية وإسرائيل» وإبراهام ليون والفريد ليلنتال[٣]. ونضيف إلى هؤلاء نورمن فنكلستين وهو كاتب يهودي يعيش في أمريكا، يكتب بإنصاف عن القضية الفلسطينية، هاجم هذا الكاتب سياسة إسرائيل تجاه حزب الله، وعدوانها المدمر على جنوب لبنان، وفضح جرائم إسرائيل تجاه الفلسطينيين وتدميرها لحياتهم، وختم كتابه بمقولة مأثورة عن أمه: الجريمة الوحيدة التي اقترفها الفلسطينيون أنهم ولدوا في فلسطين، ولكني لا أعتقد أن هذه جريمة.[٤]

وكثير من اليهود الذين استقروا في أوربا، رفضوا إغراءات دولة إسرائيل رفضا قاطعا، فحينما ذهب بن جوريون إلى الدانمرك (سنة ١٩٦٢) وأخذ يغري يهودها على الالتحاق بدولة إسرائيل، تصدى له رئيس الجالية اليهودية قائلا له بصراحة مطلقة: إننا نحن الدانمركيين لا نريد مكانا آخر نعيش فيه حياة أسعد من حياتنا هنا في الدانمرك؛ إننا

(١) أحمد سوسة : أبحاث في اليهودية ص ١٨٩.
(٢) تاريخ يهود النيل ص٩٧.
(٣) أحمد سوسة : أبحاث في اليهودية ص ١٨٣/ ١٨٤، أورد المسيري أسماء العديد من المفكرين اليهود المعارضون للحركة الصهونية وسياسة إسرائيل .(الموسوعة اليهوددية ج٦/ ٣٣٤ -٣٤٥).
(٤) صناعة الهولوكست ، ت، سماح إدريس ، دار الآداب ، بيروت ، ٢٠٠١، وأيضا رحلة أمريكي يهودي بحثا عن الحقيقة والعدالة، ت ، سماح إدريس ، دار الاداب ، بيروت ، ٢٠٠٨، ص ١٩١.

جزء أصيل من الشعب الدانمركي فنحن دانمركيون أولا ويهود ثانيا. [1]

٢- سخر كثير من المستشرقين أبحاثهم العلمية، لخدمة المشروع الصهيوني، وراحوا ينقبون في الآثار ويقلبون دفاتر التاريخ، ويركزوا على دور علماء اليهود الذين عاشوا في فلسطين، ويرسموا خريطة لها ويتحدثون عن تاريخها وحكامها وملوكها وأنبيائها وتضاريسها ومناخها والهجرات التي وصلت إليها واستقرت فيها وخرجت منها، مثل كتابات سلمون منك، وليون أري ماري وولفنسون في كتاباتهم عن مدن فلسطين، واهتمامهم بنشر تراث موسي بن ميمون وغيره من علماء اليهود.

ومنهم من كان يتعمد زيارة فلسطين، كأنه ذاهب إلى الحج المقدس، لكي يؤكد للدول الاستعمارية أن هذا وطنهم الذي أخرجوا منه، ومن واجبهم التاريخي أن يعاونوهم في العودة ثانية، كما فعل جولد تسيهر، ومنهم من كان يتخذ الحديث عن علماء اليهود، مثل موسي بن ميمون وابن كمونة ويهودا هاليفي كذريعة لإثبات حقهم التاريخي و السياسي في الأرض الموعودة، ورسالة إلى من يهمه الأمر من الدول الاستعمارية لكي ترى وتسمع، مثل كتابات ماكس مايرهوف، وباول كراوس و دافيد بانيت وولفنسون. على الرغم من أننا نعدهم علماء مسلمون؛ بمعنى أنهم عاشوا في ظل هذه الحضارة العربية الإسلامية الفتية الباسقة وتأثروا بعلومها وفنونها وآدابها وثقافتها ولغتها، كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

٣ - تعاون كثير من المستشرقين مع الدول الاستعمارية بطريقة مباشرة، و قدموا خدماتهم لمن يدفع أكثر، ووضعوا بحوثهم العلمية، ودراستهم الواسعة للفقه الإسلامي و تاريخه وللحضارة العربية الإسلامية، لمساعدة المشروع الاستعماري وإحكامه السيطرة على الدول العربية، وإطالة عمره، نلمس ذلك في الخدمات التي قدمها مستشرقان كبيران مثل؛ دافيد سانتلانا، وجوستاف فايل.

ولاشك أن تعاون بعض المستشرقين مع الاستعمار شوه صورة الاستشراق تشويها واسعا، وأساء إلى دورهم في خدمة التراث العربي الإسلامي، وأدى إلى خصم الكثير من رصيدهم العلمي، وزعزع مفهوم الموضوعية الذي يتشدق به الغرب دائما.

---

(١) أبحاث في اليهودية ص ١٩١.

«إن الشرط الحاسم الذي تصطدم به ألوان المعرفة المنتجة في الغرب المعاصر هو أن تكون منزهة عن السياسة، بمعنى أن تكون علمية أكاديمية محايدة، تعلو على مستوى المعتقدات المذهبية الحزبية أو ضيقة الأفق».[١]

٤- يقول العلامة محمود شاكر: الاستعمار والاستشراق والتبشير(التنصير) «ثلاثة متعاونة متآزرة متظاهرة، جميعهم يد واحدة؛ لأنهم إخوة أعيان، أبوهم واحد وأمهم واحدة ودينهم واحد وأهدافهم واحدة ووسائلهم واحدة.»[٢]

لاشك أن الشيخ شاكر من كبار العلماء ويعد واحدا من جيل العمالقة، ومن المنافحين عن اللغة العربية الغيورين عليها، ومن المنظرين للحضارة الإسلامية، يتميز بأسلوبه العربي الفصيح، وقدرته على سبك المفردات في ثوب قشيب واستخدام الغريب منها وسوق العبارات في سهولة ويسر وتطويعها أمام القارئ.

ومع تقديرنا لحماسته الدينية وموسوعته اللغوية والشرعية وشخصيته العلمية الجليلة، لكننا لا نتفق معه في هذا الحكم القاسي على المستشرقين قاطبة، فنحن لم ننكر سابقا عمل بعض المستشرقين (قضية جزئية)مستشارين للاستعمار وتقديم خدمات عظيمة له، ولا تعاونهم مع فلول المنصرين أو دخول طائفة منهم هذا الميدان.

بيد أن نضعهم في مربع واحد، وأنهم ينسلون من ثوب واحد، فيه ظلم بين لجمهرة كبيرة منهم وهبوا حياتهم للبحث العلمي ولم يعوزهم منهج الإنصاف، هذه نقطة، النقطة الثانية، أن الاستشراق اليهودي لم يدخل مجال التنصير بطبيعة الحال، ليس هذا فحسب بل نجد بعضهم قد تحول إلى المسيحية مثل دافيد مرجليوث (١٨٥٨- ١٩٤٠) [٣]، النقطة الثالثة التأليف الضخم الذي خلفوه في معظم المجالات، فضلا عن صبرهم المحمود في قراءة آلاف من المخطوطات وتنسيقها وتصحيحها وتحليل مضمونها ونشرها في حلة قشيبة، وثوب جذاب.

---

(١) إدوارد سعيد : الاستشراق ص ٥٤/ ٥٥

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ٤٩

(٣) ترجمته في موسوعة المستشرقين ص ٥٤٦

وإذا كنا نطالب المستشرقون بإنصاف حضارتنا الزاهرة، فمن باب أولى أن نتحلى بالعدل و الحيدة والموضوعية.[١]

---

(١) يقول الشيخ شاكر: أكب عليها (المخطوطات)المستشرقون المجاهدون الصابرون، الذين هجروا دنيا الناس المائجة بكل زخرف ومتاع، وعكفوا بين جدران صامتة وأكداس من الأوراق المكتوبة بلسان غير لسان أقوامهم، يقضون سحابة النهار وزلفا من الليل يفرزونها ورقة ورقة، وسطرا سطرا وكلمة كلمة، بصبر لا ينفذ وعزيمة لا تكل، ويكابدون كل مشقة في الفهم والوقوف على أسرار المعاني المخبوءة تحت رموز الألفاظ العربية أو غير العربية في كل علم ومعرفة وفن.(رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ٥٤).

- نود أن نوضح وجهة نظرنا في كتاب الشيخ الجليل في نقاط مركزة:

١ - كتاب متميز من الناحية اللغوية، يظهر تمكنه من ناصية اللغة العربية، ويذكرنا بأسلوب الجاحظ وأبي حيان التوحيدي.

٢ - يغلب على الكتاب الأسلوب الإنشائي العاطفي الهجومي، مع التعويل على المهارة اللغوية وتكرار المفردات العربية الفصيحة وأحيانا الغريبة، أكثر من الأفكار الواردة فيه أو القضايا المطروحة.

٣ - يهاجم المؤلف الاستشراق هجوما لا لين فيه ولا هوادة، مع إيراده الأدلة التي تظهر الرابطة العضوية بينه وبين الاستعمار والتنصير، وأن هدفه الأول والأخير، الدفاع عن المسيحية، وتحذير القارئ الأوربي من الإسلام ثم انتهاز الفرص لاحتلال أرضنا.قارن هذا الموقف مع موقف مالك بن نبي المنصف والموضوعي من حركة الاستشراق.(إنتاج المستشرقين ص ٤٢)

٤ - استعرض نشأة الاستشراق بالتفصيل مع الإطناب والتكرار، مع المسيحية المهزومة في الشمال والإسلام المنتصر في الجنوب، وفشل الحروب الصليبية، والتحول من المواجهة العسكرية إلى الالتفاف الثقافي والغزو الفكري،، وتقدم الدولة التركية التي حطمت آمال الرهبان والملوك، ووسعت رقعة الدولة الإسلامية.

٥ - فشل الاستشراق في دراسة الحضارة العربية الإسلامية فشلا ذريعا، لأسباب كثيرة أهمها عدم تمكنه من دراسة اللغة العربية واختلاف العقيدة وتباين الثقافة والملة.

٦- إن النهضة العربية بدأت وانطلقت في أرضنا العربية؛ بفضل جهود الجبرتي الكبير في مجال التاريخ، ومحمد بن عبد الوهاب في مجال العقيدة، والزبيدي في مجال اللغة العربية، والشوكاني في مجال الفقه، (لاحظ أن هؤلاء العلماء يدورون في المجال النظري ولا يوجد أحد فيهم له باع في مجال الاختراعات التى تكشف علاجا لمرض من الأمراض، أو خطة لتطوير الصناعة أو توسيع الرقعة الزراعية، أو اكتشاف من المكتشفات التي تنهض بحياتنا اليومية)، وليس مع حملة نابليون على مصر، لأنها حملة استعمارية قام بها نابليون بفضل خدمات المستشرقين الذين أمدوه بكل المعلومات، ووضعوا أمامه كل الخطط التي تسهل له التعامل مع المصريين شيوخا وعواما.

٧- لم يتعرض لأعمال المستشرقين، ولا جهودهم العلمية، ولم يشر لتحقيقهم المخطوطات أو ترجمة تراثنا، ولكنه طوال الصفحات، يحط من شأنهم ويزري بجهودهم ويشكك في نواياهم وخبث وسائلهم وحقد قلوبهم. =

رابعا: الدوافع العلمية:

١- لا أحد يستطيع أن ينكر أن من دوافع الاستشراق اليهودي، حب المعرفة والرغبة الجارفة في فهم جوانب الحضارة العربية الإسلامية، والتعرف على فكرها وفلسفتها ومنهجها وعقائدها وآدابها وفنونها وملامحها؛ فهي كتراث إنساني يحظى باحترام معظم مفكرين العالم، ومحبي العلم وأصحاب الفكر السليم وقادة الرأي في العالم.

ولا نشك أن جمهرة من المستشرقين كان يحدوهم الأمل في دراسة هذه الحضارة الإسلامية المذهلة التي بنت نفسها في سنوات معدودة، وانتشرت شرقا وغربا وبخاصة أن كثيرا من علمائهم شاركوا في بناء هذه الحضارة، واعتنق ديانتها رجال من اليهود والمسيحيين، ونطقوا بلغتها العربية التي أصبحت من أدواتهم المعرفية؛ فضلا عن التخاطب بها، وهذه قضية لا تحتاج إلى برهان، ليس هذا فحسب، بل كان عندهم غرام للتعرف علي سماتها ودراسة إنتاجها العقلي، وفكرها الفلسفي، وتذوق شعر شعرائها

= ٨- هجومه على د زكي نجيب محمود كان مجافيا لقواعد الأخلاق إذ رماه بالكذب وافترى عليه افتراء واضحا، وأزرى بفكره؛ وحقيقة القضية أن د/ زكي عرض للصراع الحضاري بين مشايخ الأزهر بما يمثلونه من علم ديني، يتمثل في التفسير والحديث والفقه، والحملة الفرنسية التي أتت بالمنهج العلمي وابتكاراته التي تجلت في المطبعة والقنابل والمدافع والمواد الكيماوية والتجارب العلمية، وهدفه من ذلك أن يظهر الفجوة الحضارية بين العرب وفرنسا، والفارق الهائل بين الوضعية العربية وأحوالنا في مصر وما وصل إليه العصر من تقدم تقني وابتكارات متعددة في معظم المجالات. ولم يسخر الرجل من علماء الأزهر، لكنه يطالب بما أسماه الجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ وقد بسط ذلك في مؤلفاته بسطا واسعا وشاملا. رحم الله شيخنا العلامة محمود شاكر وعفى عنه لحماسته ووطنيته وغيرته على مبادئ الإسلام ودفاعه عن اللغة العربية. ورحم الله أستاذنا زكي نجيب محمود لقيادته حركة التنوير طوال خمسين عاما، وما قدمه من جهود علمية لتحرير العقل العربي من قيده، ودعوته الصادقة إلى التعويل على مافي تراثنا من قيم حضارية، ولا ننسى نصيبنا من إنتاج العصر، وتقدمه التقني المذهل وأن نجمع بينهما في ضفيرة واحدة على حد تعبيره.

٩- أجحف في تقييم تجربة محمد على إجحافا واسعا، وركز فقط على حروبه مع الحركة الوهابية وهذا خطأ بلا شك، دون أن يشير إلى بنائه مصر الحديثة في المجالات التعليمية والعسكرية والصناعية والزراعية والطبية. وفي السياق نفسه هاجم رفاعة الطهطاوي هجوما شديدا، ورأى أنه صنيعة المستشرقين.!!.

وتأمل نثرها المملوء حكمة وبلاغتها التي تخلب اللب، وقراءة أدب الجاحظ بعقله الموسوعي وسخريته العريضة، وفلسفة أبي حيان التوحيدي وتمرده على الوزراء والأمراء ومئات غيرهم من المفكرين والأدباء والشعراء. هذا من جهة؛

ومن جهة ثانية، يعد حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة، استعداد مركوز في الفطرة البشرية ويري بعض علماء النفس أنه يعد من الدوافع الفطرية وعلى رأسه مكدوجل (١٨٧١-١٩٣٨)، وقد أطلق عليه «غريزة حب الاستطلاع»، ومعنى ذلك أن من مجافاة الحقيقة أن نسلب الرغبة في المعرفة عند جمهرة المستشرقين اليهود، والميل الجارف لدراسة حضارة جديدة يتشوقون الإحاطة بمقوماتها و سماتها وأسباب نجاحها وتبوأها هذه المكانة المرموقة وسط الحضارات القديمة.[1]

ومن جهة ثالثة؛ لا يمكن أن ننزع جانب الخير والعدل والمحبة المتغلغل في أعماق فطرة الإنسان، والذي يتفجر داخله، لأنه ينتمي لجنس الإنسانية، وأغلبية الفلاسفة يؤكدون على خيرية الإنسان ونقاء فطرته، إذا استثنينا رأي توماس هوبز (١٦٧٩) وآرتور شوبنهاور(١٨٦٠)، فعنصر الروح مكون من مكونات الإنسان، والذي يعمق فيه نوازع القيم الأخلاقية، ويقلل من رغبات الحواس وسطوة المادة، ومن الضلال البين إدعاء فرويد (١٨٥٦ -١٩٣٩) أن دافع العدوان والكراهية من الدوافع الفطرية، فقد أثبت العلماء أنه دافع مكتسب من البيئة، والذي نريد أن ننتهي إليه أننا لا يمكن أن نلغي نوازع الخير والصدق والتعاطف ومبادئ الأخلاق من كافة المستشرقين اليهود، فعلينا أن نحسن الظن بخيرية الإنسان ونقاء فطرته وإخلاصه حتى يثبت لنا بالدليل القاطع عكس ذلك.

ومن جهة رابعة علينا أن نفرق بين مشاعرنا الذاتية، واتجاهاتنا الخاصة، وعواطفنا المشحونة بالكراهية العميقة تجاه اليهود الصهاينة لأسباب معروفة لنا جميعا، والدراسة

---

(١) نفى د.على النملة، وهو باحث جاد ومتخصص في الدراسات الاستشراقية وله باع وأي باع في هذا المجال، أن يكون الدافع العلمي كان وراء الاستشراق اليهودي ودراساتهم التي دارت حول الإسلام، ورأى أنهم كانوا يسعون إلى تحقيق أهداف استعمارية وسياسية وتجارية، دون العلمية (الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٨٩)، في حين أنه قرر بعد ذلك: أن الاستشراق اليهودي ليس أقل إنصافا من الاستشراق المسيحي.(ص ٩٠)

المنهجية التي هي محكومة بأسس المنهج العلمي وضمير الإنسان النقي، وخيرية الإنسان ودواعي الإنصاف.

نعم لا يجب الخلط بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، ولا ننساق مع تيار الكراهية المتجزر في قلوبنا وضمائرنا، وفي صحونا ونومنا، وفي سكوننا وحركتنا، وفي الشارع العربي للكيان الصهيوني؛ ونناقش القضية مناقشة هادئة علمية، متجردة من كافة الأهواء الشخصية، بعيدة عن الانفعالات، وعن عاطفة الحب والكراهية.

في ضوء ما ذكرنا، إذا استعرضنا ما قام به صفوة المستشرقين اليهود من ترجمة تراثنا العربي الإسلامي إلى اللغات الأجنبية، وتحقيق المخطوطات ونشرها نشرة علمية بمقدمات ضافية تشرح أبعاد القضايا التي تناولوها، والتأليف الموسوعي الضخم الذي نهضوا به، كل هذا يفضي بنا إلى الاعتراف بأن الدافع العلمي كان وراء خوضهم هذا الميدان الشيق الفسيح.

يقول مصطفى السباعي (ت١٩٦٤) وهو متحامل إلى حد ما على الحركة الاستشراقية: «من المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا علي الاستشراق بدافع من حب الإطلاع علي حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه».[(١)]

ويقول مالك بن نبي (ت١٩٧٣): «إن إنتاج المستشرقين...لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحيانا يستحق التقدير لما يتسم - في بعض أصنافه مثل ماخلفه سيديو أو جوستاف لوبون أو آسين بلاسيوس - بالإضافة إلى طابعه العلمي، بطابع أخلاقي ممتاز لا يمكن نكرانه كشهادة نزيهة من طرف شهود نعرف قيمتهم كعلماء.»[(٢)]

ويقول إدوارد سعيد (ت ٢٠٠٣): حقق الاستشراق نتائج عظيمة في حدود جهوده العلمية البحتة، إذ نجح في إيجاد بعض العلماء في القرن التاسع عشر، وزاد من عدد اللغات التي تُدرّس في الغرب، ومن كم المخطوطات التي حرروها وترجموها وشرحوها،

---

(١) السباعي: الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩ ص ٢٤، ٢٥.
(٢) إنتاج المستشرقين ص ٤٢

واستطاع في حالات كثيرة إعداد دارسين أوربيين متعاطفين مع الشرق.(١)

وفي السياق نفسه يقول أحد الباحثين المدققين الموضوعيين: إن العديد من المستشرقين وخاصة اليهود؛ قد تعرفوا على تاريخ العرب والإسلام وتراثه وولعوا به وقرأوه من خلال دراستهم للترجمات العربية للأصول الفلسفية والعقائدية العبرية القديمة سواء في المشرق العربي أو الأندلس.(٢)

إن الإنتاج العلمي الغزير الذي تركه لنا جمهرة المستشرقين، وراءه جهد كبير وعمل منظم ومنهج محكم، ومعظم الذين خلفوا لنا هذا الكم من المؤكد أن الدافع العلمي كان يحدو خطواتهم كما أشرنا سابقا، وأن هذا المستشرق الذي انزوى في مكتبة نائية بعيدا عن الأضواء وعكف سنوات يقرأ في هذه المخطوطة ينفض التراب عنها، ويفك ألغازها، ويفسر نصوصها ويشرح مضمونها، ويعاني من غموض مفرداتها، ويكافح في استيعاب بلاغة أسلوبها، يحب هذا العمل ويعشق هذا العلم الذي تخصص في دراسته أو الفن الذي أمضى حياته يؤلف في قضاياه، ويثري في مناهجه.

ونستطيع أن نسوق العشرات من الأمثلة لهؤلاء المستشرقين الذين قدموا خدمات علمية جليلة لتراث الحضارة العربية الإسلامية؛ فقد نشر جولد تسيهر كتاب المعمرين العرب لأبي حاتم السجستاني، وكتاب المستظهري للغزالي، علاوة على كتابه الشهير مذاهب التفسير الإسلامي، والعقيدة والشريعة، على الرغم من تحفظنا على كثير من القضايا التي أثارها في هذين الكتابين ورفضنا معظم المقولات التي طرحها والأكاذيب التي نشرها، والنتائج التي أعلنها.

وحقق هورفتز ونشر جزأين من «طبقات ابن سعد»، و«هاشميات الكميت»، وحقق جاكوب ونشر كتاب الفصيح لثعلب، وديوان القطامي.

وحقق هرتفج ونشر؛ ديوان النابغة الذبياني، و«الكتاب» لسيبويه، والمواعظ والاعتبار لأسامة بن منقذ، والفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي.

---

(١) الاستشراق ص ١٧٤

(٢) فروق فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر، عمان، ١٩٩٨، ص٣٨

وحقق ماكس مايرهوف ونشر عشر مقالات في العين لحنين بن اسحق، وخمس رسائل لابن بطلان البغدادي، ولابن رضوان المصري. وغير ذلك كثير.

أما في مجال التأليف، فقد أشرنا سابقا في أثناء دراسة الشخصيات وهذه إشارة سريعة لمؤلفاتهم، ألف سلمون منك كتابه «أمشاج في الفلسفة الإسلامية».

ووضع جول أويرمن كتابين مهمين في الفلسفة الإسلامية هما؛ مشكلة العلية عند العرب، والنزعة الذاتية الفلسفية والدينية عند الغزالي.

وكتب برنشفج مقالات علمية عن قواعد الفقه الإسلامي، وعن الآراء الكلامية عند المعتزلة والأشاعرة.، وموقف علماء المسلمين من المنطق اليوناني.

وتخصص جوتشلك في الكتابة عن تاريخ مصر في العصر الوسيط، وكرس جهوده عن الملك الكامل وعصره، وعن شجر الدر.

أما بول كراوس، فقد وضع مؤلفات غزيرة تدور حول العلماء العرب.

وكذلك أبحاث ماكس مايرهوف عن الطب والصيدلة والنبات عند العرب.

نستنتج مما سبق أن جمهرة المستشرقين حينما خاضوا هذا الميدان، كان عندهم رغبة عارمة ودافع علمي غلاب لاستكشاف الأبعاد الدينية و الفلسفية والأدبية والفنية لهذه الحضارة العربية العظيمة التي أشرق نورها علي العالم أجمع.

خامسا: الدوافع التاريخية:

١- ينتسب اليهود [١] إلى «يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) الذي ورد اسمه في القرآن باسم «إسرائيل»؛ أي عبد الله ومن نسله ظهرت أمة بني إسرائيل؛ وقد

---

(١) يقال اسم اليهود؛ جاء من توبتهم عن عبادة العجل، (إنا هدنا إليك)أي تبنا ورجعنا، ويقال نسبة إلى يهوذا أحد أبناء سيدنا يعقوب.(الطنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن ص ٣: ٨).وننبه أن إدعاء اليهود بأن تاريخهم يبدأ بهجرتهم من العراق مع سيدنا إبراهيم إدعاء مزيف، لا يستند إلى أي سند تاريخي، كذلك زعمهم بأن يهود فلسطين مرتبطون عنصريا باليهود العرب، وأنهم نزحوا إلى جزيرة العرب في أعقاب إجلائهم من فلسطين في عهد الرومان لربط صلتهم بالعرب ليس له أي نصيب من الصحة. (أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية ص١٣٧)

هاجر يعقوب إلى مصر ومعه أولاده بعد أن أصبح يوسف وزيرا للخزانة، وأرسل في طلبهم واستقروا في مصر لكنهم عاشوا في عزلة تامة منطويين على أنفسهم، رافضين التعاون مع السكان الأصليين، وبعد أن احتل الهكسوس مصر مد اليهود يد التعاون معهم، مما أوغر صدور الأهالي، ثم استطاع أحمس طرد الهكسوس، وحينما تولى رمسيس الثاني بدأت المتاعب الحقيقية لليهود، إذ شرد بهم وذبح أبناءهم واستحيي نساءهم وأنزل بهم ألوانا من العذاب، أفاض القرآن في تصويره وعرضه عرضا حيا مؤثرا.

ومن رحمة الله بهم أرسل إليهم موسى لكي ينقذهم من ذل الأسر ومهانة الاستعباد، وتحريرهم من عذاب فرعون، وفي الوقت نفسه إرشادهم إلى طريق الحق والخير والنهج الرشيد، وتنظيم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبينه وبين الله، وشرح معالم الطريق المستقيم، ورسم خريطة واضحة تحدد أبعاد السلوك الأخلاقي؛ من خلال الشرائع التي حملوها معهم، والمبادئ القويمة التي بشروا بها، والقيم الخلقية التي بثوها في نفوسهم وجاهدوا على غرسها في ضمائرهم.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۞ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة ٤٧- ٥١].

لكن اليهود عصوا موسى في حياته وبعد مماته، وعادوا إلى سيرتهم الأولى من عبادة العجل وجمع المال والاستخذاء أمام أعدائهم وخذلان أنبيائهم.

ويرسم بعض المؤرخين صورة قاتمة لليهود بأنهم عرفوا منذ قرون؛ أفاقين مغيرين سفاكين للدماء مندفعين في الخصام الوحشي، فإذا بلغ الجهد منهم مداه، ركنوا إلى الخيال التافه تائهة أبصارهم في الفضاء، كسالي عطل من الفكر كأنعامهم، علاوة على أن من أهم

معالم شخصيتهم؛ النفاق والجبن والبخل والطمع.[١]

ويفسر العلماء سبب كثرة إرسال الأنبياء إلي بني إسرائيل، بكثرة أمراضهم النفسية و ضمائرهم الخربة وسلوكهم المعوج، وعصيانهم أوامر الأنبياء وتمردهم على نصائحهم، ليس هذا فحسب بل ورفضهم حضور الأنبياء في الواقع والتاريخ، ومؤامرتهم الخفية للإيقاع بهم وإلصاق التهم بهم ومحاولة قتلهم.

ويمثلون لذلك بالشخص المريض الذي تكالبت عليه الأمراض، فيسعى جاهدا للذهاب إلى أكثر من طبيب للبحث عن سبل العلاج الناجع والدواء الشافي.

٢- يوجد شبه إجماع عند معظم المؤرخين أن اليهود طائفة بلا هوية محددة أو تاريخ واضح، ولكنهم مجموعة من القبائل المتناحرة، والطوائف المتصارعة «لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلي»، التي لا تكاد تُميز من طور الوحشية، إذ كانوا بدوا رحل لا أثر للثقافة في حياتهم، وعندما عزموا على الاستقرار في فلسطين، بعد أن استطاع يوشع بن نون أن يحتل بعض مدن فلسطين؛ وجدوا أنفسهم في مواجهة أمم متمدنة قوية منذ قرون، وحينما أرادوا أن يقتبسوا بعض معالمهم، فعلوا مثل باقي الأجناس الدنيا، التي لا تقتبس من الأمم المتحضرة سوي أسوأ عاداتها و أخس ما في حضارتها.[٢]

هذه القبائل عاشت مشردة متنقلة من منطقة إلى منطقة ثانية، وكلما استقرت في مكان، وعاشت فترة من الزمن، هاجرت إلى مكان آخر، ومن ثم «لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة، واليهود لم يأتوا بأية مساعدة مهما صغرت في شيد المعارف البشرية، واليهود لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة التي ليس لها تاريخ، وظلوا حتى آخر مرحلة من تاريخهم في أدني درجة من الحضارة قريبين من دور التوحش الخالص».[٣] وقد انحصرت مواهبهم في تربية البهائم وفلاحة الأرض، علاوة على التجارة.

---

(١) جوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، شركة نوابغ الفكر، القاهرة ٢٠٠٨، / ص٤-٨.

(٢) لوبون: تاريخ اليهود ص ١٥.

(٣) المصدر السابق.

٣- توفي يوشع في حدود (١١٥٧ق.م) وتفرق بنو إسرائيل، إلى قبائل متناحرة، واقتبسوا من الكنعانيين سكان فلسطين كثير من الأفكار الوثنية، على أن هذا العهد شهد مرحلة من الهدوء و الاستقرار، ومن ثم انتقلوا من مرحلة الرعي والتنقل ونصب الخيام إلى الزراعة التي من أهم خصائصها الاستقرار والإقامة في شكل قرى ومدن وهذا يعدد طورا متقدما في الجانب الحضاري إذا واكبه نوع من التقدم الفكري، ومع هذا لم يتوقف الصراع بينهم وبين الكنعانيين أصحاب البلاد الأصليين.

٤- تمنى بني إسرائيل من أحد أنبيائهم أن يرسل الله لهم ملكا يقودهم إلى حرب الكنعانيين، فاستجاب الله واختار لهم طالوت ملكا، الذي قادهم بعد جدل شديد و تقاعس واضح وتخاذل له سوابق في التاريخ أن يقودهم إلى الانتصار على الكنعانيين ويقتل جالوت، وفي هذه الحروب المستمرة برز اسم داود قائدا لجيش إسرائيل؛ وقد أشار القرآن إلى هذه المرحلة التاريخية بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة ٢٤٦- ٢٥١].

وتعد فترة حكم داود من أخصب الفترات التاريخية، وتولى بعد ابنه النبي سليمان الذي حقق آمال الشعب اليهودي في الاستقرار والرخاء واتساع ملكه علاوة على تشييده الهيكل، وبعد وفاته انقسمت مملكته؛ إلى مملكتين إحداهما في الشمال اسمها إسرائيل، وأخري في الجنوب اسمها يهوذا. وقد دخلت المملكتين في حروب طويلة فيما بينهما فضلا عن العودة إلى الوثنية الأولى وعبادة الأوثان، والارتكاس في الرذائل والموبقات.في هذه الفترة تقدم سرجون الأشوري عام (٧١٢ق.م)صوب مملكة إسرائيل الشمالية وحاصر عاصمتها «السامرة» ونقل آلاف من اليهود إلى العراق.[1]

وقد تعرضت مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم إلى ضربة مماثلة إذ «دمر نبوخذ نصر ملك بابل القوي أورشليم في عام (٥٨٦ ق.م) فجعل عاليها سافلها وهدم هيكلها وأسر آلاف اليهود إلى بابل.[2]

ولا جرم أن يكون هذا التدمير عقابا من الله على أعمالهم وسوء طويتهم ومسلكهم البائس، ثم توالت على فلسطين دول مختلفة من الفرس واليونان والرومان وهي الدول الكبرى آنذاك، وانتهى الأمر بقيام الامبراطور الروماني تيطس عام (٧٠ م) بتدمير مدينة القدس وتدمير الهيكل مرة ثانية.

ويؤكد أغلبية المؤرخين أن القبائل اليهودية كانت طوال تاريخها على جانب كبير من الجبن العميق،[3] وتميز سلوكهم المشين في كل مكان بالطمع الجارف الذي يسم سلوكهم، وحبهم الفائق للمال، وانغماسهم في الربا، ومحاولاتهم الدائمة في السيطرة علي مقدرات أي دولة يحلون فيها، ونهب ثرواتها» وفق غرائزهم التجارية القوية في جمع الثروات «علي حد تعبير جوستاف لوبون، واستنزاف اقتصادها وتخريب مواردها، يوقعهم في كثير من المصائب، ويخلق لهم مشاكل لا قبل لهم بها ومن ثم تهب الحكومة والمواطنين يطالبون بطرد هؤلاء الأجانب وتجريدهم من ثرواتهم التي نهبوها من عرق

---

(١) لوبون كتاريخ اليهود ص٣٥.

(٢) لوبون: تاريخ اليهود ص ٣٦.

(٣) لوبون: تاريخ اليهود ص٣٦.

المواطنين، والاستقراء التاريخي شاهد على ذلك.

٥- هذا التاريخ الأسود بكل ما يحمله من موبقات وخداع ومصائب وآلام، دفع صفوة من المستشرقين أن يندفعوا في هذا الميدان لتحقيق الآتي:

أ- تطهير أنفسهم من أدران الماضي، والتحرر من وزر الخطيئة التي ارتكبها أسلافهم في حق الشعوب التي نزلوا بساحتها فقابلوا الإحسان بالإساءة والمعروف بالنكران.

ب- تبرير سلوكيات الجاليات اليهودية المشينة عبر التاريخ في الأماكن التي حلوا بها، والدفاع عن مسلكهم من خلال تضخيم المظالم التي لحقت بهم، والمصائب التي سقطت على رؤوسهم، وإظهار أنهم ظلموا من الأمم الأخرى الذين استغاثوا بهم أو عاشوا في حمايتهم.

وأبرز مثال على ذلك هجومهم على الرسول ﷺ وإدعاؤهم أن اليهود هم الذين رحبوا به وآووه في مدينتهم ونصروه، فلما اشتدت شوكته انقلب عليهم وشرد بهم وطردهم شر طرده من مدينتهم وسلب أموالهم وقتل زعمائهم.

ج- بعث تاريخ وجود الجماعات اليهودية في فلسطين العربية، و تأكيد وجودهم التاريخي فيها، وذكر تاريخ دولة يهودا في الشمال ودولة إسرائيل في الجنوب، وما تعرضوا له من التنكيل والقتل وهدم هيكلهم و الإشادة بجهود ملوكهم ورؤسائهم في مقاومة العسف الذي نزل بهم، وبالجملة إحياء تاريخ اليهود القديم في هذه المنطقة وبعث تراثهم بما يتضمنه من جوانب دينية وأبعاد فكرية و عادات وتقاليد.

نلحظ ذلك في دراسات اشتينشنيدر التي دارت حول علماء اليهود وإنتاجهم إذ قام بفهرسة المخطوطات العبرية ويقال أنه جمع منها ألف وأربعمائة عنوان، ثم فهرسة المخطوطات المتعلقة بالمترجمين اليهود في العصر الوسيط، كذلك ألف كتابا شاملا حول ما كتبه علماء اليهود بالعربية، بسط فيه أسماء كافة المؤلفين اليهود مع ترجمة وافية عن حياتهم ومؤلفاتهم، ورصد المراجع التي استند إليها، وباقي مؤلفاته لا تخرج عن هذا الإطار.

ورحلات ادوارد جلازر إلي اليمن واكتشافاته النقوش القديمة تصب في إحياء

التاريخ اليهودي القديم وتأكيد تواجدهم التاريخي في بلاد العرب.

وفي هذا الاتجاه قام جوزيف هـاليفي برحلاتـه إلى اليمن لإثبات الحضـور اليهـودي وتواجدهم منذ أيام النبي سليمان، وبحوثه أيضا عن يهود الفلاشا، علاوة على أنه كان من الصهيونيين المتعصبين لإنشاء الكيان الصهيوني.

وكانت كتابات دافيد بانت تدور في هذا الفلك؛ فـألف حـول مـا كتبـه علـماء اليهـود باللغة العربية، ودراساته الموسعة لوثائق «جنيزة» في مصر القديمة.وشاركه في ذلك أيضـا شالوم جويتاين، الـذي ركـز دراسـاته حـول تـراث يهـود اليمن، وتـاريخ اليهـود في مصر والشام. وكذلك تنحو مؤلفات هاري ولفسون وإسرائيـل ولفنسـون وهـرتفج هرشـفلد، هذا المنحى، وتخوض فيما خاض فيه أصحابهم.

ومعظم مؤلفات سلمون مونك تركز على علماء اليهـود وعطـائهم الفلسـفي، أضـف إلى ذلك أفرد كتابا مستقلا عن «فلسطين» يستعرض فيـه تـاريخ وجـود اليهـود فيهـا منـذ دخول يوشع وجنوده بعد موت سيدنا موسى، ويتعرض للنكبات التي تعرضوا إليها من البابليين والرومان، حتى الوصول إلى منتصف القرن التاسع عشر.علاوة على كتاباته عـن موسى بن ميمون ونشره لكتابه «دلالة الحائرين».

ولا نبعـد عـن الصـواب إذا قلنـا إن معظـم المستشرقين اليهـود تنـاولوا سـيرة هـذا الفيلسوف، وكل منهم تناول جانبا من تفكيره؛ الدينى والطبي والفلسفي.

موجز القول إن المستشرقين اليهود لم يغب عن بـالهم أبـدا استدعاء تـاريخهم القـديم ونفض التراب عنه وبسطه أمام الملأ ونفـخ الـروح فيـه، والتأكيـد المستمر على مـزاعمهم الباطلة في حقهم التاريخي في أرض فلسطين.[١]

سادسا : الدوافع المادية :

١ - اشتهر اليهود بحبهم للمال وتجارتهم في الذهب والفضة والسعي لإنشـاء البنـوك والمساهمة فيهـا، ومهـارتهم في تكـديس الثـروات، ومحاولـة الحصـول عليهـا بكافـة الطـرق

---

(١) أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، ص١٠٥ - ١٣٧.

المشروعة وغير المشروعة؛ وقد مثل ميدان الاستشراق بابا واسعا للرزق، ومصدرا ثابتا للحصول على المال، وأحيانا تحقيق بعض الثروات؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ كان المستشرق يحصل على معونة مالية لتغطية نفقات السفر، ربما من إحدى الجمعيات الآسيوية، أو من صندوق مخصص للكشوف الجغرافية أو منحة حكومية، كما يعني نشر أعماله في صورة معتمدة.(١)

في ضوء ما سبق؛ اندفع عدد كبير منهم بطرق بابه والدخول فيه وبذل كل الجهد لتحقيق ذاته والوصول إلى بغيته.

٢- لا جرم أن اتجه إلى مجال الاستشراق العشرات منهم واتخاذها مهنة مثل مهنة الطب والهندسة أو التجارة أو الزراعة، ووظيفة تدر عليه دخلا لا بأس به، وتوفر له متطلبات الحياة اليومية؛ فالمستشرق أولا وأخيرا إنسان يعول نفسه ويأمل أن يكُون أسرة، وهو مطالب بتأمين الحد الأدنى لمستوى المعيشة لكي يواجه ضرورات الحياة اليومية، وحاجياتها التي لا تنتهي.وحاجة من عاش لا تنقضي، كما يقول الشاعر.

٣- لمس كافة المستشرقين أن هذا المجال يدر دخلا طيبا، ومن يبتسم له الحظ ويعمل في البحث عن الآثار والنقوش والحصول على المخطوطات، مثل ادوارد جلازر وليو ماري فربما يصبح من الأثرياء ويكون ثروة لا بأس بها، ومنهم من كان يتعلم وعينه ناظرة إلى الهجرة إلى فلسطين إبان سطوع نجم الصهيونية وإغراءاتها لجذب اليهود إلى أرض الميعاد وتقديم كل التسهيلات لتوطينهم وفتح أبواب الرزق للعمل في المؤسسات التعليمية؛ مثل دافيد بانت، ومارتن بلسنر، وشالوم جويتاين، وليوأري ماري.

ومنهم من كان حريصا على الالتحاق بالعمل في السفارات الأجنبية ووضع خدماته العلمية لمن يدفع له أكثر من المستعمرين وغير المستعمرين وتقديم مشورته الفقهية أو العلمية لمن يطلب منه سواء؛ كما رأينا عند دافيد سانتلانا.

ومنهم من كان طموحه أكبر وهو السعي للعمل في الجامعات العربية أو الأمريكية،

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق ص ٣٠٥.

إذ يتمتع بالراتب المجز والمكانة الاجتماعية المميزة في السلم الاجتماعي، وقد انتدبت الجامعة المصرية عددا كبيرا من المستشرقين اليهود، وذكرنا سابقا أنهم كانوا يحصلون على رواتب عالية جدا تمثل ثروة قومية بحساب عصرهم؛ مثل باول كراوس وماكس ماير هوف، وإسرائيل ولفنسون، فضلا عن الذين هاجروا إلى أمريكا ووجدوا مندوحة في جامعاتها الرحيبة وموئلا أمينا في قاعاتها الفسيحة. نستنتج مما سبق أن العامل المادي لم يكن خافيا على المستشرقين اليهود الراغبين في اقتحام باب الاستشراق، بل كانوا يدرسون ويبذلون الجهد في الحصول على الشهادة وعينهم تخترق ما وراء الحجب تنظر إلى أبواب الرزق المفتحة الأبواب.

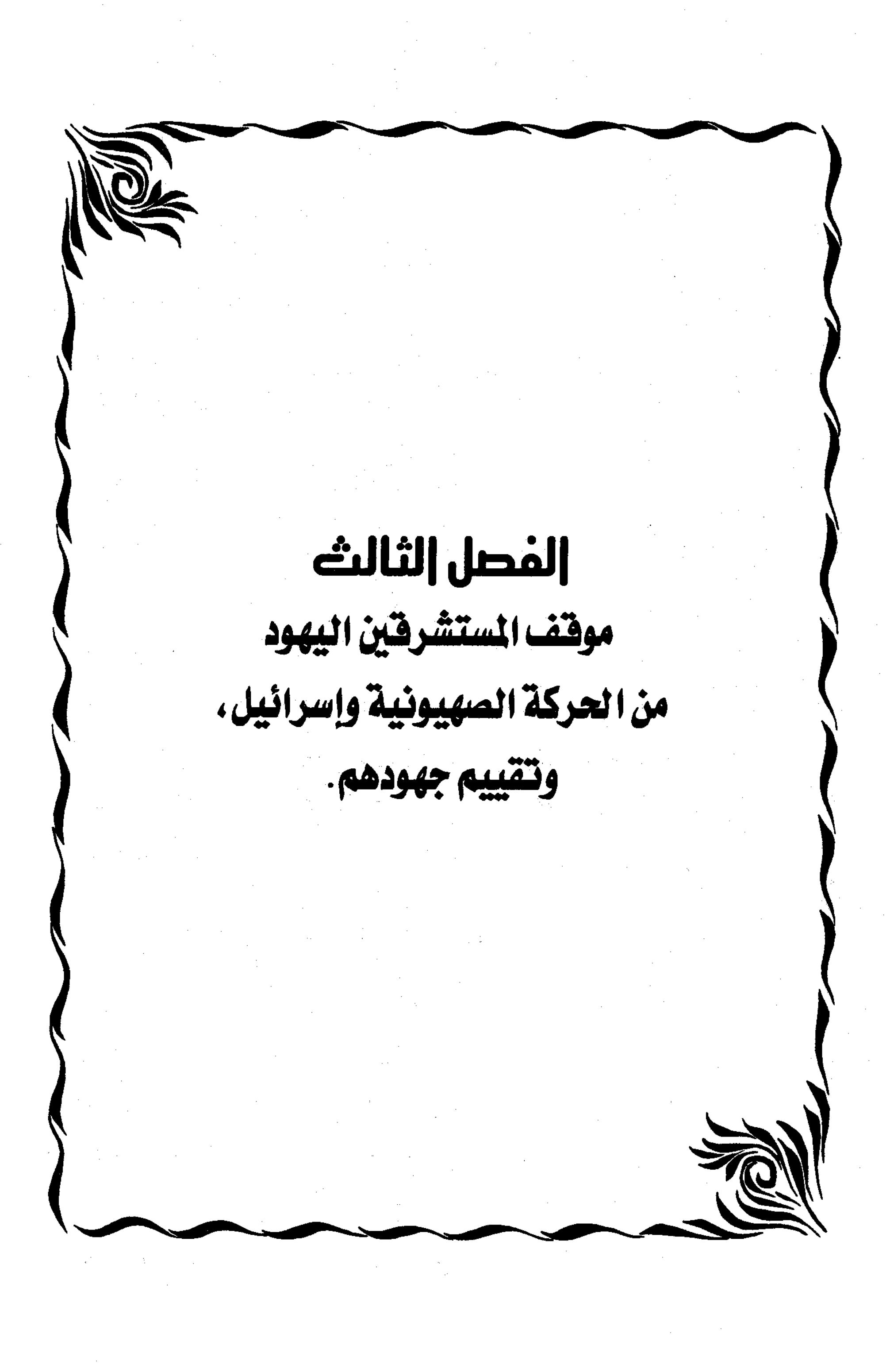
يعلل أحد الباحثين دخول اليهود ميدان الاستشراق ويكشف عن دوافعهم بقوله: «الظاهر أنهم أقبلوا علي الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهود علي الإسلام بادعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية: فكرة أولا ثم دولة ثانيا»[١].

- و يقول محمود زقزوق وهو يعلل سبب إقبال اليهود علي ولوج باب الاستشراق: إن من الصعب الحصول علي إجابة صريحة عن هذه النقطة، فقد أغفلت المراجع الحديث عن هذا الجانب.ونعتقد أن السبب في ذلك يرجع إلي أن المستشرقين اليهود قد استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصرا أساسيا في إطار الحركة الاستشراقية الأوربية المسيحية فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوربي لا بوصفهم اليهودي.وبذلك كسبوا مرتين: أولا فرض أنفسهم علي الحركة الاستشراقية كلها، وثانيا تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف أغلبية المستشرقين المسيحيين.[٢]

***

(١) محمد البهي: مصدر سابق ص٥٣٤.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف بمصر، ص٥٢/ ٥٣، وأيضا الإسلام والغرب ص١٨-١٩.



الفصل الثالث

موقف المستشرقين اليهود من الحركة الصهيونية وإسرائيل، وتقييم جهودهم.

أولا: موقفهم من الحركة الصهيونية وإسرائيل:

تمهيد:

من خلال الاستقراء العلمي، ودراسة حياة المستشرقين اليهود وتتبع مسلكهم وتحليل أقوالهم، من الممكن أن نبلور موقفهم من الحركة الصهيونية ودعوتها المشؤومة إنشاء دولة لهم في فلسطين، ثم موقفهم إزاء هذه الدولة العدوانية التي أشعلت النار فوق أرضنا المقدسة، وشنت الحروب المدمرة علينا.ونستطيع أن نصنفهم في مجموعات متباينة ومتناقضة على النحو الآتي:

أولا: المطالبون بالاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها:

ظهرت جماعات كثر من المفكرين اليهود ترفض أي دعاوى تتعلق بإنشاء وطن لهم، و تطالب باندماج اليهود والذوبان في الأوطان التي ولدوا على أرضها واستقروا في ربوعها، ويدعون للإخلاص لهذه الأوطان والمشاركة في بنائها ونهضتها من منطلق أنهم مواطنون صالحون، مثل باقي الأجناس التي يضمها أي وطن، فعليهم أن يشعروا أن هذا وطنهم الحقيقي ويعمقوا هذا الشعور الباطني من خلال الاندماج في نسيجه والتفاعل مع تركيبته الاجتماعية ومؤسساته السياسية والتعليمية كباقي الطوائف الأخرى؛ ويتزعم هذه الدعوة إبراهام جيجر وهرتفج دارنبور.وماكس مايرهوف وجوتشلك.

ثانيا: المحايدون من مشروع إنشاء الدولة:

هناك فئة أخرى استقروا في دولهم وتكيفوا مع أوضاعها ورضوا بالإقامة فيها، ورتبوا حياتهم على الاستمرار في العيش الهادئ والتمسك بذلك ولا يخطر ببالهم التضحية بأوطانهم في سبيل سراب خادع وأمل كاذب، ومشروع ليس من ورائه إلا وجع القلب وصنع المآسي وتأنيب الضمير، وغير مهتمين بشؤون الكيان الصهيوني، ولا يبالون بما يجري فيه، أو المآزق التي يعاني منها أو الحروب التي يخوضها ظلما وعدوانا، ويمثل هذا الفريق؛ دافيد سانتلانا، وليفي دلافيدا. وروبرت برنشفج،

ثالثا: المتعاطفون مع جماعات اليهود المطالبون بإنشاء دولة لهم، ولكنهم متمسكون بالوطن الذي يعيشون فيه:

يمثل هذا التيار جمهور عريض من اليهود الذين استقروا في الأوطان التي يعيشون فيها مئات السنين، حاولوا الاندماج قدر ما تسعفهم مصالحهم المادية، وكيفوا حياتهم على هذا النحو، ولا يخطر ببالهم أن يتركوا هذه الأوطان للذهاب إلى فلسطين تحت أي مزاعم.وكان معظم يهود مصر والعراق والمغرب واليمن أنموذج صادق وتعبير حي عن هذا الفريق، وكذلك الذين هاجروا إلى أوربا وأمريكا، وشغلوا مناصب هامة ووظائف مرموقة في الجامعة أو السلك الدبلوماسي، واستقرا فيها سنوات مديدة ورتبوا حياتهم على الإقامة فيها وعدم مغادرتها، وتكيفوا مع أوضاعهم الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، ومع كل هذا فهم يناصرون إنشاء الدولة ويؤازرون دعاتها ومشروعها، بطريقة علنية أو خفية، و يعبر عن هذا الفريق؛ سلمون مونك وجولد تسيهر، هرتفج هرشفلد، فون جرنباوم، جول أوبرمن، هاري ولفسون.

رابعا: المساهمون مع الحركة الصهيونية في قيام الكيان الصهيوني:

هذه المجموعة تنشط نشاطا محموما بصراحة، ودون مواربة في عمل جاد وجهد إيجابي لبناء أركان «الكيان الغاصب» و يبذلون جهدهم ويسخرون علمهم، ويسافرون هنا وهناك، ويتحركون على مستوى العالم؛ الأوربي والعربي والإسلامي، لكن في الوقت نفسه يتمسكون بالعيش في الأوطان التي استقروا فيها، ولا يرغبون في مغادرتها، ولا يجدون تناقضا بين المسلكين ويمثلهم؛ جوزيف هاليفي وجوزيف هورفتز.

خامسا: المطالبون بإنشاء دولة لليهود في فلسطين والمتحمسون للهجرة:

مع اشتداد ساعد الحركة الصهيونية وكسبها تعاطف الدول الأوربية التي عزمت على التخلص منهم وتطهير أوطانهم من مؤامراتهم ومكائدهم، وفي الوقت نفسه تصدير المشكلة إلي العرب وهذا يحقق لهم فوائد جمة أهمها؛ إشعال الحروب بينهم، ووقف حركة التنمية في أوطانهم، استنزاف ثرواتهم وجهدهم، استمرار تبعيتهم للغرب،

أضف إلى ذلك انضمام كبار الأثرياء اليهود للحركة الصهيونية ومساعدتها بالأموال

والنفوذ، في هذه الأجواء المحمومة؛ سارع بعض المستشرقين الانتهازيين لركوب الموجة واللحاق بقطارها والسير في ركابها، من منطلق المصلحة الذاتية وتحقيق المآرب الشخصية لا غير، والحصول على عمل يدر عليهم دخلا سخيا بعد أن عز العمل في الدولة التي يعيشون فيها، ويمثل هذا الفريق؛ مارتن بلسنر، ليوأري ماري، باول كرواس، دافيد بانيث.

سادسا: المساهمون في إنشاء الكيان الصهيوني، ثم تراجعوا عن أفكارهم:

يبدو أن المسار الفكري للإنسان لا يسير في خط تصاعدي، ولكنه قد يتذبذب علوا وانخفاضا، إيمانا وإنكارا؛ فيؤمن الإنسان بفكرة من الأفكار ويعتقد في صوابها ويتشيع لها، ثم بعد فترة، إذا جلس بينه وبين نفسه، بعيدا في هدوء نفس وحوار صادق، ومراجعة ضمير، قد يتراجع بسهولة عما كان يعتنقه من أفكار أو يؤمن به من مذهب.كما تراجع القديس أوغسطين (٤٣٠م) عن مسلكه المشين وأفكاره المضطربة، وعاد إلى مبادئ المسيح الحقيقية.[١]

هذه قضية نلمسها عند كثير من المفكرين، وهذا أيضا ما ينطبق على شخصية شالوم جويتاين، فبعد أن شارك مشاركة قوية في إقامة «الكيان المغتصب» وحارب في جيشه العدواني، فكر كثيرا ثم تراجع وحزم حقائبه وولى وجهه تجاه أمريكا مخلفا وراءه الكيان المغتصب بكل ما أحدثه من دمار وما أشعله من حروب في المنطقة، وما خلفه من ذكريات مؤلمة في ذاكرته ووجدانه فتركه وعاش بعيدا مقتنعا أن هذا كيان عدواني مثل أكلة لحوم البشر، لا يستطيع أن يعيش إلا عن طريق إشعال النار في كل مكان وفي أي زمان.

ومن الجدير بالذكر أن هناك الآلاف الذين يشاركون جويتاين الفكرة ذاتها، ومع أول خطر يهدد هذا الكيان، يحملون «ما خف وزنه وغلا ثمنه» ويولون مدبرين إلى أصقاع العالم، وهذا أمر مشاهد ويعلن عنه الكيان الصهيوني، كلما تعرض لخطر داهم من الأخطار، فيما يسمى بالهجرة المعاكسة؛ أي الخروج من إسرائيل إلى خارجها.هذه نقطة؛

---

(١) محمد الزيني: القديس أوغسطين وفلسفته، بحث منشور في مجلة كلية الآداب (العدد ٢١)، جامعة صنعاء، ١٩٩٨.

والأخرى، من الملاحظ أن معظم من هاجر إلى إسرائيل ينتمي إلى أفقر الأوساط الاجتماعية، ومعظمهم جاءوا من دول فقيرة أو نامية، في حين إن الطبقات الميسورة البرجوازية التي كانت تعيش داخل الوطن العربي تفضل الهجرة في اتجاه أوربا وإلى الأمريكتين. (١)

***

(١) تاريخ يهود النيل ص ٩٨

ثانيا: الاستشراق اليهودي: بين الإيجابيات والسلبيات[١]:

تمهيد:

نود أن نجمل إيجابيات الاستشراق اليهودي وكذا سلبياته، في نقاط مركزة وعناصر محددة، اعتقادا منا أنه يدخل في نطاق الدراسات الاستشراقية وجزءًا منه، وأن العلاقة بينهما علاقة اشتمال، والنظرة الفاحصة تستطيع أن تلمس التشابه التام بين سمات الاستشراق اليهودي بخاصة والدراسات الاستشراقية بعامة، سواء أكان ذلك في الإيجابيات أو السلبيات إلا من تمايز هين وفوارق يسيرة هنا وهناك.

أ- ميدان الإيجابيات:

١- الإنتاج الغزير والتأليف الوفير والكتابة المميزة، وهذا بين عند الكثير منهم، ولافت للنظر أمام القارئ في مصادر الاستشراق اليهودي بخاصة، كما هو واضح أيضا في الظاهرة الاستشراقية بعامة، وما أوردناه سابقا من مؤلفات جولد تسيهر وماكس مايرهوف وباول كراوس وفرانز بروفنسال وغيرهم دليل حيٌ على ذلك، فضلا عن تحقيق المخطوطات، وحجة على من يشكك في الفكرة ذاتها.

يقول د.الجابري: نحن لا ننكر مجهودات كثير من المستشرقين الذين ساهموا في نشر عدد مهم جدا من كتب التراث العربي الإسلامي وتحقيقه، وسلطوا الأضواء على جوانبه..ولكن يجب أن نكون واعين في الوقت نفسه بأن اهتمامهم بهذا التراث لم يكن في أية حال من الأحوال، ولا في أي وقت من الأوقات، من أجلنا العرب والمسلمين ،بل كان دوما من أجلهم هم.[٢]

---

(١) بسطت في كتابي الاستشراق والتنصير، إيجابيات الاستشراق وسلبياته، بسطا واسعا وتعرضت للحديث المستفيض لشرح مالهم وما عليهم، مستشهدا بالأمثلة وذكر آراء المفكرين العرب، (١٩٥-٢٣٧).

(٢)محمد عابد الجابري: الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الاسلامية ص ٣٣٥ (ضمن مناهج المستشرقين، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، ١٩٨٥).

على فرض صحة رأي د، الجابري واحترامنا له، فنحن لا نستطيع أن نعمم حكمه على «كافة» المستشرقين، ولكنه ينطبق على بعضهم، إذ لاشك أن هناك من الباحثين من كان غرضه فوق الاعتبارات الجنسية أو العنصرية أو القومية، وخارج خريطة المركزية الأوربية، وكان يبحث من أجل الفكر الإنساني وخدمة الحضارة الإنسانية والخير العام المتجذر في أعماق النفس الإنسانية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى علينا أن ننظر للمردود العلمي لهذه المؤلفات التي سعينا للإطلاع عليها ونهضنا لترجمتها إلى لغتنا للاستفادة منها و العبرة بالنتائج، ونعتقد أن نتائجها الإيجابية والسلبية بالنسب إلينا ولتراثنا وتاريخنا، كانت إيجابية لأنها شحذت همتنا وحركت غيرتنا وأثارت نخوتنا للتصدي لأفكارهم والرد عليهم.

٢ - الإرادة الصلبة والعزيمة القوية والهمة الفتية في العمل والمثابرة على تحمل المشاق والسفر المتواصل للبحث عن المصادر الأصلية والمراجع الهامة للاطلاع عليها وقراءتها قراءة متأنية، ودراستها في تؤدة وتحليل أبعادها ومحاولة استنباط نتائجها وفهم مراميها، وكذلك التنقيب في التراث الإسلامي من خلال البحث عن المخطوطات والوصول إلى أماكنها مهما كلفهم ذلك من عناء ثقيل وجهد جهيد وتحمل السفر إليها والعكوف على تصنيفها سنوات، ورصدها في فهارس مبوبة وأجزاء ضخمة وطباعة واضحة أنيقة، تسهل الباحث الوصول إليها في يسر وسهولة؛ فضلا عن قراءتها وتحقيقها والمعاناة الشديدة في فك طلاسمها وقراءة خطوطها العجيبة وسطورها المطموسة، وحروفها المتآكلة، وصفحاتها المخرومة وأوراقها المتهالكة، إن هذا العمل المرهق يحتاج إلى مزيد من الصبر الجميل والجهد الكبير والجلد المستمر والطموح الواسع.

٣- ترجمة القرآن الكريم ترجمات متعددة، ودراسته دراسة واسعة، وهذا بلا شك عمل إيجابي، وضع القرآن في متناول القارئ الأوربي الذي يبحث عن الحقيقة ولفت نظره لمراجعته ومدارسته، ومن يريد أن يقرأ ويتعرف على سماته وتركيباته وحوادثه وقصصه؛ وبالجملة ما ورد فيه من أخبار الأولين والغابرين وتاريخ

الأنبياء السابقين؛ مع اعترافنا بأن بعضهم قد أساء إلى القرآن كما رأينا سابقا عند جيجر وجولد تسيهر، وهورفتس وهرتسفلد وإدعائهم أنه من تأليف محمد ﷺ، ومع هذا فإن هذا الهجوم لاشك أنه لفت انتباه الكثير من المستشرقين اليهود وغير اليهود للبحث عن حقيقة القرآن والوقوف أمامه بقدر من العدل والإنصاف ومحاولة فهمه وتذوق كلماته والتأمل في أسلوبه ودراسة بلاغته و التعرف على مصدره، ودراسته دراسة نزيهة موضوعية.

٤- الحديث عن سيرة الرسول ﷺ حديثا مستفيضا، ودراسة حياته دراسة مستوعبة، وتتبع مسيرة حياته في طفولته وشبابه ورجولته وزواجه ورحلاته وبعثته، ووقوفه الصلب في مواجهة عناد مشركي العرب، وصدامه المسلح معهم ومع اليهود في المدينة وأطرافها، وغزواته وانتصاراته، وأقواله وتشريعاته، وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية.

الحقيقة أن المستشرقين اليهود لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة متصلة بحياة الرسول ﷺ ولا شأن مرتبط بسيرته من قريب أو بعيد إلا وقفوا أمامه يناقشوه ويحللوه، ويحاولوا أن يفهموا مغزاه، وما الباعث المختبئ خلف هذا الحدث أو الموقف، ثم يعرضوا نتائجهم ويظهروا استنباطهم ويشرحوا وجهة نظرهم والرأي الذي توصلوا إليه.

وعلى الرغم من معارضتنا لمعظم النتائج التي توصلوا إليها، والكثير من الاستنباطات الخاطئة، والصورة المشوهة التي عرضوها، لاسيما سلبهم صفة النبوة عن الرسول ﷺ وإنكارهم للجانب الغيبي في رسالته (الميتافيزيقي) وتقريرهم أنه قائد محنك أو مصلح اجتماعي أو زعيم سياسي بعيد النظر، عبقري في سلوكه وفي المواقف الصعبة؛

نقول بصرف النظر عن هذه الدعاوي التي تنبع من رصيد الكراهية وبئر التعصب، وتنطلق من النظرة العنصرية، فإن هذه الدراسات الواسعة والكتابة المستفيضة والتناول الواسع؛ لفت نظر علماء أوربا إلى أهمية رسول ﷺ الإسلام، وجهوده في الارتقاء بأمته وتربيتها على أساس القيم الخلقية، والمثل العليا المنبثقة من الوحي الإلهي، وإعدادها لحمل رسالة السلام للأمم الأخرى، ودوره في خدمة الإنسانية، وأثار فضولهم ودفعهم أن

يدخلوا الميدان لمحاولة البحث عن الحقيقة؛ إذ من المستحيل أن تكون هذه الملايين التي اعتنقت الإسلام وصنعت هذه الحضارة السامقة، غبية أو جاهلة، أو غشيت أعينهم أن يبصروا الحقيقة، أو استولت الغفلة على عقولهم عشرات القرون كما ذهب إلى ذلك إدريان رولاند في دفاعه عن الإسلام.

إن هناك حقائق في الحياة، وثوابت في الوجود، ومنظومات فكرية لها صفات الجبال، لا تستطيع كتابات اليهود أو غير اليهود أن تطمس معالمها أو تحجب أشعتها، أو تشوه صورتها وجمالها وصفائها، ومن ثم لاغرو أن نجد المئات من المستشرقين الذين انكبوا على سيرته العطرة ﷺ ودرسوها، خرجوا بنتائج تنصف رسول الإسلام وتضعه ورسالته في سياق سلسلة النبوات التي نزلت من السماء لكي تنقذ البشرية من عمائها ومن ضلالاتها وغيها، وغبش تصوراتها، وتقودها إلى شاطئ الأمان وبر العدالة وطريق الحق والخير والفضيلة والسلام.(١)

٥- ترجمة مئات من المؤلفات التي هي نتاج العقلية العربية الإسلامية؛ وإبداعها، في جميع المجالات الدينية والأدبية والفلسفية والعلمية؛ الرياضية والطبية والصيدلانية والفلاحية، ونقلها إلى اللغات الأجنبية - لاسيما وقد مهروا في إتقانها - وقد عكفوا على دراستها وإظهار مميزاتها ثم نشروها في أوربا مما ساعد في قيام نهضتها وتنويرها، سواء الكتب القديمة التي ترجمها علماء الإسلام وفلاسفته التي نقلوها عن الفكر اليوناني، أو الكتب التي جادت بها قريحة علماء المسلمين وفاضت بها عبقريتهم؛ وهذا وذاك مثل رافدا للتراث الإنساني ومشاركة إيجابية في بناء الحضارة، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعد شهادة لإبداع العقلية العربية ومساهمتها الإيجابية والأصيلة في تشييد أركان الحضارة العربية الإسلامية.

---

(١) خليل ياسين: محمد عند علماء الغرب، في هذا الكتاب رصد المؤلف أكثر من ثلثمائة شخصية عالمية؛ مستشرقون وغير مستشرقين؛ أدباء وشعراء وأطباء وكتاب وفلاسفة، أثنوا على الرسول وتحدثوا عن جوانب العظمة في شخصيته، ومدحوا أخلاقه ومسلكه مع أعدائه وأصدقائه.بما فيهم من شخصيات هاجموه في بعض مراحل حياتهم، ثم عادوا إلى صوابهم وعدلوا عن آرائهم.

٦- إرساء قواعد المنهج العلمي، والأخذ بقواعده والاجتهاد في تطبيقه على بحوثهم، وتقديم صورة طيبة للبحوث الجادة والإنتاج الرصين؛ مع إيماننا أنهم ليسوا سواء في هذا المضمار فمنهم من تنكب طريق البحث العلمي وحاد عن أسسه وتجافي عن الحيدة و الموضوعية، ومنهم من وفق في خطواته وأصاب في منهجه.(١)

٧- إسلام بعض المستشرقين اليهود ودخولهم في الإسلام (٢)، ليس هذا فحسب بل تحمسوا في الدفاع عنه، وحث المسلمين التمسك بمبادئه، والجهاد في سبيل انتشاره.وهذا مكسب كبير وأبرز مثال على ذلك إسلام الكاتب النمساوي اليهودي ليوبلد فايس (١٩٠٠- ١٩٩٢) الذي اختار لنفسه اسم محمد أسد بعد أن شدته مبادئ الإسلام وجذبته دعوته إلى الإخوة العالمية والتسوية بين الناس جميعا دون تفرقة بين جنسا أو آخر. وقد حسُن إسلامه وذهب إلى مكة وأدى فريضة الحج وكتب انطباعاته عن هذه الرحلة الروحية والزيارة القدسية.ومن كلماته الموحية:

- «إذ امتدت مدنية أجنبية بشعاعها إلينا وأحدثت تغيرا في جهازنا الثقافي، وجب علينا أن نتبين مدي هذا الأثر أيجري في اتجاه إمكانياتنا الثقافية أم يعارضها، وهل يفعل في

---

(١) في إصرار عنيد وإيمان عميق ولغة قاهرة وحجج قوية باهرة وأسلوب عربي فصيح، يبرهن الشيخ محمود شاكر على نفي صفة العلمية وإنكارها كلية عن منهج المستشرقين، ويدلل بعدم قدرتهم على فهم اللغة، ومخزون ثقافتهم التي تشربوها وغلبة أهوائهم وميولهم الذاتية.(رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ٦٤ وما بعدها) ونحن نحترم وجهة نظره كل الاحترام، وندافع عنها لكننا نعترف أن القوم أصحاب منهجية علمية لا شك في ذلك. يجمل د. عماد الدين خليل شروط دراسة السيرة في ثلاث نقاط؛ الإيمان بالوحي، الموضوعية، المنهج العلمي، ويرى أن دراسات بعض المستشرقين أغفلت الشرطين الأولين، ولم يبق لهم إلا المنهج العلمي الذي تمثل في الإحاطة بأدوات البحث التاريخي، بدءا باللغة وجمع المادة الأولية، وانتهاء بطرائق الموازنة والنقد والتحليل والتركيب، ويؤكد أنهم بلغوا حد التمكن والابداع في الشرط الأخير.(المستشرقون والسيرة النبوية ص١١٨، ضمن مناهج المستشرقين، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، ١٩٨٥).

(٢) راجع كتاب عظماء الغرب يعتنقون الإسلام، إعداد مركز العلم للدراسات، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٧.

جسم الثقافة الإسلامية فعل المصل أو فعل السم»[١].

- «بدلا من أن نخضع الإسلام باستخذاء للمقاييس العقلية الأجنبية، يجب أن ننظر إلي الإسلام على أنه المقياس الذي نحكم به على العالم»[٢].

- «إن توحيد السلوك والتفكير والأذواق وتنظيم الحياة الفردية والمظهر العام وطرق التخاطب، سياسة تتناقض مع الحياة القائمة على التنوع والتكامل.»[٣]

٨ - تحريك همة علماء الإسلام؛ زرافاتا ووحدانا، أفرادا ومؤسسات للرد على افتراءات المستشرقين، وإثارة روح الغيرة في أعماقهم، وبث الحمية في نفوسهم، وارتفاع الأصوات مطالبة بالذود عن مبادئ الإسلام في مواجهة هذه الهجمة الشرسة، وقد تصدي عشرات بل مئات من مفكري الإسلام للرد على مزاعمهم وأكاذيبهم. وقد أخرجت المطابع العربية آلاف من الكتب تفند مزاعم المستشرقين اليهود وغير اليهود، وتفرغ علماء الإسلام لدراسة هذه الأفكار المنكرة والآراء الفجة، وهذا أفضى إلى تقسيم العمل فيما بينهم، بحيث يتناول كل عالم مسلم في مجال تخصصه ما أنتجه الاستشراق في الفنون المختلفة ويرد عليه بالدليل الدامغ والبرهان الساطع؛ متسلحا في كافة خطواته بقواعد المنهج العلمي. هذا من جهة؛

ومن جهة أخرى سارعت كثير من الجامعات الإسلامية في إنشاء أقسام لدراسة الظاهرة الاستشراقية ما لها وما عليها، ووضعت بعض الكليات هذا المقرر ضمن برنامجها الدراسي، فضلا عن الندوات الثقافية التي تعقدها حول جهود المستشرقين ومناقشة ذلك في جو علمي ورصانة فكرية ودراسة معمقة مع استخدام قواعد البحث العلمي، أضف إلى كل ذلك قررت بعض الجامعات؛ مثل جامعة الأزهر إصدار موسوعات إسلامية وافية تشتمل على معظم فروع المعرفة، تتناول أعمال المستشرقين ونتائج بحوثهم والرد على

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ص ١٨ .
(٢) الإسلام على مفترق الطرق، ص ١١٦.
(٣) الإسلام على مفترق الطرق، ص ١١٩.

مزاعمهم وتفنيد آرائهم، وأثمرت جهود العلماء في إصدار خمسة مجلدات حتى الآن.

ب- ميدان السلبيات:

من منطلق الضعف البشري، ونقص الطاقة الإنسانية، وقصور قدرات الإنسان مهما بلغ ذكاؤه وتعددت مهاراته وتنوعت ملكاته، فعمله قاصر في جميع الأحوال، وهذه حقيقة يسلم بها الجميع، ونحن ننجز العمل اليوم ثم ننظر فيه غدا فنشعر بالنقص الذي أحاط به، والقصور البادي فيه، وهكذا هي حقيقة الحياة وطبيعة أعمالنا البشرية، ونشدان الكمال وبلوغه مؤكد أنه ليس في هذا العالم، وإنما في عالم آخر من إبداع الله سبحانه وتعالي.

في ضوء هذه البديهيات، نشير إلى سلبيات الاستشراق اليهودي بموضوعية كاملة، وبإنصاف واضح، ودون تجن أو استخدام لغة عاطفية او أسلوب انفعالي، وهاك السلبيات التي استطعنا أن نرصدها من خلال النظر في كتبهم وقراءة أفكارهم وتحليل رؤاهم.

١- لاشك أن القرآن الكريم كان أكبر ميدان ساح فيه المستشرقون اليهود وصالوا وجالوا، وهاجموه هجوما شرسا إذ توفر معظمهم، على دراسته دراسة لغوية (فيلولوجيا)[١] مع الاعتقاد المسبق بأنه من كلام البشر، والإصرار على مقولة أنه من وضع الرسول ﷺ الذي استمد أفكاره من التراث الهندي والدين اليهودي وكلام الرهبان ومقولات المسيحية وبلاغة حكماء العرب وصور شعرائهم الخيالية، والذهاب في هذا الفرض كل مذهب وجاهدوا في هذا الميدان كل جهاد من اجل دعوة الشيطان، ليس هذا فحسب بل محاولة مقابلة بعض القصص في القرآن على ما ورد في التوراة، و الاستنتاج بأن اللاحق أخذ معلوماته من السابق، ثم البحث في جذور الكلمات العربية و مشتقاتها في اليونانية والعبرية، والخروج بنتيجة مؤداها؛ أن الرسول اقتبس كل هذه المفردات والتعليمات والأفكار من تراث الأمم القديمة.

---

(١) المنهج الفيلولوجي التاريخي، يقرر أن دراسة أي حضارة، يتم عن طريق تحليل النصوص الأصلية التي أنتجتها الحضارة تحليلا لغويا تاريخيا، بناء على أسس محددة تحديدا دقيقا وعلى تحقيق المخطوط من آثارها.

وكان للمستشرقين اليهود باع طويل وذراع، في هذا الميدان، كما رأينا سابقا في بحوث فايل و جولد تسيهر وهرتشفلد وهورفتس.

ولاشك أن هذه الدراسات البائسة إما أن تكون نوع من أنواع التنفيس عما يدور في صدورهم من كراهية وحقد علي القرآن الذي فضح أساليبهم وكشف عن خبيئة أنفسهم وعرى خداعهم ونفاقهم عبر التاريخ، وجبنهم مع الأعداء، و سوآتهم مع الأنبياء، وعرّض بمواقفهم المتخاذلة مع سيدنا موسى، وقبولهم الذل والاستخذاء تحت حكم فرعون.

أو تعبر عن جهل واضح بمفردات القرآن الكريم، وأسلوبه المحكم ومعطياته الفياضة. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]

ونرد بكلمات مختصرة قاطعة، لقد ظهر في التاريخ مئات الكتب التي عولت عليها البشرية واتخذتها إنجيلا لها في حاضرها ومستقبلها ثم بعد فترة زمنية طالت أم قصرت، طوي الزمان هذه الكتب، وبليت في أيدي أصحابها قبل أنصارها، وراحت في غياهب النسيان نسيا منسيا [(١)]، في حين أن القرآن الكريم الذي هو كتاب الله، قاطع في أحكامه، ثابت بنصوصه لم يتغير منه كلمة واحدة، ولم يتحول منذ أن أُوحي به على قلب الرسول ﷺ، يقرأه المسلمون في جميع أنحاء المعمورة كما قرأه الرسول، وفي الوقت نفسه يساير كل عصر ولا تتعارض معطياته مع مكتشفات العلم الحديث والمعاصر.﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

٢- كثف المستشرقون هجومهم على شخصية الرسول ﷺ، بعد الهجوم علي القرآن، واستخدموا كافة أنواع الأسلحة الثقيلة أو من العيار الثقيل، ولما كان الرسول ﷺ يمثل

---

(١) احتلت بعض الكتب مكانة عريضة في قلوب وعقول جمهرة المثقفين وأنصاف المثقفين ثم طوتها يد الزمان مثل، جمهورية أفلاطون، والأخلاق عند أرسطو، ورأس المال لكارل ماركس، وثروة الأمم لآدم سمث، وأصل الأنواع لتشارلز داروين، وهكذا تكلم زرادشت لنيتشه وغيرها من الكتب التي احتفلت بها البشرية ردحا من الزمن، وصدعت بها رؤوسنا وملأت الدنيا حولها ضجيجا وصخبا، ثم آلت إلى زاوية بعيدة في متاحف التاريخ..

الشخصية الأولى في الإسلام والمؤسس لهذا الدين السمح والأخلاق القويمة والمثل العليا والمبادئ السامية، والذي وضع أسس هذه الدولة الفتية في المدينة المنورة والتي تمددت شرقا وغربا وبسطت نفوذها على العالم أجمع، أقول لما كان الرسول ﷺ له هذه المكانة السامقة، فقد تنادى المستشرقون اليهود فيما بينهم واتفقوا على تنائي الدار وتباعد الزمان أن يهدموا هذه الشخصية النبيلة وينالوا من مكانتها، وهيهات.

«وهكذا كان الإسلام بالنسبة إليهم من «عمل الشيطان» وكان القرآن «نسيجا من السخافات»، وأن محمدا ﷺ نبي كذاب، وأنه الدجال؛ أما المسلمون فهم ليسوا سوى نوع من المتوحشين».(١)

في ضوء ذلك جاءت اتهاماتهم السخيفة، وادعاءاتهم الهزيلة؛ بدءًا من الزعم، بأنه تعلم دينه من بحيرا الراهب، وإنتهاء بقسوته على يهود بني النضير والقينقاع وفتحه خيبر وطردهم من أطراف المدينة، مرورا بقصة مرض الصرع المزعوم، وشهوانيته، وقصة زينب بنت جحش، والغرانيق وميله إلى مسالمة المشركين.!!!

الحقيقة أن الاستشراق اليهودي لم يترك شاردة ولا واردة في حياة سيدنا رسول الله ﷺ، إلا توقف أمامها وتفحصها وحللها وقلبها ظهرا إلى بطن، وفك لحمتها من سداها، وخرج بنتائج مزيفة تتعارض تمام التعارض مع حقيقة سيرة الرسول ﷺ الطاهرة، هذا ما رأيناه من إدعاءات جيجر وفايل وتلفيقات جولد تسيهر وشتائم هرتشفلد ومنكرات هورفتس وغيرهم من بني جلدتهم.

على أننا نحب أن نقول: بالرغم من هذه الجهود العدائية والصورة المشوهة التي عرضوها لحياة الرسول ﷺ والهجوم العنيف ضده، فإن هذه الاتهامات مثل ضباب الصباح يظهر قليلا ثم يضمحل، نعم ذهبت أدراج الرياح، وصارت قبض الريح، وتبخرت مع الأيام، وطويت في صفحات التاريخ.هذه نقطة، والنقطة الأخرى إن هذا الهجوم دفع مئات من علماء أوربا لقراءة سيرة الرسول ﷺ قراءة منصفة، ودراستها دراسة موضوعية، ثم الإشادة بها والدفاع عنها وبعضهم أعلن إسلامه.

---

(١) الطيباوي: المستشرقون، الناطقون بالإنجليزية، ص١٩.

النقطة الثالثة، هب علماء المسلمين في حمس بالغ، يذودون عن حياض نبيهم، يفندون أكاذيب المستشرقين وغير المستشرقين، ويردون علي اتهاماتهم، ويعرضون الصورة الحقيقية لشخصية رسولنا الكريم كما جاءت في أصدق المراجع وأوثق المصادر، وأجمعت عليها كافة الروايات المتواترة الموثوق بها.هذا ما وجدناه في كتاب «الوحي المحمدي»، لرشيد رضا، و «حياة محمد» لحسين هيكل، و «عبقرية محمد» لعباس العقاد، و «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالي، و «هكذا تكلم الرسول» لخالد محمد خالد، وفقه السيرة للشيخ البوطي.

٣- إحياء الفرق المندثرة في الحضارة الإسلامية، والإعلاء من شانها وبعث أفكارها والإشادة بدورها في تخريب العقيدة الإسلامية، ودراستها كأنها ما زالت حية بيننا؛ مثل اليزيدية والغرابية والجناحية والشيخية قديما والبابية والبهائية والقاديانية حديثا.

هذا ملحظ واضح عند المستشرقين اليهود، ويبدو أنهم قد عاهدوا أنفسهم أن يتعاونوا مع الشيطان في سبيل التشويش على الفكر الإسلامي بخاصة والحضارة الإسلامية بعامة.

وينطبق عليهم تعبير يعقوب صنوع (١٨٣٩-١٩١٢)الكاتب المصري اليهودي الساخر [(١)]، وهو ينقد مسلك أحد اليهود إذ يقول: «يروح من مولاه شاكيا، ولشيطانه شاكرا، فكأنه عاهد إبليس فلم يخن له عهدا، ووعده أن يجد عنده كل معصية فلم يخلف له وعدا.» [(٢)]

٤- إثارة النعرات الطائفية والمذهبية والعصبية والقومية، وبث روح الفرقة بين المذاهب العقائدية ومحاولة توسيع شقة الخلاف بينهما.وقراءة الفكر الإسلامي وتاريخه بعين الكره والتعصب؛ فهذا من الشمال وذاك من الجنوب وهذا عدناني وذاك قحطاني وهذا أموي وآخر عباسي، وهذا سني وذاك شيعي، وهذا شافعي وذاك حنبلي، هكذا يركز المستشرق على كافة الأثنينات عند المسلمين ويناقش القضية متحيزا لفرقة دون أخرى،

---

(١) ترجمته في: الأعلام ج٨/ ١٩٨.

(٢) المسيري: الموسوعة اليهودية، المجلد الأول، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٤٥.

ومعليا من شأن إحداها مهاجما الفرقة الثانية، كأن أحدا قد وكله للدفاع عنها، حتى يشعر القارئ أنه يتكلم عن تاريخ ليس تاريخنا، وعن شخصيات لم نقرأ عنها ونجهلها جهلا تاما.ويقف جولد تسيهر على رأس هذا الفريق.

وفي ضوء ذلك نقول: «لا ينبغي لنا أن نبحث عن أي اتفاق بين اللغة المستخدمة في تصوير الشرق والشرق نفسه، ولا يرجع سبب ذلك إلى أن اللغة تفتقر إلى الدقة بقدر ما يرجع إلى أنها لا تحاول توخي الدقة.» (1)

ومع إيماننا بأن أغلب ما ذكره المستشرقون عانى منه الفكر العربي الإسلامي وتاريخه ومر بتجارب أليمة، على أن هناك فرقا في المعالجة وتناول الحادثة، بين من يرأب الصدع الذي ظهر في مرحلة تاريخية محددة ويشرح أبعاد الخلاف ويقرب الشقة بين المؤمنين، ومن يثير الأحقاد ثانية وينفخ في الرماد لكي يشعل النار في بيت المسلمين.

٤- تعظيم دور الشخصيات القلقة في الحضارة العربية الإسلامية، والمتهمة بالخروج على مبادئ الإسلام وتعاليم الشريعة، وتسليط الضوء عليها، وإظهار دورها في رفض مبادئ الإسلام كأنهم ثوار في التاريخ مجددون في الإسلام، والعكوف على دراسة تراثها دراسة معمقة والسعي الحثيث إلى نشره وتحقيقه تحقيقا علميا.وهذا ما قام به باول كراوس وماكس مايرهوف.

٥- تضخيم الخلافات السياسية التي وقعت في الحضارة العربية الإسلامية، والنيل من شخصيات الصحابة، وتعليل الصراع بينهم بأنه كان صراعا دنيويا ماديا محضا، ولم يكن حرصا على أوامر الشريعة وقواعد الدين، وتسليط الضوء على الجانب المظلم من التاريخ الإسلامي لاسيما الحروب التي دارت بينهم، والاهتمام بإحصاء عدد القتلى و الجرحى، رجالا ونساء، وأسلوب التعذيب والقتل، وإظهار خلفاء المسلمين وعظماء التاريخ الإسلامي ورجالاته أنهم عابثين شهوانيين، أهل سكر وخمريات وطرديات وغلاميات يمضون أيامهم في اللهو والعبث مع الجواري والمحظيات والوصيفات.والاعتماد على ما جاء في الأغاني وكتب الأدب العربي، دون أن يستخدموا

(١) ادوارد سعيد: الاستشراق ص ١٤٠.

المنهج النقدي في غربلة هذه الحكايات ووضعها تحت مجهر النقد التاريخي وقواعد المنطق السليم.

يقول محمد عمارة وهو بصدد تقييم الاستشراق: «إن حركة الاستشراق في مجملها قد تعمدت بث روح الهزيمة في عقول الأمة وقلوبها، بإبرازها الجانب المظلم من تراث أمتنا، وردها كل إيجابياته إلي تراث أوربا اليوناني، الأمر الذي رسب في العقول أن أمتنا لم تصنع مجدا غابرا متميزا وخاصا، فأني لها أن تصنع شيئا من ذلك وهي على ما هي عليه من الضعف الذي وصل بها إلي حد الهزيمة أمام الأوربيين أبناء الحضارة الفريدة المنتصرة.»[١]

وما ينطبق على الاستشراق بعامة، ينطبق تمام الانطباق على الاسنشراق اليهودي.

٦- سخر بعض المستشرقين اليهود جهودهم العلمية في خدمة الاستعمار، وتعاون الكثير منهم مع أعوان الاستعمار وقدم خبراته للمساعدة في إحكام السيطرة على الوطن العربي، وسخر علمه في خدمة مخططاته التي تقضي على كرامة الشعوب وآمالهم في غد أفضل وتمكينه من السيطرة على ثروات الشعوب واستنزاف خيراتها.

وفي هذا السياق تصدق مقولة هذا الشيخ الثائر على الاستشراق وتاريخه وأعماله ورجاله ووسائله وكل ما ينتسب إليه من قريب أو بعيد، والسين والتاء والشين والراء والقاف، يقول: «الاستشراق هو عين الاستعمار التي بها يُبصر ويحدق، ويده التي بها يُحس ويبطش، ورجلُه التي بها يمشي ويتوغل، وعقلُه الذي به يفكر ويستبين، ولولاه لظل في عَميائه يتخبّط» [٢]. وهذا ما رأيناه من مستشرق كبير مثل دافيد سانتلانا الذي تعاون مع الاستعمار الإيطالي، وجوستاف فايل مع الاستعمار الفرنسي.

٧- تعاون جمهرة من المستشرقين مع الحركة الصهيونية والتخطيط لها ومدها

---

(١) محمد عمارة: الإسلام وقضايا العصر ص٣٧.

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص ١١٧/ ١١٨، إنني معجب أشد الإعجاب بأسلوب العلامة محمود شاكر، وقوة عبارته ونظمه البليغ، ورصفه الساحر وتمكنه من ناصية العربية باقتدار وأستاذية، علاوة على، غيرته على القرآن والرسول والعربية، وكل ما يمت بصلة إلى الإسلام وحضارته، وهذا الإعجاب لا يثنيني عن مخالفته في كثير من آرائه و مواقفه من المستشرقين.رحمه الله رحمة واسعة.

بالمعلومات والمساعدة في نجاح مشروعها الاستعماري وتمكين الكيان الإسرائيلي من القيام على أرض الفلسطينيين وانتزاع أرضهم واغتصابها من أصحابها، والمسارعة في تثبيت أركان هذا الكيان الاستيطاني المغتصب؛ مثل هورفتز وهاليفي ومارتن بلسنر.

* * *

خاتمة

١ - نحن أمام مجموعة من البشر؛ نبتوا من هذا التراب، ونشؤوا داخل مجتمعات، وتشبعوا بجميع الصفات البشرية التي نراها في الواقع الإنساني، من البخل والكرم، والضعف والقوة، والجبن والشجاعة والغباء والذكاء، والكره والحب، والانطواء والاجتماع، وهكذا؛ ومن ثم نرى أن مؤلفاتهم انعكاسا حقيقيا وتعبيرا صادقا وصورة واقعية لجملة هذه الصفات، ولذلك رأينا هذا التفاوت من حيث كم الإنتاج العلمي ونوعيته، والتباين من حيث الوقفة الموضوعية والدوافع النفسية، والتفاوت في النظرات التحليلية، والاختلاف في المنهج المعتمد، والمهارة في الاستنباط والاستنتاج.

هذه الفروق الفردية، تفسر لنا تباين مواقف علماء الاستشراق اليهود؛ مابين الإنصاف الواسع للحضارة العربية الإسلامية، والجحود الكامل لمنجزاتها، وبين الإنصاف والجحود هناك الموقف الوسط، الذي أشار إلى الإيجابيات لكنه في غمرة المديح وقف يذكر السلبيات.

و «إذا كنا نستطيع الإشارة إلى بعض الأعمال الاستشراقية العظيمة القائمة على البحوث الأصيلة؛ مثل المنتخبات العربية التي وضعها سلفستر دي ساسي، أو كتاب وصف أخلاق المصريين المحدثين وعاداتهم الذي كتبه إدوارد لين، فعلينا أيضا أن نذكر أن الأفكار العنصرية لدى رينان وجوبينو قد أملتها نفس النزعة.» (١)

وما ينطبق على الاستشراق بعامة ينطبق على الاستشراق اليهودي بخاصة، فكما رأينا بعض الأفكار المجحفة، والآراء الظالمة تجاه القرآن والرسول ﷺ كما تجلى في كتابات

---

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق، ص ٥٢

جولدتسيهر وهورفيتز وهرشفلد، لمسنا جوانب الإنصاف إلى حد كبير عند ماكس مايرهوف وليفي بروفنسال، ثم إننا لا نطلب منهم إلا الدراسة الموضوعية، ومحاولة القراءة المنصفة ونشدان الحقيقة، والتحرر من ضباب العنصرية والفروض المسبقة، والرواسب النفسية والتاريخية التي تفسد موضوعية البحث العلمي، وتعطينا بلا شك نتائج خاطئة، ومقولات متعسفة.

لقد صدق من قال: «ليس بالأمر الغريب أن يختلف المستشرقون معنا -نحن المسلمين -في الرأي حول الإسلام، وإنما الغريب أن يتفقوا معنا في الرأي، وذلك لأن منطلق تفكيرهم بالنسبة إلى الإسلام ونبيه، يختلف عن المنطلق الذي يصدر عنه تفكير المسلمين»[1].

٢- يدرك الدارس لنفسية الاستشراق اليهودي، امتلاء عقولهم بفكرة أخذت بألبابهم وسيطرت على عقولهم مؤداها؛ أنهم ظلموا على مدار تاريخ الإنسانية من كافة الأمم ومن جميع الأجناس ومن كل الدول، وقد أساءت إليهم شعوب الأرض قاطبة، ولم يتسع صدرها لهم ونبذتهم نبذ النواة، وإذا اتسع وقبلتهم داخل المجتمع؛ ضيقت على حركتهم ورصدت خطواتهم وكبلت حريتهم وحبستهم في الحارات الضيقة القذرة، وألزمتهم بأزياء معلومة وعلامات مميزة، ثم يضيق صدرها بوجودهم فيستأنفون المضايقة والمتابعة، ويقومون بمطاردتهم وإجلائهم من البلاد التي حطوا رحالهم فيها وعاشوا على أرضها؛ وعلة ذلك يكمن في أنهم يطمعون في ثرواتهم، ووفرة أموالهم التي حصلوا عليها بعبقريتهم وذكائهم وسعة حيلتهم وحسن تصرفهم وسرعة فطنتهم ومهارتهم في الزراعة والتجارة والصناعة، والآداب والفنون والعلم؛ فاليهودي قادر بحيلته وسعة أفقه وملكاته الفائقة وسرعة حركته وحسن تصرفه في المواقف المختلفة: أن يحول مياه البحر المالح إلى ماء عذب، والتراب إلى ذهب، وأن يصنع من الفسيخ شربات، على حد تعبير عوام المصريين.

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص٨٣

٣- كافة المستشرقين اليهود يؤمنون إيمانا راسخا أن فلسطين هي دولتهم، التي عاش فيها الآباء والأجداد وأجداد الأجداد، ويؤكدون على ذلك لأنفسهم أولا وللآخرين ثانيا، ويقرءون تاريخهم على هذا النحو ليس هذا فحسب بل ينقلونه إلى أجيالهم، وهم محملون بذكريات وتاريخية وقصص مثيرة عن أنبيائهم وقوادهم وجهودهم في توطين اليهود في فلسطين، وإنشاء دولة تضم شتاتهم، ودور علمائهم ومفكريهم ورجالاتهم كلها تصب في هذا المصب؛ إن فلسطين لهم وهي وطنهم الأثير. حتى الذين يقولون بالتوطين في البلاد التي استقروا فيها واندمجوا مع أهلها، ويطالبون بني جنسهم بصرف النظر عن هذا الحلم، ويدعون زملائهم نفض اليد من هذه القضية الخاسرة، إلا أنهم مقتنعون في قرارة نفوسهم أن فلسطين هي محضنهم الأول، لكنهم آثروا البقاء في الدول التي عملوا فيها لأسباب عملية ومصالح مادية ومنافع دنيوية وعلاقات اجتماعية.

٤- لم ينس أي مستشرق يهودي لحظة واحدة «أنه ينتمي للديانة اليهودية» وحينما التحق بهذا المجال وعكف في مكتبة نائية في أقصى الأرض على دراسة تراث الحضارة العربية الإسلامية، ثم أمسك القلم ليكتب عنها، لم ينفك عن كونه يهوديا ولم يستطع ألبتة أن يتحرر من هذا التحيز، وفشل في تطبيق قواعد المنهج العلمي، فلم يقرأ بموضوعية ولم يكتب أيضا، ومن ثم جاءت معظم كتاباتهم مجحفة بحق هذه الحضارة الزاهرة، وتحليلاتهم محملة برواسب الماضي، وذكريات التاريخ المؤلمة، وجانبهم الصواب في الكثير من أحكامهم، واستنتاجاتهم الظالمة.

لذلك كان استنتاجه صحيحا من قال: إذا كان صحيحا أنه من المحال أن نتجاهل أو ننكر تأثر من ينتج أية معرفة في مجال العلوم الإنسانية بظروفه الخاصة باعتباره ذاتا بشرية، فلابد أن يكون صحيحا كذلك أنه من المحال إنكار تأثر الدارس الأوربي أو الأمريكي للشرق لواقعه الراهن: أي انه يتصدى للشرق باعتباره أوربيا أو أمريكيا أولا، وباعتباره فردا ثانيا.[1]

٥ - من البدهيات أن العرب والمسلمين، خرجوا من شبه الجزيرة العربية في حماس

---

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق ص٥٧

إيماني رائع، وعقيدة قوية راسخة، وفتحوا الدول المجاورة وانتصروا عليهم، وشيدوا المدن، وأسسوا العلوم، و بنوا حضارة زاهرة، وكانوا أساتذة الأمم النصرانية عدة قرون، وأن الغرب لم يستطع أن يطلع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضلهم، إذ كان لهم في الأندلس وحدها سبعون مكتبة عامة، وأن التعليم في الجامعات الأوربية استفاد من مؤلفاتهم استفادة واسعة، [(١)]

الحقيقة التي لا جدال فيها أن الأمم الأخرى شاركت في تشييد هذه الحضارة وبناء أركانها، ولا محالة أن نعترف أن علماء النصرانية واليهودية شاركوا في بناء الحضارة العربية الإسلامية الإنسانية، وأسهموا في بعض المجالات الفلسفية والطبية والصيدلية والزراعية، وكذلك في ميدان الترجمة؛ سواء ترجمة الفكر العربي، أو ترجمات العرب للتراث اليوناني، وهذا وذاك نقلوه إلى أوربا.

٦- لا أحد يقلل من شأن جهود المستشرقين اليهود، أو يبخس حقهم في البحث عن مخطوطات الحضارة العربية في مكتبات العالم أو في الأديرة، وتبويبها وفهرستها وتصنيفها والمحافظة عليها من خلال مراجعتها و تحقيقها ودراستها ونشرها في طبعات زاهية دقيقة، مغرية في القراءة، سهلة التناول قريبة الفهم، بمقدمات ضافية ودراسات عميقة وتحليل علمي جيد، وشرح مفرداتها العويصة ومصطلحاتها الغامضة، ونقد مضمونها وتقييمها تقييما علميا؛

وبعد كل ما سبق، من المؤكد أن نستدرك لنريح الباحثين عن جوانب الضعف والتهأفت، والمنقبون عن أوجه النقص والقصور، لنقرر أن كل ما قدموه عمل بشري له وعليه، ناقص بوجه من الوجوه ومن ثم فقد شابه هذا الجانب الذي يعتري الطبيعة البشرية التي خرجت من التراب وتأوي إليه في نهاية المطاف، وتتناوشها مشارب شتى ونوازع متضادة ورغبات مكبوتة.

٧- ما زلت معتقدا اعتقادا راسخا؛ أن جهود المستشرقين العلمية، وتحقيقاتهم الدقيقة، ونشرهم التراث العربي الإسلامي، كان عملا إيجابيا، ومجهودا عظيما يشكرون عليه،

(١) حضارة العرب ٤٣٧

على الرغم من كل ما شاب الجهد الاستشراقي في مراحله المختلفة، وتطوره من مرحلة الأزمة، إلى مرحلة العنف والكراهية، والتقدير الاحترام، إلى التردد بين الاعتدال والإنصاف والظلم والجحود والنقص والكمال.

إن ما قام به المستشرقون هو الفعل والإنتاج والإبداع، وما قمنا به هو رد الفعل والاصطفاف والدفاع، ولا شك أن الفعل أفضل من رد الفعل وأسدد، ولو لم يكن للمستشرقين إلا حسنة تحريك همة الشرقيين للدفاع عن تراثهم والذود عن قرآنهم ورسولهم وتاريخهم وفكرهم وشخصيتهم وأمتهم، والاصطفاف أمام هجمات بعض المستشرقين ووحدة كلمتهم وهدفهم، والتصدي لهذه الغزوات المنكرة والاتهامات الفاسدة.فهذا يحسب لهم في ميزان الإيجابيات ويضاف إلى رصيدهم العلمي، وحسنات الفعل الإنساني.

إن الإشكالية تكمن أننا نستفيد من إنتاج المستشرقين ونعول على آرائهم ونستشهد بتحليلاتهم لاسيما إذا كانت تتمدح بمنجزات الحضارة العربية الإسلامية، ونقتبس من نظراتهم ونقتدي بمنهجهم العلمي، وبعد كل هذا نلعنهم في السر والعلن، وهذا أشد أنواع التناقض، ومن أظهر ألوان ازدواجية الشخصية.

إننا يجب أن نكف عن الهجوم على جهود المستشرقين والتقليل من شأن ما أسدوه من خدمات لنا؛ ونعالج هذه القضية بموضوعية كبيرة وصدر رحب وأفق واسع ونظرة عقلانية صارمة؛ ونقيم إنتاجهم تقييما منصفا، فنشيد بالإيجابيات وننوه بأبعادها، ونذكر السلبيات ونحدد مظانها ومجالاتها في العلوم ونطلب من المختصين في هذه العلوم الرد عليها، من خلال الاطلاع الواسع والدراسة المعمقة والمنهج المحكم، متسلحين بالدليل البرهاني والحجة المقنعة، وحصافة العربي الحكيم، ومهارة النظام (٢٢٢هـ) في الجدل، وبلاغة الجاحظ المبهرة في الإيراد والرد، وأسلوب التوحيدي الجذاب في العرض والحوار والنقد والتحليل، وعقل ابن رشد المقنع في بسط القضية و تفنيد أدلة الخصوم وإظهار تهافت منطقهم.

«إن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية، لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه، ولن يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن يتشيد بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج.فعلينا أن نكتسب

خبرتنا كذلك، أي أن نحدد نحن موضوعات تأملنا وألا نسلم بأن تحدد لنا.وبكلمة علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي.»(١)

وقد أحسنت جامعة الأزهر حينما خططت لمشروع طموح، وقررت البدء في إنتاج موسوعات إسلامية كبرى لشرح الفكر الإسلامي بكافة فروعه وتفنيد كتابات المستشرقين، وتناول كافة إنتاجهم بقدر عال من المهنية وتفنيد ما جاء فيه.

في ضوء ماسبق تأتي جهود المستشرقين اليهود، فنضعها داخل هذا النطاق الكبير فعندهم خير كثير وشر مستطير، جهد مشكور و عمل منكور، فلنأخذ ما يتفق مع مبادئ عقائدنا ومقررات ديننا وإرشاد شريعتنا، ثم نرد المآخذ ونرد عليها، نشمر عن ساعد الجد، ونقرأ بهمة كبيرة ونراجع المصادر التاريخية والمراجع القيمة، ونحلل ونستنتج ونتصدى لهذه السلبيات نفندها والثغرات نسدها، ونعرض بضاعتنا جيدة فائقة مؤيدة بالدليل والبرهان، وندخل الهيجا بسلاح العلم والحوار بحب الانتصار للحقيقة، والنقاش الحر ونحن متسلحين بكافة أنواع أسلحة المنهج العلمي، ولا ننسى مطلقا توجيه القرآن في أسلوب الجدل المحمود، ومبادئه الحضارية في أدب الحوار.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

محمد عبد الرحيم الزيني

مدينة روي العامرة ،سلطنة عُمان

الخميس ٢١رجب ١٤٣٢هـ

٢٣يونيو ٢٠١١

---

(١) مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين ص٤٨.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

- أرنولد (توماس ت ١٩٣٠) الدعوة إلى الإسلام، ت، حسن إبراهيم حسن، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
- الأنصاري (د.جابر) تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، عالم المعرفة، (٣٥) الكويت، ١٤٠١/ ١٩٨٠.
- بالنثيا (آنخل جنثالث ت ١٩٤٩) تاريخ الفكر الأندلسي، ت، د. حسين مؤنس، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.
- بدوي (عبد الرحمن ت ٢٠٠٢)موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣.
- موسوعة الفلسفة، ثلاثة أجزاء، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٤.
- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ت، كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب بدون.
- دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره، ت.كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب، بدون.
- الإنسانية والوجودية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧.وأيضا دار القلم، بيروت ١٩٨٢.
- شخصيات قلقة في الإسلام.دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤.
- تاريخ الإلحاد في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣.
- الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٧.
- بروكلمان (كارل ت ١٩٥٦) تاريخ الأدب العربي (ستة أجزاء)، ترجمة عبد الحليم النجار و لفيف من علماء مصر، دار المعارف، القاهرة (٧٥-١٩٧٧)

- بن نبي (مالك ت١٩٧٣) إنتاج المستشرقين، وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩.

- ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحي ت٢٩١هـ)، مجالس ثعلب، القسم الأول، تح عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، بدون.

- الحاج (ساسي سالم) نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.

- حاسون (جاك) تاريخ يهود النيل، ترجمة، يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

- الدفاع (علي عبد الله) رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٣.

- رينان (إرنست ت١٨٩٢)ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨.

الزركلي (خير الدين ت ١٩٧٦): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

- زيدان جورجي (١٩١٤) تاريخ آداب اللغة العربية، أربعة أجزاء، تح، شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، د ت.

- مشاهير الشرق، جزءان، مكتبة الحياة، بيروت.د، ت.

- ساذرن: نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطي، ت، على فهمي خشيم، صلاح حسني، دار مكتبة الفكر نطرابلس، ليبيا، ١٩٧٥.

- شاكر (محمود ت١٩٨١)رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

- سعيد (إدوارد ت٢٠٠٣)الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة، د.محمد عناني، طبعة رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.

- سوسة (أحمد) أبحاث اليهودية والصهيونية، دار الأمل، إربد، الأردن، ٢٠٢٠.

- الطنطاوي (شيخ الأزهر محمد سيد ت٢٠١٠) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، القاهرة، ١٩٦٨.

- الطيباوي (عبد اللطيف ت١٩٨١) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ترجمة قاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١١-١٩٩١

- العقيقي (نجيب) المستشرقون، ط٥ (٣ أجزاء)، دار المعارف بمصر، ٢٠٠٦.

- لوبون (جوستاف ت١٩٣١): اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ١٤٢٩/ ٢٠٠٨

- حضارة العرب، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٩.

- فوزي (د.فاروق) الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر، عُمان، ١٩٩٨.

- لين (إدوارد وليم ت١٨٧٦)عادات المصريين وتقاليدهم (١٨٣٣-١٨٣٥)، ترجمة سهير دسوم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٩-١٩٩٩.

- قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠.

- متز (آدم ١٩١٧) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ت، محمد عبد الهادي أبو ريده، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨.

- مطبقاني (مازن)الاستشراق الأمريكي المعاصر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩.

- المنجد (صلاح): المستشرقون الألمان، دراسات جمعها وشارك فيها د.صلاح المنجد،، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨.

- النملة (د.علي) الاستشراق في الأدبيات العربية،

- ولفنسون (إسرائيل): تاريخ اليهود في بلاد العرب، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٦.

- موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، ط،، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥، تقديم الشيخ مصطفي عبد الرازق.

- نصر الدين (حسن)الأجانب في الجامعة المصرية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨.

- هيكل (محمد حسنين)المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ج١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦.

- ياسين (خليل ت١٩٨٤): محمد عند علماء الغرب، دار الكتاب المصري، بيروت، ٢٠٠٧.

- يفوت (سالم) حفريات الاستشراق، في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٩.

- يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، ت، عمر لطفي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١.

*** كتب للمؤلف:**

١ - ابن القيم وآراؤه الكلامية، ط، الأمل، صنعاء، ١٩٩٩م.ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

٢ - مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام، ديوان المطبوعات، الجزائر، ١٩٩٣م.

٣ - وقفة مع الفلسفة الغربية، ط، المنار، صنعاء ١٩٩٦م.

٤- مشكلة الموت بين الفلسفة والدين، ط، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٥- أبو الهذيل العلاف وآراؤه الكلامية والفلسفية، مطبعة الأمل، صنعاء، ١٩٩٨م. ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

٦- شهداء الفكر في الإسلام، ط، دار الهدى، الجزائر، ١٩٩٩، ط٢، مطبعة الأمل صنعاء - ٢٠٠٠م.

٧- نشأة علم الكلام وأهدافه، مطبعة الأمل، صنعاء، ٢٠٠٠م.

٨- المقبلي وآراؤه الكلامية، ط١، مطبعة الأمجاد، صنعاء (١٤٢١ هـ ٢٠٠٠)، ط٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ٢٠٠١م.ط٣، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

٩- قراءة في فكر الشيخ مصطفى عبد الرازق، مطبعة الأمجاد، صنعاء (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١).

١٠- أبو سليمان السجستاني، سيرته العلمية وآراؤه الفلسفية، دار القلم، دبي، الإمارات العربية، (١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧).

١١- عمرو بن عبيد وأصوله الخمسة، ط، مكتبة الأنفال، مسقط، ٢٠٠٧م.ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

١٢- ابن السيد البطليوسي، وآراؤه الفلسفية والكلامية، مؤسسة ابن عمير، مسقط ٢٠٠٨.ط٢، دار اليقين، المنصورة، مصر، ٢٠١٠.

١٣- الاستشراق والتنصير رؤية موضوعية، مطبعة الضامري، مسقط، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠،

الأبحاث المنشورة:

١- جمال الدين الأفغاني رائد التنوير، مجلة الموافقات، العدد ٢، يصدرها المعهد العالي لأصول الدين جامعة الجزائر، ١٩٩٢م.

٢- الحرية الإنسانية عند العلاف، مجلة جرش، العدد الأول، الأردن، ديسمبر، ١٩٩٧م.

٣- القديس أوغسطين وفلسفته، مجلة كلية الآداب، العدد ٢١، جامعة صنعاء، ١٩٩٨م.

٤- حياة العلاف ومؤلفاته، مجلة دراسات يمنية، العدد ٥٧، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٩م.

٥- منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، مجلة منبر الحوار، العدد ٣٩، بيروت، صيف وخريف ١٩٩٩م.

٦- موقف أبى سليمان السجستاني من علوم عصره، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد ١٧، العدد الأول، تصدرها جامعة اليرموك، مارس ٢٠٠١م.

٧- حياة أبى سليمان السجستاني ومنهجه، مجلة المنارة، تصدرها جامعة آل البيت الأردن ٢٠٠١م.

٨- خلق العالم عند أبى الهذيل العلاف، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، تصدرها جامعة عمان الأهلية، الأردن، المجلد ٨، العدد ٢، تشرين الأول، ٢٠٠١م.

٩- اشترك في موسوعة أعلام فلاسفة العرب، إشراف د.عاطف العراقي، وصدرت الموسوعة عن دار لونجمان، القاهرة.

١٠- اشترك في موسوعة علماء العرب والمسلمين، تصدرها المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، تونس.

قيد الطبع:

- الفلسفة الطبيعية عند الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، قيد النشر لدى مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء.
- هوامش على السيرة الذاتية للدكتور عبد الرحمن بدوى. لدى دار اليقين، المنصورة.
- تجديد الخطاب الديني، بين الواقع والمأمول. لدى دار اليقين، المنصورة.
- منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي. لدى دار اليقين، المنصورة.
- الاستشراق اليهودي، رؤية موضوعية. لدى دار اليقين، المنصورة.

***

السيرة الذاتية للمؤلف

- محمد عبد الرحيم الزيني.
- مواليد الدقهلية، مصر.
- الليسانس من كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٧٦)
- الماجستير في الفلسفة الإسلامية، في موضوع ابن القيم وآراؤه الكلامية، آداب القاهرة (١٩٨٠)
- الدكتوراه، في موضوع مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام، آداب القاهرة.(١٩٨٠).

*** التاريخ الوظيفي:**

١- العمل بالتدريس بدرجة مدرس فلسفة وعلم النفس، بدار المعلمين والمعلمات، بدكرنس، من (٧٦ -١٩٨٢).

٢- العمل بالتدريس بدرجة مدرس فلسفة بمعهد المعلمين، بصور، سلطنة عمان.

٣- التدريس بدرجة مدرس فلسفة إسلامية، بالمعهد العالي لأصول الدين، جامعة الجزائر. من (٧/ ١١/ ١٩٩٠: ٤/ ٩/ ١٩٩٣)

٤- التدريس بكلية التربية، جامعة صنعاء، بدرجة مدرس فلسفة إسلامية،

٥- الترقية إلي درجة أستاذ مشارك (أستاذ مساعد) في ٢٥/ ٥/ ١٩٩٩.

٦- رئيس قسم الفلسفة والاجتماع، بكلية التربية، جامعة صنعاء، من ١/ ١٠/ ١٩٩٣: العام الدراسي ٩٦/ ١٩٩٧ .حيث تم تصفية القسم.

٧- رئيس قسم العلوم التربوية في العام الدراسي ٩٧/ ١٩٩٨.

٨- رئيس قسم الدراسات الإسلامية من بداية العام الدراسي ٩٨/ ٢٠٠١.

٩- العمل بمعهد العلوم الشرعية، بمسقط، سلطنة عمان، من ١٢ سبتمبر/ ٢٠٠١. ومازال علي رأس عمله.

١٠- الترقية إلي درجة أستاذ في ٣يوليو ٢٠٠٢، من جامعة القاهرة.

***